تجارة الدولة المرينية

(٦٦٨ - ٨٧٦ هـ / ١٢٦٩ - ١٤٧٢ م)



دكتورة

سمر عبد الحليم عبد المعز

٢٠١٩م

تجارة الدولة المرينية

دكتورة سمر عبد الحليم عبد المعز

ملخص الكتاب

يتناول هذا الكتاب رسالة ماجستير بعنوان " **تجارة الدولة المرينية** (٦٦٨ - ٨٧٢هـ/ ١٢٦٨ - ١٤٧٢م)هو رغبتها في محاولة كشف أهمية دور تجارة للدولة المرينية الذي يعد أمرًا ضروريًا لإبراز قوة الدولة المرينية طوال مدة حكمها، بالإضافة إلى ملاحظتنا أن هذا الجانب الحضاري من تاريخ الدولة المرينية لم يلق اهتمامًا أو عناية من الباحثين، وكان هذا سببا رئيسيًا في اختيار الباحثة للموضوع .

وجاء تقسيم الكتاب على النحو التالى :

- **وتشتمل الدراسة على مقدمة ودراسة تمهيدية وأربعة فصول وخاتمة:**
- **الفصل الأول : التجارة الداخلية لدولة المرينية**
- **الفصل الثانى : التجارة الخارجية لدولة المرينية**
- **الفصل الثالث : أنظمة متعلقة بالتجارة**
- **الفصل الرابع : تجارة والمجتمع**

والحقته بمجموعة من الملاحق وخاتمة تناولت نتائج البحث بالأضافة الى قائمة المصادر والمراجع .

دكتورة / سمر عبد الحليم عبد المعز

تجارة الدولة المرينية

(٦٦٨ – ٨٧٦ هـ / ١٢٦٩ – ١٤٧٢ م)

دكتورة

سمر عبد الحليم عبد المعز

٢٠١٩م

فهرسة الكتاب

رقم الإيداع: (٤٤٣٣ / ٢٠١٩م)

رقم الإيداع الدولي: ١ – ٦١٢٢ – ٩٠ – ٩٧٧ – ٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

{وفوق كل ذي علم عليم}

سورة يوسف (٧٦)

الاهـــــــــداء

إلي أمي الغالية التى تحملت معى كل مشاق طريقى العلمي كل فضل لها

إلى أبى الفاضل الذى رعاني له منى كل الشكر

إلى أخى العزيز محمد الذى دائمًا بجواري وسند لى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام

أما بعد

إن التميز الذي اشتهرت به الدولة الإسلامية عُرف عن طريق شخصيتها الاقتصادية وخاصة الجانب التجاري لها، فدراسة الجانب التجاري يفصح عن الدورالذي لعبته التجارة في نشر الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية في العالم بأكمله، كما لعبت التجارة دورًا رئيسًا في تيسير الأمور السياسية الداخلية والخارجية، بالإضافة إلي إظهارها الجوانب الحضارية لتلك الدولة ومدي التقدم والرقي الذي وصلت إليه.

أسفرت هزيمة الموحدين في موقعة العقاب (٦٠٩هـ / ١٢١٢م)، عن تفكك أوصال دولتهم وتصدعها وتغير في الخريطة السياسية الجغرافية للمغرب، إذ أعقب ذلك قيام ثلاث دول في المغرب والرابعة في الأندلس، ففي المغرب الأدنى قامت الدولة الحفصية (٦٢١- ٩٨٢هـ/ ١٢٢٩- ١٥٧٤م)، وفي المغرب الأوسط دولة بنى زيان [بنى عبد الواد] (٦٣٣– ٩٦٢هـ/ ١٢٣٥– ١٥٥٥م)، وفي المغرب الأقصى دولة بنى مرين (٦٦٨- ٨٧٢هـ/ ١٢٦٨ – ١٤٧٢م)وهى موضوع دراستنا، والرابعة في الأندلس دولة بني الأحمر (٦٣٠- ٨٩٧هـ / ١٢٣٢- ١٤٩٢م).

وعقب انتصار القوات القشتالية على القوات الموحدية في معركة العقاب، تزايدت الفتن وثورات القبائل ضد دولتهم، فاضطربت الأحوال السياسية، وصاحب ذلك كثرة المفسدين وقطاع الطرق واختلال الأمن وغلاء الأسعار وعم الخراب في البلاد، كل هذه الظروف ساعدت على غياب سلطة الدولة هو ما هيأ الظروف لظهور دولة بنى مرين، التي استطاعت إسقاط دولة الموحدين ودخول عاصمتها مراكش(٦٦٨هـ / ١٢٦٩م)؛ وتأسيس دولتها التي كانت تزداد قوتها يومًا بعد يوم، حتى إنها استطاعت فرض سيطرتها على المغرب بأكمله في فترة من فترات حكمها، فهذه القوة التي وصلت إليها دولة بنى مرين واتساع رقعة أملاكها تكشف عن وجود نشاط تجارى قوى لهذه الدولة؛ لذلك فإن دراسة النشاط التجاري لهذه الدولة يعد أمرًا ضروريًا لإبراز هذه القوة.

أولًا ـ عرض عام لموضوع البحث ومنهج الدراسة:

▪ أسباب اختيار الموضوع:

ولعل من أهم الأسباب التي دفعت الباحثة لاختيار موضوع **" تجارة الدولة المرينية (٦٦٨ ـ ٨٧٢هـ/ ١٢٦٨ ــ ١٤٧٢م)**هو رغبتها في محاولة كشف أهمية دور تجارة للدولة المرينية الذي يعد أمرًا ضروريًا لإبراز قوة الدولة المرينية طوال مدة حكمها، بالإضافة إلى ملاحظتنا أن هذا الجانب الحضاري من تاريخ الدولة المرينية لم يلق اهتمامًا أو عناية من الباحثين، وكان هذا سببا رئيسيًا في اختيار الباحثة للموضوع.

▪ المنهج المتبع في الدراسة وصعوباتها:

وقد اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على تحليل النصوص التاريخية وشرح أفكارها، والاستنباط منها، متبعة في ذلك المنهج التاريخي الاستنباطي التحليلي، باعتباره منهجًا أساسيًا مع توظيف للمنهج المقارن في دراسة النصوص التاريخية والمقارنة بينها، وترجيح بعض الآراء على الآراء الأخرى، بالإضافة إلي إن المصادر التاريخية لا تحلل النواحي التجارية بل ترصد الوقائع فحسب، ولذلك كان على الباحثة أن تنظر إلى الدولة المرينية نظرة شاملة تتضمن النواحي السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية، ثم تقوم بعد ذلك بتحليل تلك النواحي جميعاً لتصل بها إلى الهدف المنشود.

▪ مكونات فصول الدراسة:

وتشتمل الدراسة على مقدمة ودراسة تمهيدية وأربعة فصول وخاتمة:

وفيما يتعلق **بالمقدمة** قامت الباحثة بسرد أسباب اختيار الموضوع وأهميته والصعوبات التي واجهتها، والمنهج المتبع في الدراسة، وختمتها بعرض لأهم المصادر والمراجع.

الدراسة التمهيدية واشتملت على نقطتين: **الأولى:** قيام دولة المرينية، واستعرضت فيها نشأة هذه الدولة ونسبها وصراعها مع دولة الموحدين والذى انتهى بسقوط دولة الموحدين وقيام دولة بنى مرين، **والثانية :** تناولت فيها عوامل ازدهار النشاط التجاري لدولة المرينية التي تمثلت في موقعها الجغرافي والقاعدة الإنتاجية للدولة، سواء أكانت زراعية أم صناعية.

وجاء الفصل الأول : بعنوان **"التجارة الداخلية لدولة المرينية"**، وتناولت من خلاله الطرق التجارية الداخلية ووسائل النقل ودور الدولة في نشر الأمان في الطرق؛ لتدعيم حركة التجارة، كما تحدثت فيه عن أهم الأسواق المقامة داخل الدولة

وأنواعها، سواء أكانت يومية أو أسبوعية أو موسمية أو حربية أو تقام في موسم الحج، وأشرت كذلك إلى المنشآت التجارية في الأسواق المرينية، كالفنادق والقيساريات، بالإضافة إلى أهم البضائع المتداولة داخل الأسواق، كما أبرزت دور الدولة في إشرافها على الأسواق، وذلك من خلال المحتسب والأمين.

أما **الفصل الثاني** فقد أفردته للحديث عن **"التجارة الخارجية لدولة المرينية"** مشيرة فيه إلى الطرق التجارية الخارجية للدولة، سواء أكانت برية أم بحرية، والمخاطر التي تتعرض لها القوافل التجارية أثناء سفرها، كما تحدثت عن العلاقات المرينية التجارية مع الدول الأخرى ودور دولة المرينية في تنمية هذه العلاقات، من خلال تبادل السفارات أو عقد المعاهدات مع الدول الأخرى، بالإضافة إلى أهم واردات بنى مرين وصادراتها.

وفي **الفصل الثالث** تحدثت فيه عن **"أنظمة متعلقة بالتجارة"** وتناولت فيه العاملين في حقل التجارة والأنواع المتعددة للبيع داخل الأسواق، بالإضافة إلى المكاييل والموازين والمقاييس، كما تعرضت إلى المشكلات التي تنجم في الأسواق عن عملية البيع والشراء، وأشرت أيضًا فيه إلى النظام النقدي لدولة بنى مرين الذى يعد الوسيلة الرئيسية؛ لإتمام عمليات البيع والشراء داخل الأسواق، كما أوضحت نظام جباية الضرائب الذى فرضته دولة بنى مرين على التجار؛ للسماح لهم بمزاولة النشاط التجاري في أسواقها.

وجاء **الفصل الرابع** بعنوان **"تجارة والمجتمع"** وفيه أبرزت دور العناصر السكانية للمجتمع المريني في التجارة، كما أوضحت جوانب من حياتهم الاجتماعية داخل المجتمع؛ لكونهم جزءًا لا يتجزأ من المجتمع المريني، فضلاً عن ارتباط التجارة بالمتغيرات التي تطرأ على المجتمع، سواء أكانت بالسلب أم بالإيجاب، كما أوضحت ارتباط التجارة بالنواحي الثقافية داخل المجتمع المريني.

ثانيًا: عرض لأهم المصادر والمراجع:

اعتمدت في دراستي على عدد ضخم من المصادر العربية المتخصصة في التاريخ والجغرافية والأدب والتراجم والفقه والرحلات بعضها معاصر للأحداث وبعضها متأخرة عن فترة الدراسة، كما استفدت بكثير من المراجع الحديثة التي تناولت موضوع الدراسة من قريب أو بعيد، وبطبيعة الحال لن أتمكن من عرض جميع المصادر التي اعتمدت عليها في الصفحات التالية ولكنني سوف أقوم بعرض موجز لأهمها مرتبة وفقًا لتاريخ وفاة كل مؤلف من الأقدم للأحدث طبقًا لما تقتضيه الدراسة.

أ) المصادر التاريخية :

١- ابن أبى زرع :على بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبى زرع الفاسى (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م):

قدم لنا ابن أبى زرع كتابين مهمين جدًا لتلك الدراسة **أولهما الذخيرة السنية**[١] الذى قدم لنا الكثير من المعلومات حول نسب دولة بنى مرين وصراعها مع الدولة الموحدية الذى انتهى بإسقاطهم لحكم دولة الموحدين وتفكك أوصال دولتهم، **والثانى الأنيس المطرب**[٢]، الذى اعتمدنا عليه في كثير من مواطن الدراسة، حيث قدم لنا معلومات اقتصادية مهمة، خاصة حول النشاط التجاري للدولة، فرصد لنا المنشآت التجارية داخل أسواق مدينة فاس، كما أمدنا بكثير من المعلومات عن دور سلاطين بنى مرين في تدعيم النشاط التجاري لدولتهم، من خلال الإجراءات التي اتخذوها؛ لضبط النقد والأوزان وجباية الضرائب، بالإضافة إلى دورهم الذى أدوه حينما أصيبت المغرب بالكوارث الطبيعية وكيفية التصدي لتلك الأزمات.

٢- ابن يوسف الحكيم: أبى الحسن على بن يوسف الحكيم (كان حيًا حتى عام ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦م):

يعد كتاب **الدوحة المشتبكة**[٣] من أهم المصادر التاريخية التي أمدتني بالمعلومات القيِّمة في دراستي، خاصة الجزء الخاص بالنقود والمكاييل والموازين، فقدم لنا كثيرًا من المعلومات عن ذلك، لكونه كان ناظرًا لدار السكة في مدينة فاس، كما أمدنى بمعلومات عن حوادث الغش والتزييف والتدليس في أوزان العملة، فضلاً عن كشفه

(١) الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،١٩٧٢م.
(٢) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور لطباعة والورقة، الرباط،١٩٧٢م.
(٣) الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق حسين مؤنس، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٦م.

لدور اليهود في ذلك الفساد الذى أدى إلى وجود العديد من المنازعات التجارية داخل الأسواق، كما أدى ذلك إلى الإخلال في النقد المريني.

٣- ابن الخطيب: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م):

يعد ابن الخطيب من أهم مؤرخي تلك الفترة، حيث كان شاهدًا على العصر؛ لذا تميزت مؤلفاته بغزارة معلوماتها وتنوعها، ومن ثم اعتمدت على العديد من مؤلفاته؛ لإتمام دراستي، ومنها:

- **معيار الاختيار**[١]**:** وأمدني بكثير من المعلومات الاقتصادية عن المدن، كما انفرد بتحديد بعض الخصائص المميزة للنشاط التجاري لبعض المدن دون غيره من المصادر.
- **نفاضة الجراب**[٢]**:** وقد أمد الدراسة بكثير من المعلومات عن الأنشطة الزراعية لبعض المدن والأسواق التي تقوم فيها، كما أبرز لنا دور القبائل القاطنة في تلك المناطق في جباية الضرائب، وانفرد ببعض الأحداث التي طرأت على المنشآت التجارية في الأسواق.

٤- ابن مرزوق: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن مرزوق التلمسانى (ت٧٨١هـ /١٣٧٩م):

لقد استعنت بكتابين من مؤلفات ابن مرزوق **الأول**: **كتاب المسند**[٣] الذى قدم لي كثيرًا من المعلومات التي تخص النشاط التجاري، خاصة في عهد السلطان أبى الحسن المريني (٧٣١– ٧٥٠هـ /١٣٣١ – ١٣٤٩م) حيث قدم معلومات غزيرة عن العلاقات الخارجية للدولة في تلك الفترة مع حكام الدول الأخرى والهدايا المتبادلة بينهما، وهو ما ترتب عليه تزايد حجم التبادل التجاري الخارجي للدولة، كما أمدنى بكثير من المعلومات عن الإصلاحات التي قام بها السلطان أبو الحسن المريني من أجل تدعيم النشاط التجاري، فعمل على تأمين الطرق البرية والبحرية، بالإضافة إلى أنه عمل على ضبط نظام جباية الضرائب للدولة.

---

[١] معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م.

[٢] نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ج٢، تحقيق أحمد مختار العبادى، مراجعة عبد العزيز الأهوانى، دار الكتاب العربي لطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ طبع.

[٣] المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبى الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغرا، تقديم محمود بو عياد، وزارة الثقافة، الجزائر، ٢٠٠٨.

أما الكتاب الثانى فهو **المناقب المرزوقية**[١] الذى أمدنى بكثير من المعلومات حول العلاقات الخارجية لدولة بنى مرين مع مصر ومالي، بالإضافة إلى الصراع المريني الزيانى وتأثيره على النشاط التجاري الخارجي.

٥- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن الحسن (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م) :

أمدنا ابن خلدون بالعديد من المؤلفات التي ساعدتني كثيرًا في إتمام الدراسة، وذلك لكونه كان يعمل في البلاط المريني، وكان جزءًا من نظام الحكم، وهو ما أتاح له الفرصة للاطلاع على مجريات الأمور، ومن كتبه هذه :

- **العبر وديوان المبتدأ والخبر**[٢]**:** انفرد ابن خلدون في هذا الكتاب في مجلده السابع بالحديث عن دولة بنى مرين، من حيث نسبها وكيفية قيامها وعلاقاتها مع الدول الخارجية وتأثير هذا على النشاط التجاري الخارجي.
- **المقدمة**[٣] **:** من خلالها استطعت الحصول على معلومات قيمة حول النشاط التجاري الداخلي داخل المجتمع المريني.
- **التعريف بابن خلدون**[٤]**:** أعطانا هذا الكتاب الكثير من المعلومات حول النشاط التجاري بين دولة بنى مرين ومصر وحجم التبادل التجاري بينهما والسفارات والهدايا المتبادلة بين الدولتين.

ب- كتب الجغرافيا:

١- العمرى: شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م):

جاءت فائدة هذا الكتاب[٥] لكونه يعد وثيقة اقتصادية مهمة عن أحوال المغرب في عصر السلطان أبى الحسن المريني، تقدم لنا وصفًا جغرافيًا دقيقًا لكل مدينة من أملاك بنى مرين، والأحوال الزراعية والصناعية والتجارية داخل كل مدينة.

---

(١) المناقب المرزوقية لأبى عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، تحقيق سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٨م.

(٢) تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، ٧ أجزاء، دار الكتاب المصرى ودار الكتاب اللبنانى، القاهرة – بيروت، ١٩٩٨.

(٣) مقدمة ابن خلدون، تحقيق محمد محمد تامر، مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، ط١، ص ٢٠٠٥م.

(٤) تعريف بابن خلدون ورحلته شرقًا وغربًا، عارضه بأصوله وعلق حواشيه محمد بن تاويت الطنجى، قدم هذه الطبعة عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.

(٥) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وآخرون مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٢.

٢- الحميرى: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت أواخر القرن الثامن):

يعد كتاب الحميري[١] من الكتب المهمة التي اعتمدت عليها في الدراسة، نظرًا لتعريفه الكثير من المدن المغربية، فضلاً عن تعريفه لبعض المواقع التي كانت مبهمة، ولم يرد ذكر لها في مصادر أخرى، وفي ضوء هذه المعلومات استطعنا تبين القاعدة الإنتاجية لكل مدينة ونشاطها التجاري الذى يمارسه أهلها، وهل كان لها نشاط تجارى مع تجار الأجانب أولاً ؟، كما أمدنا بكثير من المعلومات عن الوصف العمراني لتلك المدن، ونلاحظ أن الحميري اعتمد في كثير من معلوماته على البكري[٢] والإدريسي[٣] وصاحب الاستبصار[٤]، وبهذا يكون أعطانا صورة واضحة مقارنة بين ماضي المدينة وحاضرها، وهل حدث تغير بها أو ظلت كما هي.

٣- الأنصارى السبتى: أبو عبد الله محمد بن القاسم (من رجال القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى):

أمدنا الأنصاري السبتى من خلال كتابه[٥] بكثير من المعلومات القيمة حول ثغر سبته سبته الذى يعد من أهم المراكز التجارية البحرية لدولة بنى مرين، إذ كان محطًا للعديد من السفن الأجنبية من مختلف الأرجاء، فيعد كتابه وثيقة اقتصادية مهمة رصد فيها النشاط التجاري للمدينة رصدًا مفصلاً، من حيث إعداد الحوانيت والفنادق والأسواق والأفران، كما قدم لنا وصفًا لميناء المدينة؛ لكونها ثغرًا بحريًا مهمًا للدولة.

ج- كتب الرحلات:

١- العبدرى: أبو عبد الله محمد بن محمد بن على بن أحمد بن مسعد العبدرى(٧٥٧هـ / ١٣٥٦م):

قدم لنا العبدرى من خلال رحلته[٦] وصفًا دقيقًا للطرق التجارية التي تمر بها القوافل التجارية الخارجة من دولة بنى مرين إلى المشرق الإسلامي ومصر، وأهم المراكز

---

[١] الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت،١٩٨٤.

[٢] البكرى: أبو عبد الله بن عبد العزيز(ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م): المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، بدون تاريخ طبع.

[٣] الإدريسى: أبى عبد الله محمد بن عبد الله الحسنى الحموى (ت ٦٤٦هـ / ١٢٥١م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافية، جزءان، د. ت.

[٤] مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشئون الثقافية العامة، العراق، بغداد، ١٩٨٩.

[٥] اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار، تحقيق عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٧٠.

[٦] رحلة العبدرى المسماة بالرحلة المغربية، حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسى، وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية والتعليم الأصلى، الرباط، ١٩٦٨.

التجارية التي تمر بها وتقدير المسافات، كما أعطانا كثيرًا من المعلومات حول المخاطر التي تواجهها القوافل التجارية أثناء رحلاتها من سلب وسرقة وقتل، وتهديد لحياة التجار، بالإضافة إلى رصده للأسواق التجارية التي تقام أثناء رحلات الحج.

٢- البلوى: خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبى خالد (ت بعد ٧٦٥هـ / ١٣٦٤م):

أمدنا البلوى من خلال رحلته[١] بكثير من المعلومات عن الطريق التجاري الرابط بين دولة بنى مرين من جهة ومصر والمشرق العربي والمراكز التجارية التي تمر بها القوافل التجارية، من جهة أخرى، إلا أنه ركز في رحلته على وصف الجانب الثقافي لكل مدينة أكثر من الجوانب التجارية.

٣- ابن الحاج النميرى: إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن موسى بن الحاج النميرى (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) :

زودنا ابن الحاج النميري من خلال رحلاته[٢] التي رافق فيها السلطان أبى عنان فارس (٧٥٠- ٧٥٩هـ/١٣٤٩– ١٣٥٩م) أثناء حملته على مدينتي قسنطينة والزاب، كثيرًا من المعلومات عن المدن التي مر بها، كما رصدنا من خلال الرحلة التطور الذى حدث على الأسطول البحري لدولة بنى مرين في تلك الفترة، بالإضافة إلى أنه زودنا بكثير من المعلومات حول الاتفاقيات التي عقدها السلطان أبو عنان فارس مع الدول الأجنبية في تلك الفترة.

٤- ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتى الطنجى (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م):

من خلال ما رصده ابن بطوطة في رحلته[٣] عرفنا العديد من المعلومات المهمة حول أحوال التجارة في تلك المجتمعات التي مر بها أثناء رحلته، فرصد حجم التبادل التجاري بين تلك الدول ودولة بنى مرين، بل انفرد بتقديم مقارنات اقتصادية بين تلك الدول وبنى مرين، كما أعطانا رسمًا تفصيليًا حول الطرق الرابطة بين دولتي مالي وبين بنى مرين، وحدد المسافات بين كل مدينة، كما رصد لنا أحوال التجار المرينيين داخل المجتمع المالي وحجم تجارتهم في هذا المجتمع

---

(١) تاريخ المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن السائح، صندوق إحياء التراث الإسلامى بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، د. ت .

(٢) فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وتحقيق رضوان البارودى، أحمد الطوخى، تحت الطبع.

(٣) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ٤ أجزاء، نشره وترجمه إلى الفرنسية ديفريمرى وسانجونتوتنى، باريس، ١٩٦٩.

٥-الوزان :الحسن بن محمد الوزان الزياتى (٩٥٧هـ /١٥٥٠م):

تعد رحلة الوزان[١] من أهم الرحلات التي اعتمدت عليها في دراستي؛ رغم أنها متأخرة نسبيًا، فأمدتني بكثير من المعلومات عن المدن التي زارها خلال رحلاته، حيث قدم الوزان وصفًا دقيقًا لكل مدينة، من حيث موقعها الجغرافي ومواردها الاقتصادية ونشاطها التجاري، كما أعطانا كثيرًا من المعلومات عن الجوانب الاجتماعية لسكان تلك المدن.

د - كتب التراجم :

١- البادسى:عبد الحق بن إسماعيل بن أحمد بن أحمد بن محمد بن الخضر البادسى الغرناطى (ت في أوائل القرن الثامن الهجرى – الرابع عشر الميلادى):

أمدنى البادسى من خلال التراجم التي وردت في كتابه [٢] الذى يعد معجمًا جغرافيًا بمعلومات عن القبائل، حيث حددها بأسمائها ومواطنيها تحديدًا دقيقًا، كما أمدنا بكثير من المعلومات عن السفن البحرية التي كانت تستخدم في التنقل بين الثغور البحرية لدولة بنى مرين، كما ذكر لنا بعض حوادث القرصنة التي حدثت لتلك السفن أثناء إبحارها.

٢- ابن القاضى: أحمد بن محمد بن أبى العافية المكناسى (٩٦٠ هـ - ١٠٢٥هـ / ١٥٥٢ – ١٦١٦م):

لابن القاضى مؤلفان اعتمدت عليهما في دراستى: **أولهما: جذوة الاقتباس**[٣]، **والثانى: درة الحجال**[٤]، وقد زودانى بكثير من المعلومات عن الحياة اليومية في مدينة فاس، كما أمدانى بكثير من المعلومات حول المؤسسات الثقافية والازدهار في مدينة فاس بصفتهما مركزًا تجاريًا ثقافيًا، كما أمدنى مؤلفهما من خلال تراجمه عن اشتغال العلماء في مجال التجارة.

---

(١) وصف إفريقية، ترجمة عبد الرحمن حميدة، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٣٩٩ هـ.

(٢) المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٩٣.

(٣) جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، قسمان، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣.

(٤) ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور، الجزء الأول، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس .

و- كتب الفقه والدين:

١- ابن الحاج :أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدرى المالكى الفاسى (ت ٧٣٧هـ/١٣٣٦م):

يعد كتاب **(المدخل)** لابن الحاج[١] من الكتب الفقهية التي أمدتنى بمعلومات وفيرة عن البضائع المتداولة داخل الأسواق المرينية والتبادل التجاري الذى يحدث فيما بين المدن، كما أعطانا معلومات عن أحوال التجار داخل الأسواق، وانفرد ابن الحاج في إبراز دور المحتسب ومراقبته للتجار وجودة البضائع المباعة داخل الأسواق، حيث كان يراجع هذه البضائع، وأيضًا زودنا بمعلومات عن كيفية معاقبة أى مذنب من التجار، إذا تجاوز المعيار المحدد لإنتاج البضائع.

٢- الونشريسى: أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد (ت ٩١٤هـ / ١٥٠٨م):

يعد كتاب المعيار المعرب[٢] من أهم الكتب الفقهية التي اعتمدت عليها في جميع فصول البحث، حيث أمدنى بكثير من المعلومات؛ وذلك لاحتوائه على العديد من الفتاوى والنوازل الفقهية التي عبرت عن واقع الحياة داخل المجتمع التجاري المريني، فزودني بمعلومات عن طرق البيع والشراء في الأسواق، بالإضافة إلى كيفية حل المنازعات الناتجة عن ذلك، كما زودنا بأخبار حول قيمة إيجارات الحوانيت، فضلاً عن دور الدولة في متابعة حركة التجارة داخل الأسواق من خلال المحتسب، يضاف إلى ذلك معلوماته عن النقد المريني والمكاييل والموازين، واستطعنا من خلال ما قدمه لنا رصد فترات الكساد التجاري والازدهار.

هـ - كتب الشعر والأدب :

المقرى: أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى العيش (ت ١٠٤١هـ /١٦٣١م):

للمقري مؤلفان مهمان يتصلان بموضوع هذه الدراسة : **أولهما : نفح الطيب**[٣] ويعد من أهم الكتب التي أمدتني بمعلومات كثيرة حول النشاط التجاري بين المغرب والأندلس، ومدى تأثير الجالية الأندلسية على كثير من الجوانب في النشاط التجاري، بالإضافة إلى استعانة البلاط المريني بهم في بعض الأعمال.

---

(١) المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات على بعض البدع والفوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها، ٤ أجزاء، دار التراث، القاهرة، ١٩٩٩.

(٢) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، ١٢ج، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨١.

(٣) نفح الطيب غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ٩ج، تحقيق إحسان عباس.

والثاني: أزهار الرياض[1] فقد زودني بالعديد من المعلومات عن مدينتي فاس وسبتة والنشاط التجاري بهما، فضلاً عن بعض الأخبار حول ارتباط النواحي الثقافية بالنشاط الحرفي التجاري الذى أسهم في ازدهار النواحي الثقافية.

ي- المراجع الحديثة :

لا يمكننا أن نغفل الدراسات الحديثة التي كان لها دور فعال في إتمام هذه الدراسة، ولقد تنوعت هذه الدراسات ما بين عربية ومعربة ومراجع أجنبية ودوريات، ومنها:
مؤلفات محمد المنونى: ومنها: **(ورقات عن حضارة المرينيين)** الذى قدم لي الكثير عن النشاط التجاري، سواء أكان داخليًا أم خارجيًا، بالإضافة إلى العديد من الأبحاث المتنوعة المنشورة في العديد من المجلات، واستعنت أيضًا **بمؤلفات مصطفي نشاط،** ومنها **(إطلالات على تاريخ المغرب خلال العصر المريني)** وقد زودني بمعلومات فيما عدة، فيما يخص النشاط التجاري، من حيث أهم البضائع المتبادلة داخل الأسواق، كما أبرز دور التجار اليهود في النشاط التجاري، كذلك بكتاب **مزاحم علاوى الشاهري (الأوضاع الاقتصادية في المغرب في العصر المريني الأول)** وقد أفادني هذا الكتاب كثيرًا، حيث أمدنى بكثير من المعلومات القيمة في العديد من نقاط الدراسة.

كما استعنت **بالمراجع الأجنبية المعربة**، مثل **مؤلفات روجيه لوتورنو** الأول، ومنها: **(فاس في عصر بنى مرين)** الذى قدم لى معلومات كثيرة عن الحياة اليومية داخل المجتمع المريني ومن خلالها استطعت رصد أهم الظواهر التجارية التي تحدث داخل المجتمع، بالإضافة إلى **مؤلفه الثاني (فاس قبل الحماية)** الذى أمدنى بمعارف حول المنشآت التجارية الداخلية، خاصة في مدينة فاس؛ كما استعنت بكثير من **المراجع الأخرى** التي أثرت الدراسة وقدمت لى معلومات هامة في مجال البحث ومنها كتاب **أ.د/ محمد عيسى الحريرى**، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (٦١٠ هـ - ١٢١٣م / ٨٦٩ هـ - ١٤٦٥م)، وقد استندت في هذه الدراسة أيضًا على بعض **الرسائل العلمية** التي قدمت الكثير من المعلومات تخص هذا البحث، مثل **رسالة أ.د/ رضوان البارودي (الحياة الحربية في عصر دولة بنى مرين)** حيث أفدت منها كثيرًا، خاصة في النشاط التجاري، فوضعت لي الخطوط الأساسية حول طبيعة العلاقات بين دولة بنى مرين والدول الأجنبية، كما أسهمت في إعطائى أهم الاتفاقيات التي عقدها المرينيون مع تلك الدول، وقد استعنت أيضًا بكثير من المراجع الأخرى التي أثرت الدراسة، وقدمت لها معلومات طيبة في مجال البحث، وكان لها دور بارز وفاعل في إتمامها، حتى تخرج في هذا الشكل الأخير، ولولا خوف الإطالة، لتحدثت عنها جميعًا؛ نظرًا لأهميتها وقيمتها التي لا تنكر.

---

[1] أزهار الرياض في أخبار القاضى عياض، جزءان، تحقيق مصطفي السقا وإبراهيم الإبيارى، عبد الحفيظ شلبى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩.

أسفرت هزيمة الموحدين في موقعة العقاب (٦٠٩ هـ / ١٢١٢م)، عن تفكك أوصال دولتهم وتصدعها وتغير في الخريطة السياسية الجغرافية للمغرب، إذ أعقب ذلك قيام ثلاث دول في المغرب والرابعة في الأندلس، ففي المغرب الأدنى قامت الدولة الحفصية، وفي المغرب الأوسط دولة بنى زيان [وبنى عبد الواد]، وفي المغرب الأقصى دولة بنى مرين التي هى موضوع دراستنا، والرابعة في الأندلس وهى دولة بنى الأحمر.

أولاً: قيام دولة بنى مرين

عقب انتصار القوات القشتالية على القوات الموحدية في معركة العقاب، تزايدت الفتن وثورات القبائل ضد دولتهم[١]، فاضطربت الأحوال السياسية، وصاحب ذلك كثرة المفسدين وقطاع الطرق واختلال الأمن وغلاء الأسعار وعم الخراب في البلاد[٢]، كل هذه الظروف ساعدت على غياب سلطة الدولة هو ما هيأ الظروف لظهور دولة بنى مرين.

إذا ألقينا الضوء على نشأة هذه الدولة، نجد أن المرينيين يرجع أصلهم إلى قبيلة زناتة البترية وينتسبون إلى جدهم "مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديح بن فاتن بن بدر بن تخفت بن عبد الله بن ورتبص ابن المعز بن إبراهيم بن سيحك بن واشين"[٣]، وعلى الرغم من أن بنى مرين ينتمون إلى البربر إلا أنهم ادعوا النسب إلى عرب مضر، بحيث يلتقون مع نسب الرسول صلى الله عليه وسلم، لكونهم أشبه الناس بالقبائل العربية من حيث سكن الخيام ورعى الأغنام وركوب الخيل[٤]، إلا أن هذا

---

(١) ابن الخطيب: رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، ١٣١٦ هـ ص ٦٠، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٣٦ وانظر أيضًا: عمار بوحوش: التاريخ السياسى للجزائر من البداية ولغاية ١٩٦٢، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص ٤٢.

(٢) عبد الملك المراكشى: الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، ١٩٨٤ م، سفر ٨، ق١، ص ١٧٩، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٢٤٨، ابن أبى دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية، تونس، ١٢٨٦هـ، ص ١٣٧.

(٣) ابن أبى زرع: الذخيرة، ص ١٤، ابن خلدون: العبر، مج ٧، ج١٣، ص ٣٤٣ وانظر أيضًا أغا بن عودة المزارى: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وأسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، دار البصائر، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧، ص ١٦٤.

(٤) مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديث، الدار البيضاء، ط١، ١٩٧٩، ص ١٧١، عبد الواحد الملزوزى: نظم سلوك في الأنبياء والحلفاء، مطبوعات القصر الملكى، الرباط، ١٩٦٣، ص ٧٦ وانظر أيضا: قايد مولد: البربر عبر التاريخ من الكاهنة إلى العهد التركى، ترجمة إبراهيم سعدى، منشورات ميمونى، الجزائر، ٢٠٠٧، ج٢، ص ١٤٩، عبد الوهاب ابن منصور: مناقب أهل الصحراء في تشيد صرح الأمة المغربية الغراء، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٧٥، ص ٧٥.

غير صحيح فلا توجد علاقة بين بني مرين والعرب[1]، واتسمت قبائل بنى مرين بأسلوب البداوة الذى غلب على كل شيء في حياتهم، فهم لا يدخلون تحت حكم سلطان، ولا يؤدون الضرائب، كما أنهم لا يعرفون التجارة ولا الحرث، فكان شغلهم الصيد وشن الغارات على أطراف البلاد[2]، لذلك تعددت منازلهم، ويرى عدد من المؤرخين أن بنى مرين قد امتد ملكهم ما بين بلاد الزاب إلى تاهرت وأحواز تلمسان فقط[3]، في حين رأى آخرون أنهم يرحلون في فصل الربيع إلى المغرب الأقصى لرعى أنعامهم فيما بين ملوية[4] وفيكيك ثم سجلماسة وإذا اقترب الشتاء، رجعوا إلى موطنهم الأصلي في بلاد الزاب[5].

وقد خاض بنو مرين حروبًا كثيرة كللتها بقيام دولتهم، وكان أول ظهور لدولة بنى مرين كقوة سياسية على مسرح الأحداث على يد المخضب بن عسكر بن محمد الذى استطاع السيطرة على بلاد الزاب وتوحيدهم تحت رايته، إلا أنه قتل في اشتباك ضد الموحدين، وذلك حينما اعترض المرينيون لقافلة موحدية، فلما علم الموحدون بذلك، أرسلوا جيشًا لمحاربتهم واستعادة القافلة، وبالفعل نجحوا في استعادتها وهزموا المرينيين وقتل المخضب في عام ٥٤٠هـ /١١٤٥م[6]، وبعد وفاته عاش المرينيون فترة من السلام مع الموحدين وذلك بعد أن تولى أمرهم أبو بكر بن حمامة بن محمد بن وزير (ت ٥٦١ هـ /١١٦٥م)، فنهج ابنه محيو نهجه بل إنه عمل على مساعدة الموحدين في معاركهم الكبرى التي خاضوها في الأندلس ضد النصارى وأحدثت

---

(1) وهذا ما أكده لنا الأستاذ الدكتور / رضوان البارودى في رسالته الحياة الحربية في دولة بنى مرين، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٩، ص ٣.

(2) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٢٨٢، السلاوى: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ط١، ٢٠٠٧، ص ٣٦٢.

(3) الإدريسى: المصدر السابق، ص ٢٥٦، مجهول: المصدر السابق، ص ١٨٦، ابن مرزوق: المسند، ص ١١٠.

(4) وادى ملوية: يمثل الحد الفاصل بين المغرب الأوسط والأقصى، وينبع من جبال الأطلس في منطقة الحوز ويصب في بحر الروم، ويبلغ طوله ٥٠٠ كم (الزهرى: الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، د. ت، ص ١٤٠، الوزان: المصدر السابق، ص ٦٢٦. وانظر أيضًا سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربى (من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٩، ج١، ص ٧٩).

(5) ابن خلدون: العبر، مج٧، ج١٣، ص ١٢٨، السلاوى: المصدر السابق، ص ٣١٣، وانظر أيضًا: محمد الفاسى: دراسات مغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٠، ص ٨.

(6) ابن أبى زرع: الذخيرة، ص ٢٠ – ٢١، ابن الأحمر: النفحة النسرنية واللمحة المرينية، تحقيق عدنان محمد آل طمعة، مطبعة الشام، دمشق، ١٩٩٢، ص ٣٢.

صيتًا واسعًا لهم في العالم الإسلامي في ذلك الوقت، وهى موقعة الأرك Alarcos (٥٩١هـ / ١١٩٥م)[١].

ولما تولى الأمير عبد الحق بن محيو (٦١٠ – ٦١٤هـ / ١٢١٣– ١٢١٧م)، دخلت بنى مرين طورًا جديدًا من حياتها السياسية، فيعد الأمير عبد الحق المؤسس الحقيقي لدولة بنى مرين، فعمل على استتباب الأمن والقضاء على البغاة والمعتدين الذين نشطوا لغياب الأمن في دولة الموحدين، ولما أحس الموحدون عملوا على القضاء عليهم، ولكن منيت قواتهم بهزيمة نكراء، على يد الأمير عبد الحق، وسمى هذا العام بعام المشعلة (٦١٣هـ – ١٢١٦م) نسبة إلى الموقعة التي دارت بينهم[٢] ولم يعمرعبد الحق بن محيو كثيرًا، فتوفي في عام (٦١٤هـ – ١٢١٧م)، وذلك في مواجهته ضد عرب رياح[٣] الذين تحالفوا مع الموحدين ضده[٤]، فتولى بعده ولده أبو أبو سعيد عثمان بن عبد الحق بن محيو (٦١٤– ٦٣٧هـ / ١٢١٣– ١٢٣٩م) الذى عمل على إخضاع قبائل رياح وإجبارهم على دفع غرامة سنوية لهم، كما نشر سيطرته على جميع المدن والقبائل من وادى ملوية لرباط[٥]، إلا أنه قتل غدرًا على يد مواليه بتحريض من الموحدين عام (٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م)[٦].

---

(١) ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ٢٣، انظر أيضًا: محمد عبد الله عنان: الدولة الإسلامية في الأندلس (عصر المرابطين والموحدين في الأندلس)، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠، ق٢، ص ١٩٨، رضوان البارودى: الحياة الحربية، ص ٧.

(٢) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ق الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتانى وآخرون، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ص ٢٦٥ – ٢٦٦، ابن الأحمر: روضة النسرين في دولة بنى مرين، الرباط، ١٩٦٢، ص ١٤.

(٣) قبائل رياح: هم من أهل القبائل بنى هلال العربية، مساكنهم في أفريقية بنواحى قسنطينة والمسيلة والزاب (القلقشندى: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتب المصرية، دار الكتب اللبنانى، القاهرة، بيروت، ط٢، ١٩٧٢، ص ٢٦٦، وانظر أيضًا: عبد الوهاب ابن منصور: قبائل المغرب، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٨، ج١، ص ٤٣١).

(٤) ابن مرزوق: المسند، ص ١١١، السلاوى: المصدر السابق، ج١، ص٣٦٧، انظر أيضًا: شارل شارل أندرى جوليان: تاريخ إفريقي الشمالية، تعريب محمد مزالى والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٨، ص ٢١٣.

(٥) مدينة رباط: تقع بالقرب من جبل تازا الفاصلة بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وهى تشرف على جبل عال، تشقها جداول المياه العذبة، لذلك يكثر فيها الزرع والفواكه وجميع الخيرات (الحميرى: المصدر السابق، ص ١٢٨).

(٦) ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص ٣٥٣، ابن خلدون: العبر، مج٧، ج١٣، ص ٣٥٠ – ٣٥١، محمد عيسى الحريرى: تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس في العصر المرينى (٦١٠هـ/١٢١٣م) (٨٦٩/ ١٤٦٥م)، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط٢، ١٩٨٧، ص١٤.

وبعد وفاته تولى أبو معروف محمد بن عبد الحق(٦٣٧ـ ٦٤٢هـ/١٢٣٩ـ ١٢٤٤م) وسار على سياسة من سبقوه، فعمل على أخذ الضرائب من أنصار الموحدين والمغارم من القبائل[١]، ولكنه قتل في معركة دارت بينه وبين الموحدين حول أحواز فاس في عام (٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م) ومنى فيها بنو مرين بالهزيمة[٢]، ثم تولى بعده أبو بكر عبد الحق (٦٤٢ـ٦٥٦م/١٢٤٤ـ ١٢٥٨م) الذى تميز بالدهاء والحنكة العسكرية، وهو أعطى المرينيين المزيد من النجاح فسيطر على سلا ورباط في (٦٤٩هـ/١٢٥١م) وسجلماسة ودرعة[٣] في ٦٥٥هـ/١٢٥٧م[٤]، وبذلك دخل المرينون مرحلة جديدة، إلا أنهم انقسموا على من يتولى أمرهم وحسم هذا الانقسام لمصلحة يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦ـ ٦٨٥هـ/ ١٢٥٨ـ١٢٨٦م)[٥]، الذى تمكن من من وضع حد للصراع المرينى الموحدى، وذلك بدخوله عاصمة الموحدين مراكش وذلك يوم الأحد التاسع من محرم (٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) بعد صراع طال على مدار السنين[٦].

وبدأ المرينيون يثبتون أركان ملكهم وتوسيعه، واعتبروا أنفسهم الورثة الشرعيين لدولة الموحدين لذا حاولوا السيطرة على بلاد المغرب وتوحيده كما كان على عهد الموحدين، ويعد العصر المريني الأول الذى يمتد من (٦٦٨ ـ ٧٥٩ هـ / ١٢٦٩ ـ ١٣٥٩م) من أزهى عصور دولة بنى مرين، فشهد كثيرًا من التطورات السياسية التي أثرت بشكل مباشر على التجارة، سواء الداخلية أو الخارجية، وذلك من خلال إقامة العلاقات والمعاهدات مع الدول الخارجية مثل مصر والسودان وبلاد الأندلس، هو ما أسهم في تطوير التجارة الخارجية وفتح أسواق جديدة لتجار بنى مرين في الخارج، كما عمل سلاطين بنى مرين على تطوير الصناعات التجارية، وذلك من

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، مج٧، ج١٣، ص ٣٥١، السلاوى: المصدر السابق، ص ٣٦٧، ٣٦٨.

(٢) ابن خلدون: نفس المصدر والمجلد والجزء، ص ٣٥٢، ابن عذارى: المصدر السابق، ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦، مجهول: الحلل، ص ١٧٣.

(٣) درعة: مدينة صغيرة في جنوب المغرب تعرف بواديها الذى ينبعث من جبل درن وبينه وبين سجلماسة وبين السوس الأقصى (٩٠ كم)، الحميرى: المصدر السابق، ص ٢٣٥.

(٤) ابن أبى زرع: الذخيرة، ص ٧٩، وله أيضًا الأنيس المطرب، ص ٢٩٦، وانظر أيضًا: مصطفي أبو ضيف: أثر القبائل العربية في الحياة المغربية في خلال عصر الموحدين وبنى مرين (٥٢٤- ٨٧٦ هـ/ ١١٣٠- ١٤٧٢م) مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٢، ص ١٦٥.

Kably (m): Societ , pouvoir et religion au Marco a fin du moyen age , Paris , .1986 , p. 43

(٥) ابن الأحمر: النفحة، ص ٣٦، ابن مرزوق: المسند، ص ٢١٥.

(٦) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٣٠٧، المقرى: نفح الطيب، ج٤، ص ٣٧٤.

خلال إقامة المشروعات وبناء المدن مما ساعد على تنشيط حركة التجارة الداخلية للدولة.

ثم دخلت بنى مرين طور الضعف الذى امتد من (٧٥٩–٨٧٦ هـ/ ١٣٥٩– ١٤٧٢م) وانتهى بقيام دولة الوطاسيين، ومع هذا لم يخل هذا العصر من فترات انتعاش تجارى، وكل هذا سوف يتضح خلال فصول الرسالة.

ثانيًا: عوامل ازدهار النشاط التجارى لدولة بنى مرين:

(أ) الموقع الجغرافي:

اتسم المغرب الأقصى بالتنوع الجغرافي وهو ما خلق تعدد في الموارد الطبيعية وهو ما هيأ لدولة بنى مرين على قاعدة عريضة من الثروات الطبيعية أهلتها للقيام بنشاط تجارى هام وبارز في المغرب كله.

والمغرب الأقصى سمى بذلك، لأنه أبعد أقسام المغرب عن دار الخلافة، ويمتد من وادى ملوية شرقًا حتى مدينة آسفي على المحيط الأطلسي غربًا وجبال درن جنوبًا[١]، فحين ظلت الحدود الشرقية لدولة بنى مرين قابلة للاتساع والانكماش طول فترة قيامها، ولكن ظل نهر ملوية وجبال تازا[٢] هما الحد الفاصل الطبيعي الذى يفصل بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى.

وأرض بلاد المغرب الأقصى تتكون من سلاسل جبلية وهضاب تتخللها وديان، فكانت عامل جذب للتجمعات السكانية، وإقامة المدن بها، ومن أبرزها في الجنوب جبل درن (سلسلة جبال أطلس الكبرى)[٣] أما شماله عبارة عن منطقة جبلية هضبية من أبرز مميزاتها الجغرافية أنها مطلة على بحر الروم (البحر المتوسط) وتعرف

---

(١) مجهول: الاستبصار، ص ١٨٦، كما عرفه أبو الفداء: "المغرب الأقصى هو ساحل البحر المحيط إلى تلمسان غربا وشرقًا من سبتة إلى مراكش ثم إلى سجلماسة وما فيها شمالاً وجنوبًا (تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٢، ص ١٢٢، وانظر أيضًا السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص ٤١).

(٢) **جبال تازا:** هى جبال عظيمة حصينة، وبها العديد من البساتين التي تنتج العديد من الفواكه، وأكثر شجرها من الجوز، سكنها من القبائل البربر وأنشأت بقرب منها مدينة الرباط (مجهول: المصدر السابق، ص ١٨٦، الحميرى: المصدر السابق، ص ١٢٨).

(٣) **جبل درن:** تبدأ من البحر المحيط من أقصى السوس، وتمر مع المشرق مستقيمة حتى تصل إلى جبال نفوسة أرض خصبة فتنتج، فيها الفواكه كالتين بالغ الحلاوة والعنب واللوز والجوز(الحميرى: المصدر السابق، ص ٢٣٤ – ٢٣٥).

باسم الريف أو بلاد غمارة[1]؛ أما في الجنوب فقد امتدت الصحارى الشاسعة تتخللها الواحات الخضراء المتوفرة بها المياه الكافية لقيام النشاط الزراعي، وبفضل منابع المياه تلك تمكنت القوافل التجارية من اختراق هذه الصحارى الشاسعة[2]، وتميزت أيضًا الواجهة الغربية المطلة على المحيط الأطلسي بوفرة الأنهار كنهر أم الربيع[3]، نهر تانفست[4]، نهر بورقراق[5]، نهر درعة[6]، نهر سبو[7]، فضلاً عن نهر ملوية في الجهة الشمالية كما ذكرنا من قبل.

وبجانب الأنهار هناك العديد من العيون المائية[8]، فقد اشتهرت مدينة فاس بعيونها التي بلغت ثلاثمائة وستين عينًا[9]، وفي مدينة مكناسة عيون كثيرة لكن أهمها عين تاجما أو تاكما[10]، وتعددت عيون المياه بسجلماسة[11]، هذا فضلاً عن صهاريج

---

(1) **بلاد غمارة:** من أخصب جبال المغرب هى كثيرة الأعشاب والفواكه، ويبلغ طولها مسافة تقدر ب (١٢٠ كم) وعرضها (٩٠ كم)، مجهول: الاستبصار، ص ١٩٠.

(2) الاصطخرى: المسالك والممالك، نشره محمد جابر عبد العال، القاهرة،١٩٦١، ص ٣٧ وانظر أيضًا سعد زغلول: المرجع السابق، ص ١٦.

(3) **نهر أم الربيع:** ينبع من جبال صنهاجة (جبال أطلس الأوسط) التي تحوم على تادلة ومنطقة فاس، ومصبه في المحيط قرب مدينة أزمور مساحته (١٥٨٤ كم)(الزهرى: المصدر السابق، ص ١٤٠، الوزان: المصدر السابق، ص ٦٢٢ - ٦٢٣).

(4) **نهر تانفست:** ينبع من جبال الأطلس قرب مدينة أنماى شرق مراكش، ويتجه نحو الغرب ويصب في آسفي في منطقة دكالة. (الوزان: المصدر السابق، ص٦٢١).

(5) **نهر بورقراق:** ينبع من جبال صنهاجية ويصب بين مدينة سلا ومدينة الرباط، يبلغ طوله ٢٥٠ كم (الوزان: المصدر نفسه، ص ٦٢٣).

(6) نهر درعة: ينبع من جبال درن، يجرى من المشرق إلى المغرب، (مجهول: المصدر السابق، ص ٢٠٦).

(7) **نهر سبو:** ينبع من جبل يدعى سليلفو في أحوز فاس ويصب في المحيط. (الوزان: المصدر السابق، ص ٦٢٥).

(8) **العيون المائية**: تتكون من مياه الأمطار والثلوج التي تتساقط بكثرة في فصلين من السنة، ومن كثرة الثلوج التي تظل على قمم الجبال طوال السنة، لذلك استخدمت هذه القمم في بعض المناطق لزراعة القمح الذى بنيت تحت الثلج وكلما ذاب الثلج بدأت تظهر سيقان النبات وينمو الشعير هكذا (كربخال: إفريقيا، ترجمة محمد حجى وآخرون، دار المعرفة، الرباط، ١٩٨٩، ج١، ص ٣٢).

(9) العمرى: المصدر السابق، ج٤، ص ١١٢، القلقشندى: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٥، حققه وعلق عليه محمد حسنين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٤٨.

(10) مجهول: الاستبصار، ص ١٨٨، ابن غازى: الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٤، ص ٧، وانظر أيضًا محمد المنونى: حضارة الموحدين، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٩، ص ١٧٠.

(11) مجهول: الاستبصار، ص ٢٠١، وانظر أيضًا: عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي من خلال القرن السادس الهجرى، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٨٣، ص ٦٠.

المياه التي كانت معدة لاستقبال ماء المطر مثل صهاريج مدينة سبتة التي أشار إليها أبو الفدا بقوله **"ولها صهاريج من المطر"**[١].

يمتلك المغرب الأقصى أيضًا واجهتين بحريتين: الشمالية مطلة على البحر المتوسط، والغربية على المحيط الأطلسي[٢] وهو ما أسهم في تلطيف المناخ، وتنشيط وتنشيط حركة التجارة البحرية من خلال مدنها على طول سواحلها والتي كانت مراكز تجارية بحرية تعمل على التبادل التجاري بينها (أى دولة بنى مرين) والدول الأخرى، كما امتلكت هذه المدن ثروة سمكية ضخمة بسبب موقعها الجغرافي على السواحل، فمدينة سبتة كانت مياهها غنية بالأسماك، ويبدو هذا من قول **الإدريسي "بمدينة سبتة مصايد للحوت ولا يجد لها بلد في إصابة الحوت وجلبة، ويصاد بها من السمك نحو مائة نوع، ويصاد بها السمك التن الكبير الكثير"**[٣]، ولأنها أكثر المدن المغربية إنتاجا للسمك، فقد تنوعت بها طرق الصيد، فوصل عدد المضارب[٤] المضارب[٤] فيها إلى تسعة مضارب، أعظمها فائدة مضرب أويات[٥]، أما عن المصايد فبلغ عددها مئتين وتسعة وتسعين مصيدًا[٦]، كما يستخرج منها المرجان الذى يعد من أجود الأنواع[٧].

وسلا مثلها مثل سبتة في الثروة السمكية[٨]، أما مدينة أزمور[٩] فيكثر بها مصايد الأسماك حتى أنها تجنى من رسوم الصيد ما بين ستة آلاف وسبعة آلاف دينار

---

(١) أبو الفداء: المصدر السابق، ص ١٣٣، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص ١٥٢.
(٢) ابن سعيد: الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، ط١، ١٩٧٠، ص ١٣٧، المقري: نفح الطيب، ج١، ص ١٢٩.
(٣) نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٥٢٩.
(٤) مضارب: جمع مضربة، هو المكان الذى تضرب فيه الشباك لصيد السمك من البحر، (السبتى الأنصارى: المصدر السابق، ص ٥٥، هامش (٩٤)).
(٥) مضرب أويات: يقع هذا الوادى في الجبهة الجنوبية الشرقية لسبتة، (السبتى الأنصارى: المصدر نفسه والصفحة).
(٦) السبتى الأنصارى: المصدر السابق، ص ٥٥ – ٥٦.
(٧) ابن حوقل: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩، ص ٧٩، الإدريسى: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٢٩.
(٨) ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص ١٥٢، ابن قنفذ: أنس الفقير، ص ٨٣، وانظر أيضًا مصطفي مصطفي نشاط: إطلالات على التاريخ المغربى خلال العصر المرينى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، ط١، ٢٠٠٣، ص ٧٥.
(٩) **أزمور:** تقع في منطقة دكالة، على مسافة (١٦ كم) شمالاً من نهر أم الربيع (الوزان: المصدر السابق، ص ١٦٦).

سنويًا، ويستخرج منها نوع من الأسماك يسمى الألوز الذى ينتج كميات كبيرة من الزيوت[١]، كما تعد مدينة أسفي[٢] من أهم المدن التي يصاد بها سمك السردين[٣].

كما عرف العنبر المنتشر من مدينة نول[٤] وإلى وليلي[٥] كما عرفت أصيلا بصيد الحوت[٦]، ولم تكن المدن الساحلية هي فقط مصدر الثروة السمكية بل لعبت الأنهار دورًا في ذلك، فنهر سبو يصاد منه كميات كبيرة من الأسماك، وذلك لاختلاط الماء المالح بالحلو فيه فساعد ذلك على نمو سمك الشابل الذى يحمل إلى باقى الأقطار[٧]، فضلاً عن استخدامه مراسي السفن عند مصبه في المحيط، كما أنه صالح للملاحة النهرية[٨].

(ب) الإنتاج الزراعى:

كل هذه المقومات الطبيعية أسفرت عن قاعدة إنتاجية زراعية ضخمة أمدت النشاط التجارى بالمنتجات التي يتم تبادلها داخليًا وخارجيًا، كان القمح والشعير يتصدران قائمة التبادل التجارى الخارجي، وكثرت زراعتهما بكثافة في السهول الغربية، فكانت فاس **"تطحن بها الحنطة بلا ثمن"** وهو ما يدل على كثرة الحبوب فيها[٩] حتى وصل عدد الطواحين بها إلى أربعمائة طاحونة[١٠]، وكانت سجلماسة تنتج نوعًا يعرف بالسلت وهو نوع من الحبوب بين القمح والشعير، وكان يزرع عامًا ويحصد سبعة أعوام، وذلك لأن البذور المتساقطة من عملية الحصاد تدخل في تشققات الأرض[١١]، أما عن تلمسان وسبتة فقد تميزتا بإنتاج القمح والشعير وأنه يصلح استخدامهما لمدة ستين سنة، وذلك بفضل المطامير المعدة لتخزين الحبوب التي بلغ

---

(١) الوزان: المصدر السابق، ص ١٦٦ – ١٦٧.

(٢) **أسفي:** إحدى موانئ المغرب ويعد آخر مراسى تبلغة المراكب عند الأندلس على ناحية القبلة (الحميرى: المصدر السابق، ص ٧٥).

(٣) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص ١٧٠، هامش (٩٧).

(٤) **مدينة نول لمطة:** مدينة كبيرة في أول الصحراء على نهر يصب في المحيط، وسميت بذلك لأن لأن قبيلة لمطة تقطن بها (مجهول: الاستبصار، ص ٢١٣).

(٥) **مدينة وليلى:** تقع بطرف جبل زرهون من ناحية الغرب، وعلى مقربة من فاس (البكرى: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب جزء كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامى، القاهرة، د. ت، ص ١١٨، مجهول: المصدر السابق، ص ١٩٤).

(٦) **أصيلا:** مرسى يقع جنوب طنجة على البحر المحيط (ابن الخطيب: المصدر السابق، ص ١٥٠، ١٥٠، الحميرى: المصدر السابق، ص ٤٢).

(٧) ابن سعيد: جغرافيا، ص ١٣٨، مجهول: المصدر السابق، ص ١٨٤.

(٨) الوزان: المصدر السابق، ص ٦٢٥.

(٩) الإدريسى: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤٢.

(١٠) الوزان: المصدر السابق، ص ٢٣٨.

(١١) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٥، ص ١٥٩، الحميرى: المصدر السابق، ص ٣٠٥.

عددها في سبتة إلى أربعين ألفًا بالديار والحوانيت، وبلغ عدد الطواحين بها مائة وثلاث طاحونة وهى أرقام مبالغ فيها، ولكنها تؤكد انتشار الطواحين[١]، كما انتشرت انتشرت زراعة القمح في مدينة مكناسة[٢].

ويلى القمح والشعير قصب السكر الذى اشتهرت بزراعته بلاد السوس، ولم يكن له مثيل في حلاوته ويباع الحمل منه بثلاثة دراهم لكثرته وذلك بسبب عزوف أهل المغرب عنه وتفضيلهم العسل عليه[٣]، كما انتشرت زراعته بمراكش حتى بلغ عدد معاصر السكر فيها إلى أربعين معصرة[٤]، وكان الكتان والقطن يزرعان بسلا حيث يصنع منه القماش شديد النعومة[٥]، كما كثر الكتان في مكناسة، حتى أطلق على أرضها (البيضاء)، وذلك لكثرة الأموال التي تجبها الدولة من بيع محصول الكتان [٦]، وعرفت مدينة البصرة **"ببصرة الكتان"**؛ لكثرة محصول الكتان بها، حيث أصبح أصبح أهلها تجار للكتان[٧].

وازدهرت زراعة الزيتون في بلاد المغرب خاصة في مكناسة حتى اقترن اسمها به فعرفت بـ مكناسة الزيتون[٨]، ولأهمية زراعة الزيتون الاقتصادية، ترك لنا لنا **ابن غازى** إحصائية حول أثمان بيع محصول الزيتون في المدن المغربية " فكان حب زيتون بحيرة مكناس يباع عام الحمل[٩] بخمسة وثلاثين ألف دينار ونحوها، وحب زيتون بحيرة فاس بخمسين ألف دينار ونحوها، وحب زيتون بحيرة تازة

---

(١) العمرى: المصدر السابق، ج٤، ص ١٢٦، السبتى الأنصارى: المصدر السابق، ص ٤٦.
(٢) ابن الخطيب: معيار الأختيار، ص ١٦٥.
(٣) العمرى: المصدر السابق، ج٤، ص ١٢١، الحميرى: المصدر السابق، ص ٢٣٠.
(٤) العمرى: نفس المصدر والجزء، ص ١٢١، انظر أيضًا مصطفي نشاط: إطلالات، ص ٧٤.
(٥) ابن الخطيب: المصدر السابق، ص ١٥٢، الوزان: المصدر السابق،ص ٢١٤، كربخال: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤١.
(٦) ابن غازى: المصدر السابق، ص ٧.
(٧) **مدينة البصرة:** مدينة لها عيون بخارجها وبساتين ومراع ويحاط بها سور غير منيع، عرفت بالحمراء لأنها حمراء التربة، بينها وبين فاس ١٢٠ كم (البكرى: المصدر السابق، ص ١١١، مجهول: الاستبصار، ص ١٨٩، ياقوت الحموى: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، مج١، ص ٤٤٠).
(٨) مجهول: المصدر السابق، ص ١٨٥، الحميرى: المصدر السابق، ص ٥٤٤.
(٩) **الحمل:** يقدر الحمل ٢٥٠ كجم (فالتزهنتس: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام النظام المنزى، ترجمة كامل العسلى، الجامعة الأردنية، عمان،١٩٧٠، ص ٢٧).

بخمسة وعشرين ألف دينار ونحوها[١]، كما انتشرت زراعته في مراكش وأغمات[٢].
وأغمات[٢].

ونمت شجرة الحناء والنيلج في درعة، فكانت الحناء تنبت بكثرة وتتضخم وتباع الحناء لجميع أقاليم المغرب، إلا أن النيلج الذى ينمو بها لم يكن بجودة الحناء إلا أنه كان يباع إلى بقية بلاد المغرب؛ لرخصه[٣]، وللتمر حظ وافر في أرض المغرب المرينى فتميزت مدينة سجلماسة بإنتاج أجود أنواع التمر، حتى أنه يضاهى تمر العراق[٤]، ومن أشهر الأنواع بها **"التمر البرنى"**[٥]، ونتيجة لكثرة إنتاجه استخدمه استخدمه الفلاحون علفًا لحيواناتهم[٦].

كثرت بساتين الفواكه والأزهار؛ لوفرة المياه وملائمة التربة لزراعتها، ففي فاس تنوعت بساتين الفواكه حتى أنها كانت تشبه بساتين دمشق، كالخوخ والسفرجل والجوز[٧]، وتمتد هذه البساتين إلى خارج باب بنى مسافر من أبواب عدوة الأندلس، وتثمر فيه الأشجار مرتين في السنة، فيأكل الناس التفاح والكمثرى بالمدينة صيفًا وشتاءً[٨]، وتنتج هذه البساتين كل موسم حوالى خمسمائة حمل[٩]، واشتهرت مراكش مراكش ببساتينها العجيبة، فكان بستان البحيرة الذى يحتوى على أربعمائة شجرة من الناريج وبين كل اثنين منها شجرة ليمون أو ريحانة [١٠]، كما عرفت طنجة ببساتين

---

(١) المصدر السابق، ص٧.

(٢) **مدينة أغمات:** تقع بالقرب من وادى درعة وعلى مقربة من مراكش، ومدينة أغمات مدينتان إحداهما تسمى أغمات وريكة والأخرى تسمى أغمات هيلانة بينهما (٤.٥ كم) (الحميرى: المصدر السابق، ص ٤٦، ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص ١٦٣ – ١٦٤).

(٣) مجهول: الاستبصار، ص ٢٠٦ – ٢٠٧، الإدريسى: المصدر السابق، مج ١، ص ٢٢٧.

(٤) العمرى: المصدر السابق، ج٤، ص ١٢٩.

(٥) الإدريسى: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢٦، الحميرى: المصدر السابق، ص ٣٠٥.

(٦) كربخال: المصدر السابق، ج١، ص ٤٤؛ وانظر أيضًا مزاحم الشاهرى: الأوضاع الاقتصادية في المغرب على عهد المرينيين (٦٦٨ – ٧٥٩ هـ / ١٢٦٨ – ١٣٦٠ م)، آفاق عربية، بغداد، ٢٠٠١ م، ص ٨٧.

(٧) العمرى: المصدر السابق، ج ٤، ص ١١٤.

(٨) ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٤، وانظر أيضًا جمال أحمد طه: مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين (٤٤٨ هـ – ١٠٥٦ م / ٦٦٨ هـ –١٢٩٦م) دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص ٢٠٧.

(٩) الوزان: المصدر السابق، ص ٢٨٢.

(١٠) العمرى: المصدر السابق، ج٤، ص ١٢٢ – ١٢٣، القلقشندى: صبح الأعشى، ج٥، ص ١٥٧.

الليمون والبرتقال والكروم وفواكه أخرى[١]، ولقرية بنيونش من قرى سبتة بساتين لا لا تنقطع فيها الفواكه صيفًا ولا خريفًا على اختلاف أصنافها[٢].

ومن أشهر الفواكه التي كان لها رواج تجارى في المغرب المرينى العنب (الكروم)، فتربة كل من مدينة تازا ومكناسة وسلا تعد من **"أخصب بقاع الأرض"** لزراعة العنب [٣]، ومن أجود أنواع العنب بها العنب **"البعلى"** الذى ينمو في مكان يسمى **"المتروئ"**، ووصفه ابن غازى بأنه **"عنب أبيض شديد الحلاوة"**[٤]، كما عرف العنب الأسود في بنى بوشية وجبل بني الوليد[٥]، ويتميز بكثرة حلاوته ويصنع ويصنع منه الزبيب [٦]، واشتهرت سجلماسة بعنب يسمى **"الظلى"**[٧].

ولارتباط النشاط الزراعى بالتجارة عملت دولة بنى مرين على تدعيمهما، وذلك من خلال منح الإقطاعات الزراعية لكبار رجال الدولة، كالقضاة وقادة الجيش، وذلك لزيادة الإنتاج الزراعى[٨]، ولزيادة مساحات الأراضى الزراعية عملت على توزيعها توزيعها على عدة قبائل، مثلما حدث في أراضي سلا ومكناسة، ويكون المحصول مناصفة بين المزارعين وبين الدولة[٩]، ولخدمة هذه المشاريع عملوا على تنظيم الرى من خلال إقامة السقايات والقناطر[١٠].

ونتيجة لانتشار الأراضى الزراعية زادت الثروة الحيوانية في البلاد، فيذكر لنا ابن الخطيب عن بلاد دكالة **"القاض على انفساح مداه بالراغية والناغية والصاهلة والناهقة، البالغ عن أزواجه لإثارة الأرض ومعالجة الحرث آلاف زوج من أزواج الثيران"**[١١]، وكان للقبائل دور كبير في تنمية الثروة الحيوانية، لخبرتهم في هذا

---

(١) الوزان: المصدر السابق، ص ٣١٥.

(٢) السبتى الأنصارى: المصدر السابق، ص ٥٨، المقرى: أزهار الرياض، ج١، ص ٣٣ – ٣٥.

(٣) عبدالواحد المراكشى: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٣٢٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٩ – ١٠.

(٥) الوزان: نفس المصدر والصفحة.

(٦) هما جبلان شديدا الوعورة والبرودة يقعان في إقليم الريف في فاس، (الوزان: المصدر السابق، السابق، ص ٣٣٦ – ٣٣٧، كربخال: المصدر السابق، ج٢،ص ٢٥٠).

(٧) البكرى: المصدر السابق، ص ١٤٨، وانظر أيضًا: صبحى عبد المجيد إدريس: تاريخ مدينة سجلماسة منذ نشأتها حتى استيلاء المرينيين عليها (١٤٠ – ٦٦٨ هـ/ ٧٥٧ – ١٢٦٩ م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ١٩٩٥، ص ٢٤٦.

(٨) القلقشندى: المصدر السابق، ج٥، ص ١٩٨، انظر أيضًا: محمد عيسى الحريرى: المرجع السابق، ص ٢٨٨.

(٩) الوزان: المصدر السابق، ص ٢١٣، وانظر أيضًا: مزاحم الشاهرى: المرجع السابق، ص ٧٦ – ٧٧.

(١٠) ابن مرزوق: المسند، ص ٤١٧ – ٤١٨، وانظر أيضًا: محمد المنونى: ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٦، ص ١٤٨.

(١١) نفاضة الجراب، ص ٧٤.

المجال في تربية الخيول، فيذكر **ابن أبى زرع: "جل أموالهم الخيل والإبل والخيول"**[١]، وتعد منطقة مراكش من أجود المناطق لرعي الماشية حتى كان أهلها يجنون أموالا طائلة من وراء ذلك[٢]، وفي مدينة وجدة[٣] كثرت بها مراعى الأغنام التي ذاع صيتها في أوربا[٤].

كما توفرت العديد من المواد المعدنية في الأراضي المرينية التي قامت عليها العديد من الصناعات التي أسهمت في التبادل التجاري، فاشتهرت أسفي بمعدن الفوسفات[٥]، كما استخرج النحاس من مدينة داى[٦] التي لقت رواجًا كبيرًا وكان لونه لونه يميل إلى البياض، ويستخدم في صناعة اللجم الفضية [٧]، وفي منطقة جزولة في في إقليم مراكش كثرت مناجم النحاس والحديد حيث كان يصنع منها الأوعية، وتحمل إلى مختلف الأقطار[٨]، وفي فاس كثرت المعادن كما يذكر **الجزنائي عنها " كمعدن الجبص والصلصال وأنواع من الحجارة والرمال"**[٩]، بالإضافة لانتشار مناجم الحديد في هذا الإقليم[١٠] فيما بين سبتة ووهران في موضع يسمى تمسامان كثرت فيه مناجم الحديد[١١]، بالإضافة إلى معدن الرخام الناصع البياض المستخرج من جبل هنتاتة[١٢].

ورث المرينيون قاعدة صناعية ضخمة من الموحدين خاصة في مدينة فاس حيث كان بها الأطرزة المعدة لصناعة الحياكة فكانت ثلاثة آلاف موضع وأربعة وستون موضعًا، وكان لها من الديار المعدة لعمل الصابون سبع وأربعون دارًا، ومن ديار الدباغة ست وثمانون دارًا، وديار الصباغ مائة دارًا وست عشرة دارًا، وكان بها اثنتا عشر دارًا لسك النحاس، وكان بها من الكوش المعدة لعمل الجير وطغية مئة كوشة وخمس وثلاثون كوشة[١٣]، كما عمل المرينيون على تطوير هذه الصناعات لخدمة النشاط التجارى، وذلك ما سوف نوضحه خلال فصول هذا البحث.

---

[١] الأنيس المطرب، ص ٢٨٢.
[٢] الوزان: المصدر السابق، ص ١٣٣، كربخال: المصدر السابق، ج٢، ص ١٢ – ٤٢.
[٣] **مدينة وجدة:** مدينة أهلها من قبائل البربرية على بعد ٢٤ كم من البحر اتجاه الجنوب وهى على على نفس البعد من تلمسان وتكثر فيها المراعى التي تعد من أجود أنواع المراعى وأصلحها لتربية الماشية (مجهول: الاستبصار، ص ١٧٧.
[٤] كربخال: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٩٤.
[٥] ابن الخطيب: معيار الاختيار، ص ١٦١.
[٦] **مدينة داى:** هى أسفل جبل خارج من جبل درن، وبينها وبين أغمات ١٢٠ كم (الإدريسى: المصدر السابق، ج١، ص٢٤١، الحميرى: المصدر السابق، ص٢٣١).
[٧] الإدريسى: نفس المصدر والجزء والصفحة.
[٨] الوزان: المصدر السابق، ص ١٥٦.
[٩] جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، الرباط، ١٩٦٧، ص ٣٥.
[١٠] الوزان: المصدر السابق، ص ٢٠٩ – ٣٤٧ – ٣٤٩.
[١١] عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص ٤٤٧.
[١٢] الوزان: المصدر السابق، ص ١٥٤ – ١٥٥.
[١٣] ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ٤٨، الجزنائى: المصدر السابق، ص ٤٤.

التجارة جزء من المنظومة الاقتصادية، فهى تعكس مدى القوة الاقتصادية لأى دولة، فلما كانت دولة بنى مرين ترتكز على قاعدة قوية من المقومات الطبيعية التى سبق أن أشرنا إليها، فانعكس ذلك على ازدهار النشاط التجارى داخليًا وخارجيًا.

فالنشاط التجارى الداخلى هو عصب الحياة الاقتصادية، لأنه يمثل اتحاد أفراد المجتمع الواحد فى تطوير اقتصاد الدولة، حيث يشترك كل من الزارع والصانع فى تقديم إنتاجهما إلى التاجر الذى يعد سفيرًا لهذا الاقتصاد، وهو بدوره يعرض، ويسوق المنتجات فى الأسواق.

أولاً: طرق التجارة الداخلية

ضم إقليم المغرب الأقصى شبكة واسعة من الطرق الداخلية بين مختلف مدنه الصغيرة والكبيرة، وكذلك القرى، فساعدت هذه الطرق على ازدهار النشاط التجارى الداخلى؛ حيث أدت دورًا مهمًا جدًا فى توزيع المنتجات التجارية ونقلها من موضع إلى آخر؛ بهدف تسويقها[١] .

١- انتشار الأمن فى الطرق والأسواق:

حرصت الدولة على دفع حركة التجارة الداخلية، من خلال نشر الأمن والأمان فى أرجاء البلاد، حتى يشعر التاجر أنه يأمن على أمواله وبضائعه، فمنذ عهد الخليفة عبد المؤمن بن على الذى حرص على نشر الأمن فى المجتمع، وذلك من خلال إصداره رسالة ٥٤٣ م / ١١٤٨م يؤكد فيها إنزال أشد العقوبات بمن يعترض سبيل المسافرين والتجار خاصة، حتى لو كانوا من السلطات المخزنية (سلطات الدولة)[٢] فيذكر أنه قد تعرض تاجر للسرقة ونهب أمواله قرب بجاية، فرفع شكاوته إلى الخليفة عبد المؤمن الذى أمر بالقبض على هؤلاء اللصوص وقتلهم، كما أمر بتعويض التاجر عما نهب منه[٣]، إلا أنه فى فترة انهيار الدولة الموحدية اختل النظام الأمنى بسبب كثرة الفتن بين القبائل، وهو ما ترتب عليه كثرة قطاع الطرق[٤]، وانتهى هذا الأمر بتولى المرينيين الحكم، ولم يتوانوا فى إنزال أقصى العقوبات بعصابات اللصوص من قاطعى الطرق التى حدثت سابقاً، فعملوا على شن

---

[١] كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادى فى عصر دولتى المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د.ت، ص٢٨١.

[٢] ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود على مكى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص١٩٤.

[٣] النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتابة، القاهرة، ١٩٨٣، ج٢٤، ص٣١٩–٣٢٠ وانظر أيضًا: عبد الهادى البياض: الكوارث الطبيعية وأثرها فى سلوك وذهنيات الإنسان فى المغرب والأندلس (٦- ٨ هـ/١٢–١٤م)، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٨، ص٨١ .

[٤] ابن أبى زرع: الذخيرة، ص ٣٦ .

حملات للقضاء عليهم، فحينما دخل الأمير أبو بكر بن عبد الحق بلاد درعة[١] فى عام ٦٥٥هـ/١٢٥٤م عمل على تأمين الطرق وقمع الفاسدين[٢]، كما قام السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق عام ٦٨٦هـ/ ١٢٦٩م بحملة على درعة؛ للقضاء على القبائل التى تقطع الطرق على التجار[٣].

واستكمالاً لصعيد التنظيم الذى اتبعته الدولة المرينية فى تأمين الطرق، أسس السلطان يعقوب بن عبد الحق عددًا من الزوايا والأربطة، لإيواء المسافرين أو من اضطر للمبيت من التجار[٤]، وقد وضع السلطان أبو الحسن المرينى تنظيمات جديدة على طول الطرق؛ لتأمينها، حيث أمر بإقامة رتبة (خيامة) على مقدار اثنى عشر ميلاً (٦,٥ كم)، ويسكنها أهل المنطقة، وهم مكلفون بحراسة المسافرين وأمتعتهم وتقديم الخدمات إليهم[٥]، كما عرفت المضايف التى ينزل بها التجار الغرباء فى المدن الصغيرة[٦].

كما أقام السلطان أبوعنان فارس عدة زوايا، ومنها الزاوية الكبرى بسبتة لهذا الغرض، وكانت فسيحة متعددة المساكن كثيرة الزخرفة[٧]، ولم تكتف الدولة المرينية بذلك، بذلك، بل عملت على تدعيم التعزيزات الأمنية داخل الأسواق، من خلال الشرطة التى عملت على نشر الأمن والنظام فى المجتمع وحل المنازعات داخل الأسواق والجيران، بالإضافة إلى مراقبة أبواب المدينة وتحصيناتها ومنع المشبوهين واللصوص من التسلل إليها، بالتشديد على نواب رؤساء الأحياء على بغلق الأبواب التى تفصل بين الأحياء ليلاً وعدم فتحها حتى الفجر [٨] وعمل دوريات ليلية فى الأسواق والمرور على الفنادق ؛

---

[١] **درعة :** هى فى جهة سجلماسة تعرف بواديها، فإنه نهر كبير يجرى من المشرق إلى المغرب ومتبعة من جبل درن، وعليها عمائر متصلة تقدر بنحو ٢١٠ كم، وبها جامع وأسواق حافلة كثيرة، والجنات بها جميع الفواكه (الحميرى: المصدر السابق، ص٢٣٥).

[٢] ابن أبى زرع:الذخيرة، ص٨٣ .

[٣] ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٣٧٨، السلاوى: المصدر السابق، ج١، ص٤٠٩.

[٤] ابن أبى زرع: الذخيرة، ص١٠٠، وانظر أيضًا: محمد عيسى الحريرى: المرجع السابق، ص٣٢٦.

[٥] ابن مرزوق: المسند، ص ٣٧٨، وانظر أيضًا محمد المنونى: ورقات، ص٩٢.

[٦] الوزان: المصدر السابق، ص١٢٠.

[٧] ابن الحاج النميرى: فيض العباب، ص٥٢، الأنصارى السبتى: المصدر السابق، ص٣٥.

[٨] الأنصارى السبتى: المصدر نفسه، ص٣٧، وانظر أيضًا: روجي لوتورنو: فاس فى عصر بنى مرين، ترجمة نقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، نيويورك، ١٩٦٧، ص ٧٨.

لتأمينها [١] من عمليات السرقة [٢]، وكان القائمون على ذلك يطلق عليهم فى المغرب " حرس الليل " [٣] .

وعلى الرغم من التدابير الأمنية التى اتخذتها الدولة للحفاظ على الأمن، فإن اللصوص كانوا يستغلون انشغال الحرس أو تنقلهم من مكان إلى آخر ليسطوا على أموال الناس[٤]، وتحقق الدولة فى الحادثة التى وقعت، وإذا ثبت تقصير الحراس، توقع عليه عقوبة الجلد أوالسجن[٥]، كما ظهر نوع آخر من الحراسة، هو الحراسة الخاصة؛ لحماية الأملاك الخاصة التى تدر أرباحها على التجارة، مثل الأراضى الزراعية، وكان الحارس يتقاضى مالاً أو جزءًا من المحصول مقابل الحراسة[٦]، كما ظهرت وسائل استخدمت لمنع السرقات، مثل حفر **" مطمر"**[٧] حتى يقع فيه اللصوص[٨].

٢- الطرق البرية :

هذه الشبكة الواسعة من الطرق البرية اتصلت بالعديد من المراكز التجارية، كفاس التى تعد قطب المدن المغربية ومدارها، وتنطلق منها العديد من الطرق، كأشعة الشمس[٩]، وهذه الطرق التى ربطتها بمدن المغرب جعلتها ملتقى للقوافل من كل الجهات، وذلك بفضل الحوانيت التجارية والصناعية الموجودة بها التى لم تقتصر على الاستهلاك الداخلى فحسب بل ازدهار نشاطها الخارجى أيضًا؛ لكونها تتحلى بعلاقات الخارجية وطيدة، وهو ما أكسبها تقنيات صناعية جديدة فى منتهى الدقة، بالإضافة إلى السلام السائد فيها[١٠]؛ لذلك قال **ابن**

---

(١) ابن الزيات: التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبى العباس السبتى، تحقيق أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٨٤، ص٣٩٨–٤٥٥، الوزان: المصدر السابق، ص٢٥٤.

(٢) ابن القاضى: جذوة الاقتباس، ج٢، ص٤٢٣.

(٣) بينما عرفوا فى الأندلس بالدرابين، وذلك لأن الأندلس لها دروب يتم إغلاقها فى أول الليل، ولكل زقاق حارس معه سلاح وكلب وسرج، (المقرى: نفح الطيب، ج١، ص٢١٩، وانظر أيضًا أحمد مختار العبادى: الحياة الاقتصادية فى الدولة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، الكويت، ١٩٨٠، مج١١، ج١، ص١٣١.

(٤) المقرى: المصدر السابق، ج١، ص٢١٩.

(٥) ابن الزيات: المصدر السابق، ص٣٧٠.

(٦) الونشريسى: المعيار المعرب، ج٨، ص٢٢٥–٢٢٧.

(٧) **مطمر**: صومعة من الطين مخلوط بالتبن على غير قياس، دائرية الشكل لها فتحتان إحداهما علوية والأخرى سفلية وتتخذ لتخزين الغلال (محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية فى الحضارة الإسلامية، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١، ١٩٩٣، ص٥٣).

(٨) الونشريسى: المصدر السابق، ج٩، ٥٥٦–٥٥٧، ج١٠، ص٨٥.

(٩) العمرى: المصدر السابق، ج٤، ص١١٤ وكذلك

R. Blachére ; Fés chez les Géogrphes arabes du moyen . age , Hesperis , Tome XVIII , 1934 , p. 43 .

(١٠) روجى لوتورنو: فاس قبل الحماية، ترجمة محمد حجى ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٩٢، ج١، ص٧٨، محمد زنيبر: محور فاس سبتة وأهميته فى العصر

الخطيب **"اجتمع بها أولاده سام وحام، عظم الالتئام والالتحام، فلا يعدم فى مسالكها زحام فأحجارها طاحنة، ومخابزها شاحنة وألسنتها ـ باللغات المختلفة ـ لاحنة"**[١]، ولم تكن تلك العوامل فقط هى التى أهلت فاس لكى تكون من أهم المراكز التجارية فى المغرب، بل مكنتها أن تكون من أهم المراكز الثقافية وأكبرها فى المغرب بأكمله، فيقول عنها الكتانى **"ولد العلم بالمدينة وربى بمكة وطحن بمصر وغزل بفاس"**[٢]، وهذا دليل واضح على أهميتها مركزًا ثقافيًا فى العالم الإسلامى، عضد ذلك وجود جامع القرويين بها[٣]، فجعل منها كعبة لرواد العلم من جميع أنحاء المغرب فى مختلف المجالات، ولذا كانت مادة خصبة لكثير من المؤرخين، فأفردوا لها مساحات كبيرة فى مؤلفاتهم [٤].

وارتبطت فاس بمدينة سبتة؛ لكونها منفذًا بحريًا لتجارتها، وكان الطريق حافلاً بالعمران والنشاط الاقتصادى وملئ بالمدن والقرى التى تمتع أهلها بالرخاء الأقتصادى، وذلك لاستفادتهم من مرور القوافل التجارية من هذا الطريق، حيث كانوا يهيئون سبل الراحة والتغذية والنوم لتجار هذه القوافل[٥]، إلا أن كثير من هذة المدن والقرى لم تعد موجودة فى عصر الوزان الذى أطلق عليها **"الهبط"**[٦]، وذلك نتيجة لالتحام المنطقة الداخلية، فأصبح الطريق يمر بطنجة وأصيلا والبصرة، وتقدر مسافة هذا الطريق

الوسيط من خلال كتاب المدينة فى تاريخ المغرب العربى أشغال ندوة المنظمة من ٢٤ إلى ٢٦ نوفمبر ١٩٨٨، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، ص٣٢٦.

(١) معيار الاختيار: ص١٧٥.

(٢) سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٢٥ ـ ٢٠٠٤، ج١، ص ٧٦ .

(٣) عن تأسيس هذا الجامع ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٥٤، وانظر أيضًا : عبد الهادى التازى : جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعمارى والفكرى، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ١٩٧٣، ج١، ج٢ فى مواضع مختلفة .

(٤) ابن القاضى : درة الحجال، ج١، ص ٢٣٧، هامش (٧)، وانظر أيضًا : خيروتيمو بايزلويز: ابن خلدون وعصره قيام وسقوط إمبراطوريات، ترجمة إسحاق عبيد من خلال كتاب ابن خلدون البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر وقيام وسقوط إمبراطوريات، ندوة عقدتها مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ٣٥، محمد الحسنى : دور المدينة فى توحيد المغرب العربى فاس والقيروان نموذجًا من خلال كتاب المدينة فى تاريخ المغرب العربى، أشغال ندوة المنظمة من ٢٤ إلى ٢٦ نوفمبر ١٩٨٨، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، ص ٢٩٩.

(٥) محمد زنيبر: محور فاس سبتة، ص ٣٣٤.

(٦) البكرى: المصدر السابق، ص١١٤ـ١١٥، وعرف الوزان منطقة الهبط، بأنها تبدأ من جنوبى الورغة، وتنتهى شمالاً على المحيط، وتتاخم من الغرب مع نهر اللكوس أو اللقس الذى هو ينشأ من جبال غمارة، ويجرى فى اتجاه الغرب عبر سهول الهبط (الوزان : المصدرالسابق، ص٣٠٥، ٦٢٥).

(٢٤٠كم)[١]، كما وجد طريق آخر يربط فاس بسبتة عبر مدينة آزجان[٢]، ولكن دون المرور بمدينة البصرة؛ ويقدر هذا الطريق بمسافة (٢١٠ كم)[٣]، والملاحظ فى هذا الطريق أنه يمر على مدن تعد من المدن التجارية المهمة، كبصرة، وهى تبعد عن فاس (٦٩٠ كم)[٤]، كما اشتهرت بالكتان الذى تمد به فاس، كما تمتلك ثروة زراعية وحيوانية هائلة تمد بها بها مدن المغرب [٥]، وقد وجد طريق ساحلى يربط سبتة بطنجة، فيذكر عنه البكرى " المسلك من سبتة إلى طنجة على طرق، وهى مساكن قبائل مصمودة كلها " [٦]، وقدر ياقوت الحموى مقدار هذا الطريق (٣٠ كم)[٧]، فى حين قدره الحميرى (١٦ كم)[٨] أما عن عن سبتة وطنجة وأصيلة وسلا، فسوف نتحدث عنها بالتفصيل لاحقًا بصفتها موانئ ومراكز تجارية بحرية .

كما أكملت فاس تواصلها مع المنافذ البحرية، من خلال الطريق التى يجمع بينها وبين مدينة سلا التى تعد ملتقى للعديد من الطرق السهلية والجبلية فى المغرب الأقصى وتقدر مسافة هذا الطريق ١٢٠كم[٩]، ويتوسط هذا الطريق مدينة مكناسة، ويصف ياقوت الحموى الحموى الطريق من فاس إلى مكناسة ثم سلا بقوله **"مكناسة الزيتون حصينة فى طريق المار من فاس إلى سلا على شاطئ البحر فيه ميناء المراكب"**[١٠]، ويكون خروج من فاس مرورًا بمدينة مغيلة[١١]، ثم مكناسة وتقدر المسافة بينهما بـ(١٦٠كم)[١]، ومن ثم يقطع من

---

[١] الإدريسى: المصدر السابق، مج ٢، ص ٥١٢، فى حين يقدر ياقوت الحموى وأبو الفداء المسافة أنها تبعد على مسافة (٣٠٠ كم) (ياقوت الحموى : المصدر السابق، ج٣، ص ١٨٣، أبى الفداء : المصدر السابق، ص ١٢٣).

[٢] **أزجان:** تقع على جبل على مسافة ١٦ كم من نهر نفس، كما تبعد عن مدينة فاس (١١٢ كم) ومعظم أراضيها صالحة للزراعة، حيث يقدر ريعها كل عام بعشرة آلاف دينار، كما يقطن بها أربعمائة أسرة (الوزان: المصدر السابق، ص٣٠٦).

[٣] محمد الشريف: سبتة الإسلامية دراسات فى تاريخها الاقتصادى والاجتماعى (عصر الموحدين والمرينيين)، تطوان، ط٢، ٢٠٠٦، ص ١٠٧ .

[٤] الحميرى : المصدر السابق، ج١، ص ١٠٩ .

[٥] مجهول : الاستبصار، ص ١٨٩، ابن القاضى : جذوة الاقتباس، ج١، ص ١١١، هامش (١٤٠).

[٦] البكرى : المصدر السابق، ص ١٠٤ .

[٧] المصدر السابق، مج٤، ص ٤٣ .

[٨] المصدر السابق، ص ٣٩٦ .

[٩] الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٢، وانظر أيضًا : حمدى عبد المنعم محمد حسين : مدينة سلا فى العصر الإسلامى دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ٦٤ .

[١٠] المصدر السابق، ج٥، ص ١٨١ .

[١١] مدينة مغيلة تقع غربى طريق فاس، مكناس وجنوب طريق فاس المحمدية على مسافة (٢٤كم) وهى كثيرة العمارات ومفروشة كلها بأشجار الزيتون .

مكناسة إلى قصر عبد الكريم[٢] مسافة تقدر بـ (٩٠ كم) ثم إلى المعمورة، ومنها إلى سلا[٣]، وعمل هذا الطريق على تنشيط حركة التجارة الداخلية بين تلك المدن؛ لذلك عملت الدولة المرينية على تحسين الطريق الرابط بين فاس ومكناسة وتوسيعه [٤]، ومن هذا الطريق يمكن استكمال الرحلة إلى سبتة، فيكون (سلا- مكناسة – فاس – سبتة)[٥].

وقد وجد أيضًا طريق يربط بين سلا وتادله[٦] بالمرورعلى قرية تطن[٧]، وبينهما مسافة تقدر (١٢٠كم)، فى حين بلغت المسافة بين قرية تطن وسلا (٦٠كم)[٨]، كما وجد طريق بين فاس ومراكش يقطع فى عشرة أيام (٣٠٠كم)[٩]، ولم تكن مراكش مكانًا معروفًا فى بداية عهد المرابطين [١٠]، فوصفها الجغرافيون بأنها بقعة غير عامرة وخراب حتى اتخذها قطّاع الطرق واللصوص مكانًا يختبئون فيه[١١]، إلا أن أحوالها تبدلت بعد أن اتخذها المرابطون ومن بعدهم الموحدون حاضرة لدولتهم، فأصبحت قطب المدن التى يدار من خلالها باقى المدن، فأهّلها هذا أن تكون محط أنظار الوفود الزائرين فى تلك الفترة [١٢]،

[الإدريسى : المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤٤، الوزان : المصدر السابق، ص ٢٩٨، هامش (٢٢٦)] .

(١) الوزان : نفس المصدروالصفحة، وانظر أيضًا : سعد زغلول : المصدر السابق، ج٢، ص٤٠٩ .

(٢) **قصر عبد الكريم** : تقع غرب مكناسة على مسافة (٩٠ كم)، وأهلها من البربر، واشتهرت بكثرة مزارعها وجودة صناعاتها وسوقها العامرة [الحميرى : المصدر السابق، ص ٤٧٦] .

(٣) الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٦ .

(٤) محمد زنيبر : المغرب فى العصر الوسيط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٧٠، ص ٢٢٤، هناء محمد عبد الحميد الفقى: التاريخ السياسى والحضارى لمدينة مكناسة المغربية منذ فتح المرابطين لها حتى نهاية دولة بنى مرين (٤٥٣- ٨٦٩ هـ / ١٠٦٠- ١٤٦٥م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠٧، ص ١٨٣ – ١٨٤ .

(٥) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٢١٣ .

(٦) تادلة تبعد عن فاس ١٨٠ كم، هى منطقة ليست كبيرة تأخذ شكل المثلث، حيث تبدأ من نهر العبيد وتنتهى عند نهر أم الربيع (الوزان : المصدر السابق، ص ١٨٣) .

(٧) قرية تطن هى من عمائر الواقعة بين سلا وتادله، أهلها من البربر، وهى مدينة مليئة بالمزارع والثروة الحيوانية (الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٢) .

(٨) الإدريسى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٩) أبى الفداء : المصدر السابق، ص ١٢٣ .

(١٠) ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧، ق٢، ج١، ص ٤٠ .

(١١) الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٣، ياقوت الحموى : المصدر السابق، ج٥، ص ٩٤.

(١٢) مجهول : مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبى رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط١، ٢٠٠٥، ص ٨٨، عبد الواحد المراكشى : المعجب، ص ١٥٦، وانظر أيضًا حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى العصر العباسى الثالث فى المشرق

غير أن الأمر لم يدم طويلاً، فبعد سقوط الموحدين وتولى المرينيين الحكم تبدلت أحوال مراكش، حيث غابت شمسها الساطعة، بسبب اتخاذ الدولة المرينية فاس حاضرة لدولتهم، وهو ما أثر سلبًا على الوجود السياسى والتجارى لمراكش، فقدت كثيراً من أهميتها(١)، فرثاها ابن الخطيب فى قصيدة تظهر كيف كانت وكيف أصبحت(٢) .

وتعد مدينة سجلماسة من أهم المراكز التجارية، وسطع نجمها فى عهد المرينيين، وأصبحت مقصدًا للعديد من التجار، وبعد أن صارت البوابة الرئيسية للوصول للسودان(٣)، تواصلت سجلماسة مع فاس بطريق أطلق عليه "طريق الذهب" (٤)، واستمر التواصل بينهما من خلال الطريق منذ عهد المرابطين والموحدين، إلا أنه توقف فى آخر عهد الموحدين (٥)، ولكن تجدد التواصل التجارى مرة أخرى بين فاس وسجلماسة فى عهد المرينيين(٦)، وتقدر المسافة بينهما (٣٩٠ كم)(٧)، فيبدأ الطريق من فاس إلى صفروى (٨) ثم قلعة مهدى (١) ثم تادلة ثم داى ثم إلى شعب الصفا الكبير، حيث مدينة سجلماسة (٢).

ومصر والمغرب والأندلس (٤٤٧ / ٦٥٦ هـ) (١٠٥٥ / ١٢٥٨ م)، دار الجيل، مكتبة النهضة المصرية، بيروت، القاهرة، ١٩٩١، ج٤، ص ٥٦٠ – ٥٦١ .

(١) ابن بطوطة : المصدر السابق، ج٤ ص ٣٧٥ .

(٢) قال ابن الخطيب : بلدٌ وأباح المصونَ منه مبيح
قد غزاه صرفُ الليالى والذى حزَّمته بعضُ جريح
فالذى خر من بناه قتيلٌ قد تأتَّى له بها التشريح
وكأن الذى يزور طبيبٌ كان قدْما بها اللسانُ القبيح
أعجمَتْ منه أربعٌ ورسومٌ

نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب، ص ٣٨٠ – ٣٨١ .

(3) Jea (Miche Lessard) : Sijilmassa la villa et ses relations comercialos aux e siecle d' aprés et Bekri , Hespéris vol x , 1969 , p. 28.

(4) Gautier (E. F) ; Lé passe de L'Afrique du Nord ; Le siécles obscures , Paris , 1927 , p. 301 , L 'Islam sation de l' Afrique du Nord : Le siécles obscures du Magharib , Paris , 1927 , p. 292

(٥) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٤٠، وانظر أيضًا : صبحى إدريس : المرجع السابق، ص ٢٥٣ .

(٦) لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٤٩، حسن حافظى علوى : النشاط التجارى بسجلماسة وعلاقته بمجالها القروى، من أعمال ندوة التجارة فى علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ المغرب من ٢١ إلى ٢٣ فبراير ١٩٨٩، جامعة حسن الثانى كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، ق٢، ص ٢٤ – ٢٥ .

(٧) الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٣، فى حين قدر ابن حوقل المسافة بـ (٢٤٠كم)، المصدر السابق، ص ٩٠ .

(٨) صفروى : من المدن التى تقع على طريق بين فاس وسجلماسة، بينها وبين فاس (٣٠كم) تميزت جناتها المليئة بالفواكه والأعناب (مجهول : الاستبصار، ص ١٩٣) .

كما أمدت فاس جسور التواصل والتعاون بينها وبين مدينة تلمسان التى تعد من أهم المراكز التجارية وأكبرها وذلك بفضل موقعها الجغرافى، فوصفها ابن الخطيب بأنها "مدينة جمعت بين الصحراء والريف وضعت فى موقع شريف كأنها ملك على رأسه تاج، وحواليه من الدوحات حشمه وأعلاجه"[٣].

ولم يكن تميز تلمسان نابعًا من كونها مركزًا تجاريًا فحسب بل من كونها أيضًا ممرًا ثقافيًا له ثقله فى منطقة المغرب، حيث يتوافد عليها طلاب العلم من مختلف بقاع الأرض[٤]، وهذا التواصل الخارجى للمغرب كان له أثره الفاعل فى نبوغ علمائها وتدعيم الحركة العلمية والثقافية للمدينة [٥]، كل هذا دعمها بصفتها مركزًا تجاريًا ساعدها على بزوغ نجمها.

وارتبطت فاس بتلمسان بطريق يقطع فى عشرة أيام (٣٠٠كم)[٦]، وعملت فاس بتوطيد علاقتها بتلمسان؛ وذلك لكونها المحطة الرئيسية على الطريق الشمالى القادم من مصر والمنتهى بفاس فى المغرب الأقصى[٧]، كما ترتبط تلمسان وفاس بطريق السودان، حيث يبدأ الطريق من تلمسان إلى مروراً بصفروى وتادله وأغمات ودرعة وسجلماسة ومنها إلى بلاد السودان[٨]، وتقدر المسافة بين درعة وسجلماسة (٩٠كم)، فى حين تقدر المسافة بين درعة وأغمات (١٥٠كم)[٩]، كما ارتبطت سجلماسة بتلمسان بطريق آخر، غير طريق مراكش[١٠]، ومن خلال وصف الطريق السابق ذكرت مدينة أغمات بأنها مدينة تجارية لها

---

(١) قلعة المهدى حصن حصين فوق جبل شامخ، ولها أسواق وعمارات ومزارع وفيرة الإنتاج، تبعد عن فاس (٩٠كم) (الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٣)

(٢) البكرى : المصدر السابق، ص ١٤٧، الإدريسى : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٣) معيار الاختيار، ص ١٨٣ – ١٨٤ .

(٤) القلقصادى : رحلة القلقصادى، تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للنشر مطبعة لجنة البيان العربى، تونس، ١٩٨٧، ص ٩٥ .

(٥) ابن خلدون : العبر، ج١، ص ١٦٨، وانظر أيضًا عبد العزيز فيلالى : تلمسان فى العهد الزيانى، دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠٠٧، ج١، ص٥ .

(٦) مجهول : الاستبصار، ص ١٨٦، وانظر أيضًا الحسن السائح : الحضارة المغربية البداية والاستمرار، منشورات عكاظ، الرباط، ٢٠٠٠ م، ص ١٧ .

(٧) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى، ج٤، ص ١١٥، إبراهيم إبراهيم حمودة بدر : التاريخ السياسى والحضارى لمدينة تلمسان (٦٦٩- ٩٦٢ هـ / ١٢٧٠- ١٥٥٤ م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ٢٠٠٢، ص ٢٦٠ .

(٨) ابن حوقل : المصدر السابق، ص ٩٠، الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص ٢٤٩ .

(٩) الإدريسى : نفس المصدر والجزء، ص ٢٢٦ .

(١٠) العمرى : المصدر السابق، ج٤، ص ١٢٤ وانظر أيضًا مختار حسانى : تاريخ الدولة الزيانية، دار الحضارة، الجزائر، ٢٠٠٧، ج٢، ص ١٤٩.

باع كبير فى مجال التجارة، فقال عنها الحميرى "دار التجهيز للصحراء"[١]، ودليل واضح على تجارة كبيرة وواسعة مع بلاد السودان، ونتيجة لذلك أصبح أهلها يمتلكون أموالاً طائلة؛ بسبب تلك التجارة [٢]،كما أنها ارتبطت بطرق مع عدة مدن، كمراكش وفاس وسجلماسة[٣] والسوس[٤].

٣- الطرق النهرية :

تعد الملاحة النهرية من أهم الوسائل التى لجأت إليها الشعوب القديمة فى التواصل البشرى والتجارى، فيجرى فى المغرب الأقصى عدد كبير من الأنهار، إلا أنها لم تؤد فائدة كبيرة بصفتها طريقًا ملاحيًا داخل المدن، لتسهيل عملية التجارة، وذلك لطبيعة الأنهار الضيقة وسرعة جريانها، ولا يعنى هذا الاستغناء عنها، بل قاموا بمحاولات لاستغلالها بوصفها طرقًا مائية ؛ لتيسير عمليات النقل والاتصال، ففى عهد يوسف بن تاشفين بُنيت قنطرة على نهر تانفست، وكانت عجيبة البناء تميزت بأنها متقنة الصنع، حيث جلب صناعها من الأندلس، أى إنها لم تقدر على مقاومة السيل الذى أفلت عقدها فهدمت [٥]، وشهد عهد الموحدين عدة محاولات ؛ للاستفادة من الأنهار، حيث أقام الخليفة المنصور (٥٨٠ – ٥٩٥ هـ/ ١١٨٤ – ١١٩٨ م) على وادى أم الربيع جسرًا جعل له قنطرة من القوارب المصنعة من الأخشاب مثبتة بآلات فى الماء [٦]، كما حاول المرينيون الاستفادة من نهر سبو الذى تميز عند مصبه بالعرض والعمق حول مجراه حتى تستطيع السفن الضخمة أن ترسو فيه، وكانت تنقل فيه البضائع [٧] حتى استُخدم فى عهد أبى الحسن المرينى لنقل بيلة (حوض) الرخام المجلوبة من المرية إلى مدرسة الصهاريج بعدوة

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٦ .

(٢) الحميرى : المصدر نفسه، ص ٤٦ .

(٣) العمرى : المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٤، وانظر أيضًا الحسن بولقطيب : المصامدة والنشاط والنشاط التجارى إلى حدود قيام الدولة الموحدية، من أعمال ندوة التجارة فى علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب من ٢١ إلى ٢٣ فبراير، ١٩٨٩، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحسن الثانى، الدار البيضاء، ق٢، ص ٨٨ .

(٤) وتقدر المسافة بين السوس وأغمات بـ (١٨٠كم) (الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص٢٢٩) .

(٥) الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٥ .

(٦) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، تحقيق عبد الهادى التازى، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٩٦٤، سفر٢، ص ٤٤٣، وانظر أيضًا حسن على حسن : الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس " عصر المرابطين والموحدين "، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط١، ١٩٨٠، ص ٢٦٨ .

(٧) كربخال : المصدر السابق، ج١، ص ٣٦ .

الأندلس فى فاس، حيث نقلت من مرسى العرائش [١] ثم نهر سبو ثم إلى المدرسة [٢]، كما استخدم فى نقل البضائع الأخرى والأشخاص إلى مدينة الرباط [٣]، إلا أنه لم يستغل استغلالاً كافيًا يجعله يسهم فى حركة التجارة إسهامًا ملحوظًا، حيث إنه لو استخدم استخدامًا ملاحيًا لأسهم فى خفض أسعار البضائع، مثل القمح الذى تعد تكلفة نقله مساوية لنصف ثمنه[٤].

٤- وسائل النقل :

قد وجدت العديد من وسائل النقل التى عملت على تدعيم حركة النقل بين المدن وتسهيلها، وجاء هذا التنوع فى وسائل النقل من ضخامة الثروة الحيوانية التى تمتلكها الدولة، ويعد الجمل من أهم وسائل النقل وأكثرها استخدامًا، وذلك لما له من خصائص حباه الله بها، حيث إن له قدرة كبيرة على تحمل العطش فى الصحراء لفترة تصل إلى عشرة أيام [٥] بالإضافة إلى سرعته الكبير، مقارنة مع الثور [٦] ؛ لذلك أطلق عليه " ملاك السفر البعيد البعيد ومركز مداده " [٧]، وقد أحدث دخول الجمل ثورة فى وسائل النقل عبر الصحراء، راجع استخدام الجمال فى النقل إلى القرن الأول الميلادى أو الرابع الميلادى على أقصى تقدير[٨]، ومما لا شك فيه أن استخدامه عمل على تطوير حركة التجارة وازدهارها، خاصة خاصة تجارة المغرب مع السودان، فيلاحظ كثرة استخدامه فى القوافل التجارية، فيصل عدد الجمال المستخدمة فى قافلة واحدة من سبعين إلى مائة جمل [٩]، ويمكن تعليل شيوع استخدام الجمل عن الخيول، بأن سعره أرخص قياسًا بالخيول، فقد ذكر ابن بطوطة أن سعر الحصان يصل إلى مائة مثقال، فى حين اشترى جملين بسبعة وثلاثين مثقالاً [١٠]، ولم تقتصر استخداماته فى السفر والتجارة الخارجية، بل استخدم أيضًا فى أعمال النقل الداخلى

---

(١) **العرائش** : تقع على ضفة المحيط الأطلسى فى المكان الذى يصب فيه لُقَّس فى المحيط، ويقع قسم منها على ضفة النهر والجزء الآخر على ساحل المحيط، الوزان : المصدر السابق، ص ٣٠١ .

(٢) ابن القاضى : جذوة الاقتباس، ج١، ص ٤٥؛ السلاوى : المصدر السابق، ج٢، ص ٦٥ .

(٣) مزاحم الشاهرى : المرجع السابق، ص ١٥٣ .

(٤) الوزان : المصدر السابق، ص ٦٢٥ .

(٥) الوزان : المصدر السابق، ص ٦٣٥ .

(٦) الفشتالى : مناهل الصفا فى مآثر موالينا الشرفا، تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والثقافية، الرباط، ١٩٧٢، ص ١٢٨.

(٧) زاهر رياض : الممالك الإسلامية فى غرب إفريقيا وأثرها فى تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٢٩، محمد الغربى : بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى، دار الرشيد للنشر والطباعة، بغداد، ١٩٨٢، ص ٢٨ .

(٨) أمطير سعد غيث : التأثير العربى الإسلامى فى السودان الغربى فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، دار الرواد، بنغازى، ط١، ١٩٩٦، ص ١٥٩ .

(٩) الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٢ .

(١٠) المصدر السابق، ج٤، ص ٤٢٥ – ٤٤٤ .

للبضائع من مكان إلى مكان [1]، واستخدم فى الحروب، فقد استعانت بـه الدولـة المرينيـة فـى حروبها؛ لحمل معدات الجيش [2]، وقد ظهر استئجار الدواب للسفر بها فاستؤجر الجمل للسفر به إلى المشرق [3] كما استؤجر الحصان [4] .

أما عن النقل الداخلى للأسواق فارتبط بتخطيط شوارع المدن التى تعد شرايين الاتصال والحركة للمدينة، فاتسمت بأنها متسعة عند المسجد الجامع والقيسارية، ثم تضيق وتكون ملتوية ومعقدة وتتفرع منها دروب كثيرة ليس لها مخارج، وهو ما جعلها ضيقة، فلا تتسع إلا لمرور دابتين فقط فى الشارع الواحد [5]، وعلى الرغم من أن المتعارف عليه استخدام الدواب كوسيلة لنقل البضائع داخل الأسواق، وذلك بسبب ضيق الشوارع وكثافة السكان للمرور، فإنه قد استخدم العجلة فى نقل الرخام القادم من مرسية لمدرسة الصهريج بعدوة الأندلسيين وذلك فى عهد أبى الحسن المرينى، وهذا دليل على اتساع الطرق؛ لكى تسمح بمرور العجلات لنقل البضائع [6] .

ونتيجة لضيق الشوارع ظهرت وظيفة " الحمال " وهو الشخص الذى يحمل السلع بدلاً من الناس ويوصلها للمكان الذى يرغبون فى الذهاب إليه، نظير مبلغ من المال [7]، ولم ولم تكن مهمته مقصورة فقط على نقل السلع، بل عمل فى نقل الرسائل والأخبار بين الناس [8]، وكان لهم أماكن فى الأسواق يجتمعون فيها حتى يستطيع الناس الراغبون فى استئجارهم الوصول إليهم بسهولة، وبلغ عدد تلك المواقع خمسة عشر موقعًا، كما كان للحمالين أدوات يستخدمونها فى نقل البضائع، مثل الأكياس والحبال، وهكذا تبقى ملابسهم نظيفة، ومن الملاحظ أنهم كانوا يرتدون ملابس موحدة فى الشكل واللون أثناء العمل [9] .

---

(١) الأنصارى السبتى : المصدر السابق، ص ٣٨ .

(٢) ابن الحاج النميرى : فيض العباب، ص ٢٣٤، وانظر أيضًا رضوان البارودى : الحياة الحربية، ص ٢٤٢ .

(٣) الحضرمى : السلسل العذب والمنهل الأحلى، تحقيق محمد الفاسى، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مج ١٠، ج١، ١٩٦٤، ص ٧٩ .

(٤) الونشريسى : المعيار المعرب، ج٥، ص ٢٧٢ .

(٥) لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ٤٦، محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، الكويت، ع ١٢٨، ١٩٧٨، ص ١٨١.

(٦) الجزنائى : المصدر السابق، ص ٣٧ وانظر أيضًا أمل ربيع إسماعيل : الأندلسيون فى المغرب المغرب الأقصى فى عصر بنى مرين (٦٦٨ ــ ٨٦٩ هـ/ ١٢٦٩ ــ ١٤٦٥ م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨، ص ٤٦ .

(٧) إيواروبلا خورشيد : الحمال، موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع، ط١، ١٩٩٨، ج١٤، ٤٣٠٤ ــ ٤٣٠٥ .

(٨) لوتورنو : المرجع السابق، ص ٨٢ .

(٩) ابن القاضى : جذوة الاقتباس، ق١، ص ٢١٩ وانظر أيضًا لوتورنو : المرجع السابق، ص٨٢. ص٨٢.

ويرجع أصول الحمالين إلى قبائل بربرية فى أواسط وادى ملوية [١]، وكان لهم رابطة رابطة تجمعهم ولها أمين يعمل على مصالحهم ويقسم العمل بينهم، فهو الذى يختار فى كل أسبوع مَنْ الذى سيعمل، وتميز الحمالون بالتكافل الاجتماعى فيما بينهم، فكانوا يشاركوا بعضهم بعضًا فى الأفراح والأحزان، فإذا تزوج أحد منهم أو رزق بطفل فعليه أن يدعوا كل رفاقه إلى وليمة، وعلى رفاقه تقديم الهدايا له، وكذلك إذا توفى أحد منهم، يساعدون زوجته وأولاده، وكان للالتحاق بهذه المهنة طقوس معينة، فعلى الشخص الذى يرغب فى الانضمام إليهم أن يقيم وليمة ويدعو فيها كل الحمالين، وإذا لم يفعل ذلك يأخذ نصف الأجرة فقط[٢] وحصل الحمالون على بعض الامتيازات أثناء الحكم المرينى، مثل إعفائهم من الضرائب و عجين خبزهم مجانًا، إلا أن ذلك لم يمنع العقاب إذا وجد الخطأ، فإذا ارتكب أحدهم جريمة، حكم عليه بالإعدام، وينفذ الحكم فى ساحة أمام عامة الناس [٣]، كما وضعوا تحت مراقبة المحتسب [٤] .

وقد عُرف سائق الحمير فى دولة بنى مرين وهو الشخص الذى يعمل بدلاً من الحمال، حينما تصبح حمولة البضائع ثقيلة عليه، ولا يستطيع حملها، وذلك من خلال استئجار الدواب والبغال ؛ لنقل البضائع للتجار [٥]، وقد تحدثت العديد من النوازل على الرفق بالحيوانات المستأجرة، حيث كان يموت العديد منها نتيجة لحملها حمولة زائدة أو سوء المعاملة، وفى هذه الحالات يكون رأى الفقيه إلزام المستأجر حلف اليمين حتى يتأكد من صدقه أو يوجب عليه دفع غرامة جزاء ذلك [٦]، وانتشرت هذه النوازل كثيرًا، برغم أن أن الشريعة الإسلامية ألزمت المسلمين بمعاملة الدواب معاملة حسنة، بعدم ضربها أو إرهاقها بالأحمال الزائدة على طاقتها [٧] ورعايتها الطبية، من خلال البياطرة الذين كانت حوانيتهم منتشرة عند أبواب المدينة [٨] .

ثانيًا : أنواع الأسواق

---

(١) لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ٨١ .

(٢) الوزان : المصدر السابق، ص ٢٤٠، وانظر أيضًا عبد العزيز بن عبد الله : كيف بدأ التصنيع في المغرب، مجلة دعوة الحق، الرباط، ع ٢٦٧، ١٩٧٨، ص ٩٦ .

(٣) الوزان : المصدر نفسه، ص ٢٤٠، وانظر أيضًا مزاحم الشاهرى : المرجع السابق، ص ٩٩ .

(٤) ابن عبدون : رسالة فى القضاء والحسبة ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق ليفى بروفنسال، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٤١ .

(٥) الونشريسى : المعيار المعرب، ج٨، ص ٢٨٣ .

(٦) الونشريسى : المصدر السابق، ج١٠، ص ٢٦١ ــ ٢٦٤ .

(٧) الونشريسى : المعيار المعرب، ج٢، ص ٥٠١ .

(٨) لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٣٦ .

تُعد المدينة الإسلامية بمنزلة الكائن الحى، وتمثل الأسواق فيها الأحشاء [١]، و كلمة (سوق) لا تعنى موضعًا محددًا بحدود ثابتة، وإنما يقصد بها تلك المواضع التى يتجمع فيها التجار والباعة، وتقام فيها الحوانيت؛ للبيع والشراء على الدوام، فالسوق قد تكون رحبة (ميدان) أو شارعًا أو تكون قرب أبواب المدينة [٢] .

وقد أدت الأسواق دورًا رئيسيًا فى عملية التبادل التجارى الداخلى، حيث تضم بين طياتها ضروريات وكماليات لحياة الناس ؛ لذا عرفت بموضع البياعات [٣]؛ فبذلك تكون الأسواق مركزًا لتجمع الناس كل يوم ؛ لقضاء احتياجاتهم ومطالبهم، ومن ثم كان يراعى عند إقامتها عدة أمور :

أولاً : اختيار مكان مناسب ؛ لإقامة الأسواق، ويكون فى وسط المدينة حتى يسهل الوصول إليه، فتميزت المدن الإسلامية بإقامة أسواقها بجوار المسجد الجامع الذى يعد القلب النابض للحياة فى المجتمع الإسلامى، وهى بذلك تكون مفتوحة على ممرات المدينة ومرافقها [٤] .

وثانيًا : أن يراعى فيها حسن التقسيم والتنظيم، بحيث يسهل التجول بداخلها ورؤية كل البضائع المعروضة، وتكون مسقوفة بالآجر وبمعرشات العنب ؛ لحماية الناس والبضائع من الشمس والمطر [٥] .

ومن ثم نالت الأسواق اهتمام الخلفاء والولاة ورعايتهم، فكان أول من أمر بتنظيم الأسواق وترتيبها الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥ هـ / ٧٢٧ – ٧٤٢ م) بأن جعل الحوانيت كلها متلاصقة ومتصلة بعضها البعض، كما هو الحال فى سماط [٦]

---

(١) جيمس دكى : غرناطة مثال من المدينة العربية فى الأندلس، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، تحرير سلمى الخضراء الجيوسى، ضمن مجموعة أبحاث الحضارة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ج١، ص ١٥٢ .

(٢) كمال أبو مصطفى : تاريخ الأندلس الاقتصادى، ص ٢٩٦ – ٢٩٧ .

(٣) أى مكان البيع والشراء (المطرزى : المغرب فى ترتيب المغرب، تحقيق محمود فاخورى وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط١، ١٩٧٩، ج١، ص ٤٢٢) .

(٤) الوزان : المصدر السابق، ص ٢٣٩ وانظر أيضًا : أحمد مختار العبادى : فى تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د . ت، ص ١٦٧

(٥) عثمان الكعاك : الحضارة العربية فى حوض البحر الأبيض المتوسط، مطبعة لجنة البيان العربى، ١٩٦٥، ص ٦٦، محمد عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامى فى العصر الأيوبى، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٣٩ .

(٦) سماط : هو السوق، وتقام فيه الحوانيت على جانبيه (عبد العزيز الأهوانى : ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى فى لحن العامة، مجلة معهد إحياء المخطوطات العربية، ١٩٥٧، مج ٣، ج١، ص ٢٩٣) .

القيروان [1]، ولأن الأسواق تعد المرآة التى تعكس الجانب الحضارى للدولة، فقد خصص الأمير يزيد بن حاتم المهلبى بعد توليه ولاية إفريقية (١٥٦ هـ / ٧٧٣ م) مكانًا لكل أهل صناعة [2]، وأعاد تخطيط الأسواق، بحيث أصبحت عبارة عن أبنية اقتصادية مفتوحة تكون فيها الحوانيت متلاصقة بعضها ببعض، ويكون لأهل كل صناعة مكان خاص بها، مثل سوق العطارين وسوق الصياغين [3] وأستمر تخطيط الأسواق على هذا النحو حتى عهد دولة بنى مرين .

١- الأسواق اليومية :

هى الأسواق التى تقام فى المدن باستمرار، ولا تخلو مدينة من وجودها، ففى سبتة بلغ عدد الأسواق مائة وأربعًا وسبعين سوقًا [4]، وهذا دليل على الرواج التجارى بالمدينة، وعرفت مكناسة بأسواقها الحافلة [5]، أما عن طنجة فأسواقها متعددة، وكان أهمها " سوق الداخل " التى تروج فيها السلع المجلوبة عن طريق البحر أو القابلة للتصدير إلى الأندلس [6]، كما اشتهرت مراكش بأسواقها المتنوعة وسلعها المختلفة، مثل سوق الدخان والصابون والمغازل والصفر [7]، فى حين ذكر ابن بطوطة أن أسواق بغداد أفضل من أسواق مراكش[8]، أما عن فاس الجديدة، فحينما بناها أبو يوسف يعقوب (٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م) كانت الأسواق فيها من باب صنهاجة إلى باب القنطرة [9]، كما تركزت أسواق الجملة خاصة منها الحبوب عند الأبواب الرئيسية للمدينة كباب الجبيسة [10] وباب الفتوح [1]،

---

[1] البكرى : المصدر السابق، ص ٢٦، وانظر أيضًا : جمال أحمد طه : دراسات فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للغرب الإسلامى، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٨، ص ٨٩ .

[2] ابن وردان : تاريخ مملكة الأغالبة، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٤٨ – ٤٩، وانظر أيضًا محمود إسماعيل : مغربيات، فاس، ١٩٧٧، ص ٩٩ .

[3] ابن أبى زرع : الذخيرة، ص ٧٣، الوزان : المصدر السابق، ص ٢٤٧ .

[4] الأنصارى السبتى : المصدر السابق، ص ٣٩ .

[5] الحميرى : المصدر السابق، ص ٥٤٤ .

[6] الحميرى : نفس المصدر، ص ٣٩٦، وانظر أيضًا عزيزة محمد على بدر : طنجة بوابة إفريقيا إفريقيا دراسة فى جغرافية المدن، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٩٤، شاهندة سعيد محمود منصور : تاريخ طنجة منذ الفتح العربى حتى نهاية عصر الموحدين (٨٦ – ٦٦٨ هـ / ٧٠٥ – ١٢٦٩ م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٣١٠ – ٣١١.

[7] الإدريسى : المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣٥ .

[8] المصدر السابق، ج٤، ص ٣٧٥ .

[9] ابن أبى زرع : الذخيرة، ص ١٦١، وانظر أيضًا محمد المنونى : ورقات، ص ٤٣ .

[10] باب الجبيسة : (باب عجيسة) أنشئ فى القرن الرابع الهجرى ظل الباب على حاله طول أيام عهد المرابطين حتى جاء الخليفة الناصر بن يعقوب المنصور، وأمر ببناء السور الذى هدمه جده الخليفة عبد المؤمن بن على، حين قام بالاستيلاء عليها، وصنع فى هذا السور باب كبير فوق باب الجبيسة، دب فيه الخراب فى بداية الدولة المرينية، فأمر الخليفة يعقوب بن عبد الحق المرينى ببنائه مرة أخرى . (الجزنائى : المصدر السابق، ص ١٠٥) .

وباب المحروق [٢]، ويستدل من ذلك على اهتمام الحكام بإقامة الأسواق فى المدن وحرصهم على تدعيم التجارة .

وفى المدينة صنفت الأسواق على حسب أحجامها ونوعية السلع التى تباع فيها، سواء أكانت رخيصة أم غالية، فكان بعضها يطلق عليها سوق، مثل سوق باب السلسلة وهى من الأسواق الكبيرة بمدينة فاس [٣]، وأخرى أطلق عليها سويقة أو رحبة، وسويقة تصغير للسوق يباع فيها الأشياء الرخيصة [٤] كسويقة باب الجبيسة [٥]، ومن الملاحظ أنه قد ذُكرت العديد من أسماء السويقات، إلا أنه لم يستدل على أماكنها أو نوعية السلع التى تباع فيها، كسويقة ابن صافي وسويقة لبيب [٦] .

<u>أما عن الرحبة :</u> فهى ساحة متسعة تكون ملتقى لعدة أزقة، وغالبًا ما تكون غير مسقفة، أنشئت بغرض تيسير حركة المرور فى الشارع، وذلك لضيق الشوارع فى المدن الإسلامية [٧]، ويرى توريس بالباس أن الرحبة والسويقة لفظان يطلقان على مكان واحد [٨]، فى حين يرى آخرون أنهما يطلقان على مكانين مختلفين، فالسويقة لبيع الأشياء الرخيصة،

---

[١] **باب الفتوح** : باب شهير فى عدوة الأندلسيين فى فاس، وكان أول باب بنى فيها وسمى بابا لقبلة، وظل على حاله منذ بناه إدريس الثانى إلى هدمه بعد وفاة الأمير المصلح دوناس بن حمامة بن المعز بن عطية الصنهاجي اقتسم ولداه فتوح وعجيسة ملك فاس، فكانت عدوة الأندلسيين من نصيب فتوح، وعجيسة عدوة القرويين، فأعاد فتوح بناء الباب مرة أخرى ؛ لذلك سمى باسمه (الجزنائى : المصدر نفسه، ص ١٠٦) .

[٢] **باب المحروق** : باب شهير بفاس يخرج منه إلى قصبة الشرارة وظهر الخميس، وكان فى الأصل يدعى باب الشريفة، ولما بناه الخليفة محمد الناصر بن يعقوب المنصور فى (١٢٥٩م / ٦٠٠ هـ)، كان قد قضى على ثائر عليه يدعى العبيدى، وكان قد علق رأسه على باب الشريفة وأحرق ؛ لذلك أطلق عليه باب المحروق، وقيل إنه سمى بذلك لحرق الوزير لسان الدين بن الخطيب عليه، ولكن هذا ليس بصحيح ؛ لأن تسمية الباب كانت قبل ذلك الوقت (الجزنائى : المصدر السابق، ص ١٠٤ وانظر أيضا لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ٤١) .

[٣] ابن أبى زرع : الذخيرة، ص ٧٣، وله الأنيس المطرب، ص ٢٧٧، ابن قنفذ : أنس الفقير، ص ٧٥.

[٤] ابن منظور : لسان العرب، تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩، مج ٣، ج ٢٤، ص ٢١٥ .

[٥] الكتانى : سلوة الأنفاس، ج١، ص ٢١٦ .

[٦] ابن الزيات : المصدر السابق، ص ٤٤٧ – ٤٤٨، وانظر أيضًا لوتورنو : فاس قبل الحماية، ج١، ص ١٧٦ .

[٧] محمد عمارة : المرجع السابق، ص ٢٤٤، محمد عبد الستار عثمان : المرجع السابق، ص١٧٦.

[٨] المدن الأسبانية الإسلامية، ترجمة إليودورى لاينا، مطبعة الملك فيصل، الرياض، ط١، ٢٠٠٣، ص ٤٣٣ .

مثل الطعام الذى يباع للمسافرين [١]، فى حين أن الرحبة هى سوق تباع فيها غالبًا البضائع التى تعتمد فى بيعها على المكاييل والأوزان أو بضائع أخرى، مثل رحبة الزبيب التى يباع فيها الفواكة اليابسة والحبوب ورحبة الزيت التى يباع بها السمن والزيت والشحوم [٢]، ومن ومن أهم الرحبات رحبات سبتة، كرحبة العظمى التى تقع بالقرب من فندق النصارى ورحبة الخطاب التى تقع داخل ميناء المدينة، بالإضافة إلى رحبة الزجاج، وهى داخل المدينة [٣]، وفى مدينة تلمسان توجد رحبة الزرع ورحبة اليمن تجمن التى هى بالقرب من باب القصر [٤]، وهناك ثلاث رحبات أخرى فى تلمسان، ولكن لبيع المواشى، كرحبة الغنم ورحبة الإبل[٥] .

- التربيعة : التربيعة سوق صغيرة تأخذ شكل مربع، وتحتوى على عدد من الحوانيت للحرارين والخياطين والأطرزة، فيذكر ابن أبى زرع أن عدد التربيعات بلغت فى فاس ثلاثة آلاف وأربعة وستين موضعًا [٦]، فى حين يذكر الجزنائى أنها ثلاثة آلاف وأربع وتسعون تربيعة [٧]، وهذه أرقام مبالغ فيها، وفى سبتة بلغ عدد التربيعات بها إحدى وثلاثين وثلاثين تربيعة، وقد تميزت إحدى هذه التربيعات بفخامتها فهى أشبه بالقلعة، إذ تكونت من ثلاثة طوابق سامية الهواء، وفى صحنها مسجد، وتقع أسفل زقاق الخطاب [٨] .

الحوانيت :

كانت الأسواق تزخر بالحوانيت، ففى فاس بلغ عددها تسعة وثمانين ألفًا ومئتى حانوت [٩]، فى حين وصل عددها فى مدينة سبتة إلى أربعة وعشرين ألف حانوت [١٠]، وأنشئت الحوانيت بغرض عرض البضائع فيها، وكان يراعى فى توزيع الحوانيت القاعدة الإسلامية (لا ضرر ولا ضرار)، فمن كانت صناعته تحتاج إلى نار، كالخباز والحداد، فحوانيتهم

---

(١) عبد الوهاب الدبيش : توزيع المرافق الاقتصادية بفاس المرينية، بحث ضمن أعمال ندوة التجارة فى علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ المغرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثانى، الدار البيضاء، ١٩٨٩ م، ق٢، ص ٤٢ .

(٢) لوتورنو : المرجع السابق، ج١، ٤٤٦، عبد الوهاب الدبيش : المرجع السابق، ص ٤٣ .

(٣) محمد الشريف : سبتة الإسلامية، ص ٦٠ .

(٤) يحيى بن خلدون : بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية، الجزائر، ١٩٨٠، ج ١، ص ٢١٩، وانظر أيضًا مختار حسان : المرجع السابق، ج٢، ص ٤٧ .

(٥) ابن مريم : البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى به محمد ابن شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ١٩٠٨، ص ٢٧٥ .

(٦) الأنيس المطرب، ص ٤٨ .

(٧) المصدر السابق، ص ٤٤ .

(٨) الأنصارى السبتى : المصدر السابق، ص ٤٠ .

(٩) الجزنائى : المصدر السابق، ص ٤٤ .

(١٠) الأنصارى السبتى : المصدر السابق، ص ٣٩ .

تبعد عن حوانيت العطارين والبزازين (بائعى الثياب أوالقماش الحرير) [١]، أما عن شكل الحوانيت، فكلها يجب أن يتوافر فيها الضوء ؛ حتى يستطيع المشترى معاينة البضاعة واختيار ما يناسبه [٢]، ولكن اختلفت مساحات الحوانيت على حسب التجارة التى تمارس فيها، فحانوت القصاب (الجزار) تحتاج إلى مساحات كبيرة، كما اشترط فى حوانيت الخبازين أن تكون سقوفها مرتفعة، وذلك للتهوية وإخراج الدخان خارج الحانوت [٣] .

وقد اتخذت أغلب الحوانيت شكلاً واحدًا، فهى ضيقة إلى حد ما وقليلة الارتفاع أشبه ما تكون بخزائن مقامة داخل الجدران، وأبوابها تغلق بألواح متحركة تربطها مزاليج محكمة، وكان يعلوها ظلة مائلة من الخشب أو الحصير ؛ حتى تقى البائع والمشترى من حرارة الشمس [٤]، وعلى الرغم من ذلك يذكر د / عبد الوهاب الدبيش أن الأسواق والمرافق التابعة التابعة لها فى مدينة فاس أثناء العصر المرينى لم تكن متناسقة إلا فى حالات قليلة، فوجدت فوضى فى بناء الحوانيت، وأنها ظاهرة لم تقتصر على فاس فقط، بل لازمت مدن المغرب الإسلامى عامة فى تلك الفترة [٥]، ولكننا لا نميل إلى هذا الرأى، بدليل ما عرضناه سابقًا حول تخطيط للأسواق والحوانيت وتنظيمها .

والتزمت الحوانيت فى الأسواق بنظام فى مواعيد العمل، إذ تغلق أبوابها عند صلاة المغرب، وتفتحها بعد صلاة الفجر، وإذا حانت مواعيد الصلاة، ذهب التجار لأدائها وتركوا الصبيان فى الحوانيت وأهل الذمة ؛ لحراستها، مقابل أجر زهيد، وفى يوم الجمعة لا تفتح الحوانيت إلا بعد صلاة الجمعة، وفى شهر رمضان يبدأ العمل بعد صلاة الضحى حتى قبيل المغرب ليتمكن التجار من العودة إلى منازلهم لتناول الافطار [٦] .

وأغلب الحوانيت التى كانت حول المسجد تعود ملكيتها إلى الدولة، حيث وهبها أصحابها؛ لفعل الخير بإنفاق أرباحها على المساجد والمدارس والأربطة، وهذا النظام عرف فى المغرب والأندلس باسم الأحباس (الأوقاف) وكان من أهم شروطه أن يكون فى عين يمكن الانتفاع بها دائما مع بقاء الأصل، كالعقار والأرض [٧]، وقد شاع هذا فى العهد المرينى،

---

[١] محمد عبد الستار : المرجع السابق، ص ٢٣٣ .

[٢] ابن الحاج الفاسى : المدخل، ج٤، ص ٢٨ .

[٣] محمد عبد الستار عثمان : المرجع السابق، ص ٢٣٨ .

[٤] السيد عبد العزيز سالم : التخطيط ومظاهر العمران فى العصور الوسطى، ضمن كتاب بحوث إسلامية فى التاريخ والآثار، دار الغرب الإسلامى ، بيروت، ١٩٩١، ق٢، ص ١٤ .

[٥] المرجع السابق، ص ٤٦ .

[٦] لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٤٦ – ١٤٧، إبراهيم حركات : النشاط الاقتصادى الاقتصادى الإسلامى فى العصر الوسيط، إفريقيا الشروق، الدار البيضاء، ١٩٩٦، ص ١٣٣ .

[٧] كمال أبو مصطفى : الأحباس فى الأندلس فيما بين القرنين الرابع والتاسع للهجرة (١٠ – ١٥م) ١٥م) دار نشر الثقافة، القاهرة، ١٩٨٩، ص ١٦، حسين مراد : الأوقاف مصدرًا لدراسة مجتمع

حيث بلغ إيرادات أوقاف جامع القرويين فقط فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى عشرة آلاف دينار من فضة فى بعض الأحيان [1]، لذلك لجأ التجار إلى استئجارها من قاضى الأحباس أو من أصحابها، فيذكر لنا الونشريسى إن استئجار أحد الحوانيت بلغ قيمته حوالى خمسة عشر درهمًا، وأحياناً يصل الإيجار إلى عشرين درهمًا شهريًا [2]، فى حين كان يستأجر الفرن باثنى عشر درهمًا شهريًا [3]، بيد أن المصادر لم تقدم لنا معلومات حول أسعار بيع الحوانيت فى تلك الفترة، إلا أننا يمكننا نتبع مبادئ القياس على تجارة بيع العقارات فى تلك الفترة، فيذكر لنا ابن مرزوق حول بيع دار فى السوق أنها قد بيعت بتسعين ألف درهم، على حين بيع المتر حول جامع العباد بتلمسان بدينارين من الذهب [4]، فى الوقت الذى بلغت أسعار الدور فى عهد السلطان أبى ربيع سليمان بن عبد الله (٧٠٨ – ٧١٠ هـ / ١٢٠٨ – ١٢١٠ م) ألف دينار من الذهب [5].

كما ظهرت العديد من القضايا حول إيجارات الحوانيت، فيذكر الونشريسى عن أحد التجار أنه استأجر حانوتًا، ثم أجَّره صاحبه لشخص آخر، وطلب من المستأجر الأول إخلاء الحانوت فادعى التاجر الأول أن إيجاره للحانوت كان لمدة محددة، ولم تنته المدة، فى حين قال صاحب الحانوت إن الإيجار كان بنظام المشاهرة، ولم يقدم البينة على ذلك، فألزموه اليمين، فأقر صاحب الحانوت أن الإيجار كان بالمشاهرة، فأجاب الفقيه بأنه ليس على صاحب الحانوت حلف اليمين إذا كان المبلغ الذى سيدفعه الثانى أكبر من مبلغ الأول، أو تكون قيمة إيجار الحانوت أكثر مما أجر بها الآخر، وإذا تساويا فى قيمة الإيجار فلا يمين عليه، فيكون الإيجار بين صاحب الحانوت والمستأجر الأول [6].

وقد يعجز التاجر عن دفع الإيجار خاصة فى فترات الكساد، فيذكر أن رجلاً استأجر حانوتًا فى سوق العطارين، وتزايدت عليه قيمة الإيجار حتى بلغت ستين دينارًا بعد أن كان يدفع ستة دنانير، فلم يستطع دفع الإيجار وأغلق الحانوت [7]، ونتيجة لسوء الأحوال الاقتصادية أستفتى أحد الفقهاء : هل يجوز تقليل إيجار الحوانيت ؟، فكان جوابه على هذا أن الحانوت

فاس فى العصر المرينى (٦٥٦- ٨٦٩ هـ / ١٢٥٨- ١٤٦٥م)، الزهراء كمبيوتر، القاهرة، ٢٠٠٢، ص١٢ .

[1] محمد المنونى : ورقات، ص ١٢٥، لمزيد من التفاصيل حول الأوقاف فى عهد بنى مرين ودورها فى المجتمع راجع محمد المنونى : دور الأوقاف المغربية فى التكامل الاجتماعى فى العصر المرينى (٦٥٧- ٨٦٩ هـ) مجلة دعوة الحق، الرباط، ١٩٨٣، ع ٢٣٠، ص ٢٧ – ٣٣ .

[2] المعيار المعرب، ج٧، ص ٥١ .

[3] الونشريسى : المصدر السابق، والجزء، ص ٤٢ .

[4] المسند، ص ١٤٥ وانظر أيضًا مبخوت بودواية وهوارية : العلاقات الثقافية بين الدولتين والمرينية خلال القرنين (٧ – ٩ هـ)، مجلة الفسطاط الألكترونية، ٢٠٠٨، ص ١١ .

[5] ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٣٩٥ .

[6] المعيار المعرب، ج٥، ص ٢٨١ .

[7] ابن الزيات : المصدر السابق، ص ٤٤٧ – ٤٤٨ .

ليس له علاقة بذلك وعلى التاجر دفع الإيجار، إلا أن قاضى الأحباس كان يأخذ فى الحسبان هذه الظروف، ويسمح للمتعسرين بتأجيل الإيجار على سبيل السلف، حتى تتحسن أحوالهم، وكان التاجر ملزمًا برد هذه الأموال [١] .

٢- الأسواق الأسبوعية:

عُرفت الأسواق الأسبوعية فى المغرب والأندلس، وسميت بذلك ؛ لأنها تقام فى يوم معين من أيام الأسبوع دون غيره من كل أسبوع، وكانت تقام خارج أسوار المدن أو فى أرباضها [٢]، ويرجع ذلك إلى أنها تحتاج إلى مساحات كبيرة لعرض البضائع التى تكون من ضمنها الحيوانات [كالأبقار والأغنام والخيول والطيور]، بالإضافة إلى مصنوعاتهم البسيطة كالأوانى الفخارية أو القماش، وبهذا يكون قد خفف الضغط على شوارع المدينة فتظل نظيفة[٣] .

وأصبحت الأسواق الأسبوعية ملتقى لتجار الحواضر والبادية، وهو ما يتيح لهم فرصة لتنشيط حركة التجارة وتبادل البضائع، إلا أن هذه الأسواق كانت دائمًا فى مصلحة تجار الحواضر، حيث كانت أرباحهم أكثر[٤]، ويرجع ذلك إلى تفضيل تجار البادية بيع بضائعهم بسرعة والعودة سريعًا إلى ديارهم، لأنهم كانوا يجدون أنفسهم غرباء فى هذه المدن [٥]، وعلى الرغم من هذا التواصل بين الحواضر البادية فإن الحميرى يرى أن الأسواق الأسبوعية لم تصل لقوة أسواق المدن وازدهارها[٦]، ومن أهم الأسواق الأسبوعية نذكر فى فى فاس سوق الخميس [٧]، وفى مكناس كانت تعقد سوق يوم الأربعاء وأطلقت عليها " سوق الغبار " [٨]، كما كانت تقام فى مدينة درعة سوق كل يوم جمعة سوق فى مدينة العرائش [٩]، كما اشتهرت سوق الأحد فى مدينة أغمات وعرف بضخامتها، حيث يباع فيها فيها كل أنواع السلع، كما عُرف عن هذا السوق أنها أكبر تجمع لبيع الماشية، حيث يباع

---

[١] الونشريسى : المصدرالسابق، ج٨، ص ٢٨٨ .
[٢] لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ٥٥، كمال أبو مصطفى : تاريخ الأندلس الاقتصادى، ص ٣٠٣ .
[٣] عثمان العكاك : المرجع السابق، ص ١٧٨ .
[٤] محمد فتحة : ملاحظات حول علاقة المدينة بالبادية بالمغرب خلال نهاية العصر الوسيط نموذجًا من خلال كتاب المدينة فى تاريخ المغرب العربى أشغال الندوة المنظمة من ٢٤ إلى ٢٦ نوفمبر ١٩٨٨، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، ص ٣٤٣ .
[٥] لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ٥٥ .
[٦] المصدر السابق، ص ٣٧١ .
[٧] لوتورنو : المرجع السابق، ص٥٥ .
[٨] ابن غازى : المصدر السابق، ص ١٤ – ٢٠ .
[٩] الوزان : المصدر السابق، ص ٣٠٢ .

فيها عدد كبير من الماشية لأنها مقصد لكثير من التجار من مناطق أخرى [١]، كما وجدت وجدت فى إقليم جزولة سوق أسبوعية، كانت تستمر لمدة ثلاثة أيام من الأسبوع [٢] .

٣- الأسواق الموسمية (المشهودة)

ارتبط قيام هذا النوع من الأسواق بموعد محدد من كل عام تقام فيه، سواء أكان موسمًا أم مناسبة دينية، ففى دكالة كانت تقام سوق لمدة يوم واحد فقط من كل عام، إلا أنها كانت تتوافد عليها التجار من كل مكان، وكانت هذه السوق تعقد، ولا تنفض إلا بحلول المساء [٣] ؛ وعرف فى مدينة هادكيس [٤] سوق سنوية تستمر لمدة خمسة عشر يومًا يجلب يجلب إليها مختلف البضائع من المواشى والسمن والزيت الهرجان [٥]، بالإضافة إلى المصنوعات الحديدية والمنسوجات [٦]، ومن أشهر الأسواق أيضًا سوق منطقة جزولة التى تعقد كل عام فى المولد النبوى (ربيع الأول) وتستمر لمدة شهرين، وتتميز هذه السوق بالنظام وحسن الترتيب، وبها دوريات أمنية لحماية التجار من اللصوص، بالإضافة إلى أنها تعمل على راحة التجار، وذلك من خلال تقديم الأطعمة للتجار الغرباء، كما عملوا على تقسيم السوق وترتيبها حسب البضائع، فى حين جعلوا تجار المواشى خارج الخيام حتى لا يتضرر أحد [٧]، كما ارتبطت قيام بعض أسواق بالمناسبات الدينية من كل عام، ففى مدينة أصيلا تقام أسواق احتفالاً بهذه المناسبات، فتعقد فى رمضان فى العاشر من ذى الحجة وعاشوراء [٨]، كما تقام فى شالة سوق احتفالاً بيوم السابع والعشرين من رمضان [٩] .

---

(١) عبد الأحد السبتى وحليمة فرحات : المدينة فى العصر الوسيط، المركز الثقافى العربى، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ص ١٠٠ .

(٢) كربخال : المصدر السابق، ص ٦٩ .

(٣) ابن الخطيب : نفاضة الجراب، ص ٧٤ .

(٤) مدينة هادكيس : تقع فى منطقة حاحة من إقليم مراكش، على سهل، يُقطن فيها حوالى سبعمائة أسرة يزاولون التجارة ولديهم خيول حسان يتجولون بها فى المناطق المجاورة ؛ بغرض التجارة (الوزان، المصدر السابق، ص ١١٣) .

(٥) زيت الهرجان : يستخلص من شجرة مشوكة لها ثمار مثل ثمار اللوز، وفيها نوى تأكله المواشى، كان يتم جمع هذة النوى فيكسر ويعصر منها الزيت، وطعمه حلو مثل زيت الزيتون، وكان منتشرًا جدًا فى مراكش وتنميل (ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، مكتبة المثنى، بغداد، د .ت، ج٢، ص ١٧٩) .

(٦) الوزان : المصدر السابق، ص ١١٣، وانظر أيضًا مزاحم الشاهرى : المرجع السابق، ص١٤٣.

(٧) الوزان : نفس المصدر، ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٨) الحميرى : المصدر السابق، ص ٤٢ .

(٩) ابن الخطيب : نفاضة الجراب، ص ١٢٢ .

٤- الأسواق الحربية :

هى التى تصاحب الحملات العسكرية وتنتقل معها أثناء الحرب، وتقام هذه الأسواق بالقرب من المعسكرات حتى توفر الخدمات للجيش، أو تكون مصاحبة لركب الخليفة وتنزل بالقرب من خيمته، أو تقام عند المحلات الدائمة المقامة على طريق الحملة العسكرية، ويتعرض هؤلاء التجار إلى مخاطر كثيرة، فقد يقتلون أثناء اندلاع الحروب أو يتعرضون للسيول والمجاعات والأمراض والأوبئة، بالإضافة إلى ذلك تقام هذه الأسواق بهدف بيع غنائم الحروب [١] .

ومن أهم هذه الأسواق تلك التى صاحبت الحملات العسكرية للسلطان يعقوب بن عبد الحق للأندلس فى حملته (٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م)، وغنم من تلك الحروب غنائم كثيرة حتى وصل عدد البقر فقط إلى مائة ألف وأربع وعشرين رأسًا وأعداد لا تحصى من الغنم، حتى بيعت الشاه الواحدة بدرهم واحد، بالإضافة إلى الأسرى الذين بيعوا رقيقًا [٢]، أما عن عبوره الرابع للأندلس (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) و بعد انتصاره عقدت سوق كبيرة وصفها ابن أبى زرع قائلاً : " إذا غاب عنك رفيقك أو من تعرفه لا تكاد تلقاه إلا بعد يومين وثلاثة من كثرة الخلق "، وهذا دليل على كثرة الناس الوافدين إلى السوق، وكان رخص الأسعار فى تلك الأسواق عامل جذب للناس [٣]، هذا فضلاً عن الأسواق التى رافقت الحملات العسكرية للسلطان أبى عنان فارس على الدولة الحفصية [٤] .

٥- أسواق الحج :

الحج من شعائر الإسلام، وقد حرص المغاربة على أداء هذه الفريضة، كما اقترن موسم الحج بنشاط حركة التجارة، ويرجع ذلك لما يلقاه الحجاج من رواج تجارى ملحوظ، حيث يجدونه فرصة ممتازة لتبادل البضائع فى الأسواق التى يمر بها ركب الحجيج أثناء رحلته إلى الأراضى المقدسة (الحجاز) ويعود عليهم بفوائد كثيرة، بالإضافة إلى أنهم يزودون الحجاج بمطالبهم أثناء رحلتهم [٥]، وساعد على تدعيم تلك الأسواق رأى بعض الفقهاء الذين أجازوا إمكانية ممارسة التجارة أثناء أداء فريضة الحج، بدعوة أن التجارة هى

---

[١] ابن عذارى : المصدر السابق، ق الموحدين، ص ٣٨، وانظر أيضًا عبلة محمد سلطان لطيف : : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مدن جنوب المغرب عصر المرابطين والموحدين (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م إلى ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٢، ص ١١٦ .

[٢] ابن خلدون : العبر، مج٧، ج١٣، ص ٣٩١ – ٣٩٨، السلاوى : المصدر السابق، ج١، ص ٣٩١ .

[٣] الأنيس المطرب، ص ٣٥٢ .

[٤] ابن الحاج النميرى : فيض العباب، ص ٢٥٧ .

[٥] ابن جبير : رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦، ص ٩٦، ابن القاضى : جذوة الاقتباس، ق٢، ص ٤٤٣، وانظر أيضًا إبراهيم حركات : النشاط الاقتصادى، ص ١٢٨ .

طلب للفضل، وطالما لم يخل الحاج بما تقضيه الفريضة من واجبات، فلا مانع من ارتباط القصدين معًا [١]، وأعطانا العبدرى وصفًا لتلك الأسواق أثناء رحلته إلى الحجاز [٢] .

ثالثًا : القيساريات

القيسارية غالبًا ما تتكون من شبكة من الطرق الضيقة المسقوفة أو ممرات تدور حول بهو فسيح تتفتح على الحوانيت، وكانت تعرف بسوق الإمبراطور، نسبة لإمبراطور قيصر، وأقيمت بهدف منع السرقات [٣]، وانتشرت فى أسواق المدن الإسلامية حتى أصبحت سمة تميزت بها الأسواق، ففى مدينة فاس وجد بها قيساريتان : إحداهما فى عدوة القرويين وأخرى فى عدوة الأندلسيين [٤]، ووصف الوزان قيسارية فاس، بأنها مدينة صغيرة محاطة بالجدران تحتوى على اثنى عشر بابا تنفتح فيها، يعترض مدخل كل باب سلسلة تمنع دخول الخيل وسائر الدواب، وأطلق عليها سوق التجار، وكانت مقسمة إلى خمس عشرة سوقًا [٥] .

.

فى حين وصف أبو القاسم الزيانى قيسارية فاس بأنها مقسمة إلى ثمانى أسواق على النحو التالى " سوق الملف وحده وسوق الخياطين الملف وحده وسوق الكتان الخام وحده وسوق ثياب الحرير المنسوجة وحده وسوق المخيط بالبالى وحده وسوق الحرير غير المنسوج وحده وسوق المفصل الجديد وحده وسوق من يضفر الحرير " [٦]، فى حين اتفق كربخال مع الوزان على أنهاخمس عشرة سوقًا بالقيسارية [٧]، وتميزت قيسارية فاس بتعدد الاختصاصات، ولا تباع فيها سوى البضائع الغالية الثمن من جميع الأصناف، مثل القماش

---

[١] الحطاب : مواهب الجليل لشرح مختصر أبى الضياء خليل، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٨ هـ، ج٢، ص ٥٣١، وانظر أيضًا : نجلاء سامى محمد النبراوى : الأبعاد السياسية والحضارية لفريضتى الحج والجهاد بالمغرب والأندلس منذ بداية عصر المرابطين حتى سقوط مملكة غرناطة (٤٤٠ – ٨٩٨ هـ / ١٠٤٨ – ١٤٩٢ م) رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب قنا، جامعة جنوب الوادى، ٢٠٠٢ م، ص ١٦١ .

[٢] رحلة العبدرى المسماة الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسى، الشئون الثقافية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٦٨، ص ١٥٥ – ١٥٩ – ١٦٣ – ١٨٥ – ٢٣٣ .

[٣] الوزان : المصدر السابق، ص ٢٤٦ ؛ وانظر أيضًا : أحمد الطوخى : القيساريات الإسلامية فى مصر والمغرب والأندلس، مجلة كلية الآداب، الإسكندرية، ع ٢٨، ١٩٨١، ٦٨ – ٦٩ .

[٤] الجزنائى : المصدر السابق، ص ٤٤ .

[٥] المصدر السابق، ص ٢٤٥ .

[٦] ذكر قصة المهاجرين المعروفين بالبلدين، ومن المجموع بالخزنة العامة قسم المخطوطات، تحت رقم ٢٧٠، نقلاً عن محمد مزين : فاس وباديتها مساهمة فى تاريخ المغرب السعدى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط١، الرباط، ١٩٨٦، ص ٢٩٣ .

[٧] المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٨ .

الصوفى والأقمشة الحريرية والمجوهرات والأحذية [١] ؛ لذلك وصفها ابن القاضى بأنها " قيسارية عظيمة " [٢] .

وفى مدينة سبتة كان بها أماكن تحمل خصائص القيساريات، من حيث الشكل والخصائص[٣]، وكانت قيسارية مراكش عظيمة البنيات، وتقع فى الركن الشمالى الغربى من القصبة [٤]، وأيضًا فى مدينة سلا وجدت قيسارية وصفها ابن الخطيب بأنها " الحقيرة " وذلك لأن الثياب التى تباع فيها خليعة والحلى غير معروفة ولا منسوبة [٥]، ويبدو أن أيدى الاهتمام قد تناولتها، فقد وصفها الوزان بعد ذلك قائلاً : " بيوتها مشيدة حسب الطريقة التى يتبعها القدامى، وهى مزينة كثيرًا بالفسيفساء وبأعمدة الرخام، وجوامعها جميلة ومزخرفة، وينطبق هذا الوصف نفسه على الدكاكين، وتظهر قنطرة مبنية ؛ للفصل بين أرباب مهنة والأخرى " [٦]، وهذا دليل واضح على رقة المكان، مقارنة بوصف ابن الخطيب .

رابعًا : الفنادق

الفندق (الخان) يعد من أهم الأبنية الاقتصادية داخل منظومة النشاط التجارى [٧]، [٧]، وذلك لأنه كلما زادت أعداد الفنادق داخل الدولة كان ذلك دليلاً واضحًا على اتساع حجم حجم نشاطها التجارى، حيث كانت الدول الأجنبية تتخذ لرعاياها فنادق خاصة بهم فى المدن التجارية، ويرجع ذلك إلى أن التجار الأجانب كانوا يصنفون حسب جنسيتهم، فكل جنسية لها فندق خاص بها [٨]، وانتشر هذا النظام فى المدن الإسلامية، وخاصة الساحلية، مثل تونس التى أقيمت بها الفنادق للتجار الأجانب فى منطقة بين البحيرة وميناء مدينة تونس، ومثيلتها

---

(١) لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٦١ .

(٢) جذوة الاقتباس، ق١، ص ٥١ .

(٣) الأنصارى السبتى : المصدر السابق، ص ٣٩، وانظر أيضا محمد الشريف : سبتة الإسلامية، ص ٥٩ .

(٤) الحميرى : المصدر السابق، ص ٥٤١، وانظر أيضًا مجدى ياسين عبد السلام : مراكش منذ تأسيسها فى عصر المرابطين إلى نهاية دولة بنى مرين (٤٦٢ – ٨٦٩ هـ / ١٠٧٠ – ١٤٦٤ م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠١ م، ص ١٨٨ .

(٥) مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣ م، ص ٦٢ .

(٦) المصدر السابق، ص ٢١٣ .

(٧) ابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الإبيارى وآخرون، دار العلم للمجتمع، بيروت، ١٩٥٥، ص ١٢٤، وانظر أيضًا إبراهيم حركات : النشاط الاقتصادى، ص١٦٦.

(8) Dufourq (C.F) : L ' Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XI ve siecles , Paris , 1966 , p. 70 .

فى ذلك مدينة سبتة التى شاركتها فى الخصائص الجغرافية والتجارية نفسها [١]، وهناك مدن داخلية صحراوية تعد من أهم المراكز التجارية، يرجع ذلك إلى موقعها الجغرافى، مثل تلمسان التى جعلها موقعها ترتبط بالمدن عن طريق الطرق البرية، لذلك عمل السلاطين المرينيون على تدعميها بصفتها مركزًا تجاريًا، فأنشأوا بها فنادق للتجار الأجانب [٢] .

وأعطانا الوزان وصفًا للفنادق فى فاس قال فيه : " فخمة البنيان للغاية، فبعضها يكون فسيحًا جدًا، مثل التى تقع بجوار الجامع الكبير، وتتألف كلها من ثلاثة طوابق، ويحوى بعضها مائة وعشرين غرفة، والبعض أكثر من ذلك، وتتجهز كلها ببرك ماء وبمراحيض، ولكن على الرغم من بهاء هذه الفنادق واتساعها، فهى تشكل مسكنًا مقيتًا، لأنها تخلو من السرر والفرش، فصاحب الفندق لا يقدم للنزيل سوى الغطاء وحصيرا للنوم، وإذا أراد هذا أن يأكل، فعليه أن يشترى أغذيته ويقدمها للطبخ " [٣]، وكان للفندق أمين يشرف عليه ويعمل على مراقبة نقل بضائع التجار، وغالبًا ما يكون متقدمًا فى السن [٤]، واشترط ابن عبدون فى بناء الفنادق أن تكون بعيدة عن حمامات النساء، حتى لا يطلعوا عليهن أو يزعجوهن، وهذا دليل على أن بناء الفنادق له قواعد متبعة [٥] .

وبلغ عدد الفنادق فى فاس أربعمائة وسبعة وستين فندقًا وتسعة عشر ألف وواحد وأربعين مصرية [٦] أعدت للتجار والمسافرين، وذلك فى عهد الدولة الموحدية، إلا أن الوزان ذكر أنه لم يتبق من هذه الفنادق إلا مائتا فندق [٧]، وهذا دليل على تقلص التجارة فى فى تلك الفترة، أما عن سبتة فقد بلغ عدد الفنادق بها ثلاثمائة فندق، اتسمت بالفخامة والاتساع، ومن أشهر الفنادق بها الفندق الكبير الذى بناه أبو القاسم العزفى، وتميز بفخامة

---

(١) الأنصارى السبتى : المصدر السابق، ص ٤١، وانظر أيضًا روبار برنشفيك : تاريخ إفريقيا فى العهد الحفصى من القرن ال ١٣ م إلى نهاية القرن ال ١٥ م، ترجمة حمادى الساحلى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ج١، ص ٣٧٨ وكذلك :

De Mchele Amari : I Diplomi Arabic del real archivio floretino , testo originale in firenze dalla tipografia di felice monnier mdeal xIII, 1863 , pp. 88 – 101

(٢) الوزان : المصدر السابق، ص ٣٩٠ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٧ .

(٤) ليوبولد تورس بالباس : الأبنية الأسبانية الإسلامية، تعريب علية إبراهيم العنانى، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، مدريد، ع١، ١٩٥٣، ص ١١٨ – ١١٩، إبراهيم السيد الناقة : دراسات فى تاريخ الأندلس الاقتصادى – الأسواق التجارية والصناعية فى الأندلس فى عصر الخلافة الأموية والخلافة الموحدية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١٠ م، ص ٣٨٠ .

(٥) المصدر السابق، ص ٤٩ .

(٦) **المصرية** : بيوت صغيرة تبنى فوق الحوانيت ومداخل البيوت الكبيرة، ونسبت إلى مصر؛ لأنها لأنها مأخوذة منها، فهى على الشكل نفسه فى البناء (ابن أبى الزرع : الأنيس المطرب، ص ٤٨)

(٧) الوزان : المصدر السابق، ص ٢٣٦ .

بنائه وعظمته، كما وجد فندق غانم الذى يتكون من ثلاثة طوابق وثمانين بيتًا وتسع مصريات، ويأتى بعد ذلك فندق الوهر الذى يعد تحفة معمارية [١] .

ولم يكن الفندق مكانًا لإقامة التجار الأجانب أو لتخزين البضائع فحسب، بل كان أشبه بالسوق يباع فيه ويشترى، ففور وصول التجار الأجانب تسجل البضائع فى الدفاتر ؛ لتقدير المكوس [٢] التى عليهم، كما وجد به شهود عدول ؛ لتحرير العقود، وكذلك المنادون الذين ينادون على البضائع فى وقت المزاد، كما وجد أمين لتسعير البضائع والتأكد من سلامتها، بالإضافة إلى المترجم الذى يقوم بعملية الترجمة والتواصل بين التجار، وحرصًا على توفير سبل الراحة للتجار وجد داخل الفندق البرادعى لإصلاح أدوات الدواب وبيطار لعلاج الدواب ومستودع للعربات والدواب، وبذلك يكون الفندق منظومة اقتصادية متكاملة [٣]، وتجلت دقة التنظيم فى هذه المنظومة، بانفراد كل فندق لتخزين سلعة معينة، حتى حملت تلك الفنادق أسماء البضائع التى تخزن فيها، مثل فندق الزيت فى سلا [٤]، كما وجد فى فاس فندق يحمل الاسم نفسه (فندق الزيت) ويقع داخل سوق الشماعين [٥]، وفندق السكر [لتخزين السكر] [٦] كما حملت بعض الفنادق أسماء للأشخاص، مثل فندق ابن فزة بفاس [٧] وفندق مقبل بمراكش [٨]، وفندق ابن حيون، وهو فى الجهة الشرقية من جامع القرويين [٩]، وفندق أحمد بن إبراهيم الزيات بسبتة [١٠] .

---

(١) الأنصارى السبتى : المصدر السابق، ص ٤١ – ٤٢ .

(٢) **المكوس** : من الضرائب غير الشرعية، وتسمى أيضًا بالمال الهلالى لأنها تجبى مع هلال كل شهر عربى، بعكس المال الخراجى الذى يجبى كل سنة، ولجأت إليها الدولة ؛ بسبب قلة موارد بيت المال، وازدادت النفقات وارتفعت المرتبات، فكان لابد من إيجاد موارد جديدة لسداد هذا العجز ؛ واتسمت بالكثرة والتنوع، وشملت أغلب البضائع التى تباع وتشترى فى الأسواق (أحمد مختار العبادى : الحياة الاقتصادية، ص ٣١٣) .

(٣) عثمان الكعاك : المرجع السابق، ص ٦٤ – ٦٥ .

(٤) ابن الزيات : المصدر السابق، ص ٤٥٥ ؛ وانظر أيضًا : حمدى عبد المنعم : المرجع السابق، ص ٧١ .

(٥) الجزنائى : المصدر السابق، ص ٧٩

BeL . Alfred : Inscriptions Arabes de Fes , journal , Asiatique , tome 10 , Paris , 1917 , p. 198

(٦) إبراهيم القادرى بوتشيش : إضاءات حول التراث الغربى الإسلامى وتاريخه الاقتصادى والاجتماعى، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ص ١٠٠، مجدى ياسين عبد السلام : المرجع السابق، ص ١٩٠ .

(٧) ابن الأحمر : بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، ١٩٧٢، ص ٨ .

(٨) ابن الزيات : المصدر السابق، ص ٤٥٥ .

(٩) الجزنائى : المصدر السابق، ص ٧٠، ابن القاضى : جذوة الاقتباس، ق١، ص ٧٠ .

(١٠) القاضى عياض وولده محمد : مذاهب الحكام فى نوازل الأحكام، تحقيق محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص ١٩٤ .

خامسًا : أهم البضائع بالأسواق

تعددت البضـائع داخـل الأسـواق، فمنهـا المـواد الغذائيـة وأخـرى صـناعية وكـذلك التجارية .

١- الخبز :

يعد الخبز من البضائع الغذائية الاستهلاكية فى المجتمع، وتقوم علـى تـوافر الإنتـاج الزراعى من الحبوب، القمح والشعير الذان انتشرت زاعتهما فى فى جميع مدن المغرب (١) (١) ؛ لوفرة الموارد المائية التى استغلت أيضًا وأقيمت بالقرب منها الطواحين (٢) ؛ للاستفادة للاستفادة من الانحدارات الموجودة عند الأنهار (٣) .

وبلغت هذه التجارة ذروتها فى عهد الموحدين ؛ للاهتمام بها، فبلـغ عدد الطـواحين فى فاس أربعمائة واثنتين وسبعين طاحونة (٤)، على حين وصلت أعدادها فى عهد المرينيين المرينيين إلى أربعمائة طاحونة فقط (٥)، وهذا دليل على تراجع نسبى لهذه التجارة فى تلك الفتر، وتعمل الطواحين على تخفيف عبء الطحن عن الناس، وذلك مقابل أجر يأخذه صاحب الطاحونة لطحن أكياس الدقيق، وغالبًا يكون الأجر عينًا، ويختلف حسب مقدار الأكياس، ويسمى هذا الأجر" المكس " (٦)، وألزم الفقهاء أصحاب الطواحين باتباع الصدق والأمانة فى التعامل مع الزبائن، فإذا وزن أحدهم طحينًا لأحد الزبائن ونقص منه شئ، فعليه إخباره، كما أنه ملزم باستكمال وزن الدقيق، فإن لم يفعل عد ذلك غشًا، وأيضًا فيجب على بائعى الدقيق عدم خلط الدقيق القديم بالجديد، ومَنْ فعل ذلك فعليه إخبار المشترى به، وإلا عد هذا غشًا (٧)، بالإضافة إلى أنه عليه عدم المزايدة فى الأسعار وغربلة القمح من الأحجار

---

(١) الجزنائى : المصدر السابق، ص ٧٠، ابن القاضى : جذوة الاقتباس، ق١، ص ٧٠ .

(٢) الطواحين : تتكون من قاعدة كبيرة بها أعداد من الأحجار الطاحنة، وفى بعض الطواحين تبلغ أعدادها أربعة أو خمسة أو حتى ستة من حجر (الرحيات) فى الطاحونة الواحدة . (ابن الخطيب: مشاهدات، ص ١١) .

(٣) عبد الواحد المراكشى : المعجب، ص ٤٤٤، وانظر أيضًا لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٢٧ ولانتشار زراعة الحبوب والطواحين فى المغرب والأندلس، ابتكر أهل الأندلس الأرحاء المختلفة، وذلك بتجليس الأرحاء على المراكب ؛ للانتقال بها من مكان إلى آخر (عز الدين موسى : النشاط الأقتصادى، ص ٢٣٧، جهاد غالب مصطفى زغلول : الحرف والصناعات فى الأندلس منذ الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة (٩٢- ٨٩٧ هـ / ٧١١- ١٤٩٢ م) مركز الآفاق، الأردن، ط١، ٢٠٠١، ص ١٧٨ .

(٤) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٤٨، بينما يرى عبدالواحد المراكشى أنهم ثلاثمائة طاحونة، المصدر السابق، ص ٤٤٤ .

(٥) الوزان : المصدر السابق، ص ٢٣٨ .

(٦) الونشريسى : المعيار المعرب، ج٦، ص ٢٠٨، وانظر أيضًا لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٢٨ .

(٧) ابن الحاج الفاسى : المدخل، ج٤، ص ١٦٢ ــ ١٦٤ .

الأحجار والعشب قبل الطحن [١]، وكل هذه الإجراءات كان الهدف منها حماية الزبائن من الغش الذى يمكن أن يتعرضوا له، وظهرت فئة أخرى بجانب أصحاب الطواحين وهى " الطحانة " وكانوا يستأجرون الطواحين ويطحنون الحبوب، ثم يبيعون الدقيق مطحونًا فى الحوانيت الخاصة بهم، فيشتريها الناس حينما ينفد مخزونهم من الحبوب [٢]، أما عن الأفران (الكوشة) : فقد وجدت فى كل حى من أحياء المدينة ؛ لتسوية الخبز والحلويات، وذلك بعد أن تضع كل أسرة علامة خاصة بها على العجين، لتميزه عن غيره، وبذلك يمنع اختلاطه بغيره [٣]، كما كان على صاحب الفرن الحرص على الخبز من الضياع أو الحرق [٤]، وبلغ وبلغ عدد الأفران فى فاس ألفًا ومائة وسبعين فرنًا، إلا أن هذا رقم يبدو مبالغًا فيه [٥]، فى حين بلغ عددها فى سبتة ثلاثمائة وستين فرنًا [٦] .

وانتشرت أيضًا فى الأسواق حوانيت الخبازين : تلك التى تبيع الخبز بالوزن [٧]، فكان لربع الدرهم رغيف، ويشرف المحتسب على ذلك، فإذا وجد عيوبًا فى الخبز، مثل الحرق أو نقصان الوزن، فيعاقب صاحب الفرن أو صاحب حانوت الخبز [٨] .

٢- الزيت :

انتشر العديد من أنواع الزيوت فى الأسواق، مثل زيت الأرجان أو (الهرجان) وزيت السمسم والكتان وغيرها [٩]، ويأتى على رأسها زيت الزيتون المستخلص من حبة الزيتون التى انتشرت زراعته فى جميع مدن المغرب منذ عهد الموحدين [١٠]، واشتهرت مدينة مكناسة بزراعته وصناعته، حتى وصفها ابن الخطيب بأنها كثيرة "الزياتين الأشجار"[١١] كناية عن كثرة زراعة الزيتون وانتشار حوانيت الزياتين، وقد بيع الحمل من الزيتون فى عهد الموحدين بخمسة وثلاثين ألف دينار [١٢]، وتزايد إنتاج الزيتون فى عهد

---

(١) الونشريسى : المعيار المعرب، ج٦، ص ٤١٠ – ٤١١ .
(٢) الوزان : المصدر السابق، ص ٢٣٨ .
(٣) عثمان الكعاك : المرجع السابق، ص ٦٥، لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٢٨ .
(٤) ابن الحاج الفاسى : المدخل، ج٤، ص ١٦٨ – ١٦٩ .
(٥) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٤٨ .
(٦) الأنصارى السبتى : المصدر السابق، ص ٤٢ .
(٧) ابن الزيات : المصدر السابق، ص ٣٠٢ .
(٨) ابن عمر : أحكام السوق، تحقيق محمود على مكى، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، مج٤، مدريد، ١٩٥٦، ص ١٠٩، الونشريسى : المعيار المعرب، ج٦، ص ٤١٠ .
(٩) مجهول : الاستبصار، ص ٢١٠، وانظر أيضًا : مزاحم الشاهرى : المرجع السابق، ص ١١٦. ١١٦.
(١٠) مجهول : نفس المصدر، ص ١٨٨.
(١١) نفاضة الجراب، ص ٢٧٣ .
(١٢) ابن غازى : المصدر السابق، ص ٧.

المرينيين، حتى بيع القنطار [١] بدينار ونصف فى مدينة مكناسة [٢]، فى حين تفوقت مراكش مراكش على مكناسة فى إنتاج الزيتون، بل كان زيتها أجود وأطيب منها [٣] ونتيجة لوفرة زيت الزيتون وجودته كان يوقف لصالح المساجد أو يوزع على الفقراء [٤]، كما أنه استخدم استخدم بديلاً للعملة، فهناك مجموعة من أصحاب الحرف كانوا يتقاضون جزءًا من رواتبهم زيتًا، فيذكر فى أحد العقود وكان لمرضعة أنها كانت تأخذ نظير خدمتها كل شهر على دقيق وربع الربع من الزيت [٥] .

وشاع عند المغاربة استخدام زيت الزيتون فى جميع مأكولاتهم [٦] ؛لذلك انتشرت حوانيت الزياتين فى الأسواق، حتى وجد فى مدينة سبتة سوق الزياتين وطاحونة الزياتين [٧]، فتميزت حوانيتهم بأنها مليئة بأوعية مصنوعة من الخزف يكون لها غطاء محكم لمنع وصول الحشرات والفئران إليه [٨]، وكان المحتسب يراقب هذه الحوانيت، ويلزم أصحابها بعدم خلط زيت الزيتون بأى زيت آخر ؛ للمحافظة على جودته [٩] أو خلطه بالسمن [١٠]، ويباع الزيت بالجملة فى " جرارة " وكانت تزن مائة وخمسين رطلاً، ويلتزم الخزافون بصنعها وفق هذا المقدار [١١]، كما ألزمهم بوضع قوائم بالأسعار فى الحوانيت كى يستطيع أى فرد معرفة الأسعار دون أن يقع فى جشع التجار[١٢]، وقد استخدم الزيت أيضًا للإضاءة، وذلك من خلال استعماله وقودًا لقناديل الشوارع والمنازل والمساجد [١٣]، فكان جامع القرويين يوقد به كل ليلة ستمائة سراج.

---

[١] **القنطار** = ٦٧.١٨ كجم (هنتس : المرجع السابق، ص ٤٤) .
[٢] الوزان : المصدر السابق، ص ٢٢٠ .
[٣] مجهول : المصدر السابق، ص ٢١٠، الحميرى : المصدر السابق، ص ٥٤١ .
[٤] الونشريسى : المعيار المعرب، ج١، ص ٣٩٦ .
[٥] إبراهيم القادرى بوتشيش : تاريخ الغرب الإسلامى، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٤، ص ٣٤ – ٣٥، رانيا عبد الحكيم الحجرى : الزيتونة غلة نقدية فى الغرب الإسلامى (فيما بين القرن الأول إلى القرن التاسع الهجرى – السابع إلى الخامس عشر الميلادى)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٤ م، ص ٩٤ .
[٦] لمزيد من وصفات الطعام المغاربة المصنوعة من الزيت (راجع مجهول : كتاب الطبيخ، تحقيق أمبرزيو أويثى ميرندا، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ع ٩ – ١٠، ١٩٦٠ – ١٩٦١ م، مواضع مختلفة، ابن رزين التجيبى : فضالة الخوان فى طيبات الطعام والألوان، تحقيق محمد بن شقرون، أشرف على إعداده إحسان عباس، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٤، مواضع مختلفة .
[٧] القاضى عياض وولده محمد : مذاهب الحكام، ص ٢٠٥، وانظر أيضًا : محمد الشريف : سبتة الإسلامية، ص ٥٨ .
[٨] ابن عبدون : المصدر السابق، ص ٥٢، الوزان : المصدر السابق، ص ٢٤٢.
[٩] ابن الحاج الفاسى : المدخل، ج٤، ص ٩٣ .
[١٠] ابن عمر : المصدر السابق، ص ١١٤ – ١١٥ .
[١١] الوزان : المصدر السابق، ص ٢٤٢ .
[١٢] رانيا عبدالحكيم الحجرى : المرجع السابق، ص١٠٧ .
[١٣] الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص ٢٣١، وانظر أيضًا : ريكاردو كوردوبا لالاف : الصناعات المتوسطية فى القرن الرابع عشر، ترجمة إسحاق عبيد من خلال كتاب ابن خلدون

فيحتاج كل يوم إلى خمس قلل [١] من الزيت [٢]، وأقيمت العديد من الصناعات على زيت الزيتون، مثل صناعة الصابون، وهى من الصناعات الحضارية التى كانت منتشرة فى المغرب والأندلس، وعُرفت باسم " المونة " وازدهرت هذه الصناعة، فبلغ عدد دور صناعة الصابون سبعًا وأربعين دارًا فى مدينة فاس [٣]، واتخذ الصابون اللون الأسود فضلاً عن أنه كان سائلاً، فلم يعرف المغاربة الصابون الصلب، ووجدت العديد من الحوانيت لبيع الصابون فى جميع الأحياء [٤]، كما اتخذته بعض المناطق الصناعة الأولى لها، كجبل بنى مستقلدة وجبل بنى وامور [٥]، حتى بلغ عائد هذه الصناعة فى تلك المناطق ستة آلاف دينار [٦]، كما عرفت فى مراكش سوق خاصة لبيع الصابون "سوق صابون"[٧].

كما دخل زيت الزيتون فى الوصفات الطبية، لما له من تدعيم فى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما أكدته تجارب الأطباء فيما بعد [٨]، فاستخدمت أوراق الزيتون علاجًا لألم الأسنان، كما استخدم دهانًا للرأس لعلاج الصداع [٩]، وكان الأطباء يصنعون الأدوية بأنفسهم ؛ لذا كانت لهم حوانيت خاصة بهم فى الأسواق يقصدها الناس عند مرضهم، ففى مدينة فاس وجدت حوانيتهم فى سوق العطارين، وبلغ عددها مائة وخمسين حانوتًا، وتميزت سوق العطارين بأنها غاية فى الجمال والزينة، وكانت أبوابها تغلق فى الليل [١٠]، وفى سبتة انتشرت حوانيت الأطباء، فعرف حانوت الطبيب محمد الشريف فى رحبة الوزان [١١]، كما عرف حانوت الطبيب محمد الجيانى فى السوق الكبيرة

البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ندوة عقدتها مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧ م، ص ٢٥٠ .

[١] قلة : تقدر ١٨ رطلاً (هنتس : المرجع السابق، ص ٦٣) .

[٢] الجزنائى : المصدر السابق، ص ٦٩، الوزان : المصدر السابق، ص ٢٣٠ .

[٣] ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٤٨.

[٤] الوزان : المصدر السابق، ص ٢٤٢.

[٥] جبل بنى مستغلذة وجبل بنى وامور : فى كورة فاس يفصل بينهما نهر الورغة، الوزان : المصدر السابق، ص ٣٤٢ .

[٦] الوزان : نفس المصدر والصفحة .

[٧] الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٥ .

[٨] ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥، ص ٢٠ .

[٩] ابن البيطار : المصدر السابق، ج٢، ص ١٥٧ ــ ١٧٩.

[١٠] الوزان : المصدر السابق، ص ٢٤٧.

[١١] محمد الشريف : كان من أشهر أطباء مدينة سبتة، وذاع صيته حتى استدعاه السلطان أبو عنان المرينى ؛ لفحصه فاستحسنه وأجزل له العطاء، توفى عام (٧٧١- ١٣٦٩ م) مجهول : بلغة الأمينة ومقصد اللبيب فمن كان بسبتة فى الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٨٤، ص ٥١ ــ ٥٢) .

[1]، ونستدل من ذلك أن حوانيت الأطباء فى سبتة كانت متفرقة وأماكن متعددة، بعكس مدينة مدينة فاس .

٣-اللحوم :

انتشرت حوانيت القصارة (الجزارة) فى أحياء المدن، ففى مراكش وجد حى خاص بها، كما وجد مسجد لأصحاب هذه المهنة فى ذلك الحى [٢]، فى حين تمركزت حوانيت القصارين فى مدينة فاس فى عدوة القرويين مع وجود عدد من الحوانيت فى باقى الأحياء فى عدوة الأندلسيين [٣]، وبلغ عدد هذه الحوانيت أربعين حانوتًا، ولم تختلف حوانيت حوانيت القصارين فى الشكل عن شكل الحانوت الذى وصف سابقًا، وكانت تذبح الحيوانات فى المسلخ الذى يقرب من النهر[٤] بواسطة علماء الدين ؛ وذلك لأنه لم يكن مسموحًا للقصارين بالذبح [٥]، وبعد الذبح يفحص المحتسب الذبيحة ويحدد وزنها، من خلال أخذ اللوزة الداخلية من فخذ البقرة، فيزيد وزن البقرة أربعين مرة على وزن هذه اللوزة [٦]، ثم يسعر اللحم ويضع ورقة بهذا السعر عليها، وعلى القصاب الالتزام بترك هذه الورقة على اللحم حتى يراها الناس [٧]، كما منع المحتسب خلط لحم الضأن بلحم الماعز وبيعهما على أنهما شئ واحد، فلابد من فصل كل نوع عن الآخر وبيعه بسعر محدد له [٨]، ومن آداب السوق حتى لا يتأذى المارة فيها عدم وضع الألواح الخشبية التى يعرض عليها اللحم أمام الحانوت، فتوضع داخل الحانوت [٩]، كما منع الفقهاء القصارين من استغلال سوء الأحوال الاقتصادية، حيث كان بعضهم يحتالون على الناس، فحينما يتعسر الناس فى شراء اللحوم بالدراهم، يقرضونهم بعضها حتى تتحسن أحوالهم ويردوها لهم، ومنهم من يبيع اللحم مقابل الطعام إلى أجل، إلا أن الفقهاء عدوا ذلك ربا وحرامًا شرعًا [١٠]، ويعد عيد الأضحى موسمًا ينشط فيه القصارون، حيث يعدون اللحم للأغنياء ؛ لاستهلاكه فى الشتاء [١١] ، كما

---

[١] محمد الجيانى : كان طبيبًا ماهرًا كما عمل بالهندسة عينه السلطان أحمد بن أبى سالم ناظرًا على البناء فى سبتة، توفى فى أواخر عام ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ – ١٣٨٨ م) مجهول : المصدر السابق، ص ٥٣.

[٢] ابن الزيات : المصدر السابق، ص ٢٨٣، ابن الحاج الفاسى : المدخل، ج٤، ص ١٦.

[٣] السلاوى : المصدر السابق، ج٢، ص ٦٨، وانظر أيضًا : لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٢٩ – ١٣٠ .

[٤] الوزان : المصدر السابق، ص ٢٤٢.

[٥] محمد المنونى : ورقات، ص ١٤٧.

[٦] السقطى : آداب الحسبة، تحقيق كولان ليفى بروفنسال، مطبعة باريس، ١٩٣١، ص ٣٥، وانظر أيضًا إبراهيم الناقة : المرجع السابق، ١٣٦.

[٧] الوزان : المصدر السابق، ص ٢٤٢.

[٨] ابن عمر : المصدر السابق، ص ١١٦.

[٩] ابن عبدون : المصدر السابق، ص ٥٧ .

[١٠] لوتورنو : المرجع السابق، ص ٧٠.

[١١] جمال أحمد طه : دراسات فى التاريخ الاقتصادى، ص ١٩٦ .

تنشط أسواق بيع الدواب، ففى فاس كانت تقام سوق لبيع الدواب يطلق عليها " سوق الخميس " [١] .

٤-الطيور :

كان لها سوق خاص بها أطلق عليها " سوق الطيريين أو العصافرية " وكانت هذه الطيور تباع فيها حية ؛ لتسمينها فى المنازل، وللحفاظ على نظافة المنازل، كانت تحبس فى أقفاص الدجاج التى كانت تشترى من حوانيت بائعى هذه الأقفاص، وقد بلغت أربعين حانوتا، وتصنع هذه الأقفاص من القصب [٢]، وفى شهر مايو كانت تكثر الطيور، وخاصة اليمام الذى كان يباع الست منها بثمن زهيد [٣] .

٥-الأسماك :

تنوعت الثروة السمكية ؛ لكثرة الموارد المائية، من ثم نشطت حرفة الصيد، ويعد وادى سبو من أهم مصايد الثروة السمكية فى فاس، فيصطاد منه أنواع متعددة من الأسماك، منها الحوت والبورى الذى كان يباع بثمن زهيد [٤]، واحترفت بعض المدن مهنة الصيد، الصيد، وأصبحت المهنة الأولى لأهلها، كمدينة تاغسة [٥] التى وصفها الوزان بقوله " رائحة السردين تفوح من الجدران والشوارع " [٦] ، ومدينة بادس [٧] التى اشتهرت بصيد السردين وتمليحه وبيعه للتجار [٨]، كما كانت تستخرج من أزمور كميات كبيرة من الأسماك، حتى إنه يأتى فى كل عام التجار من البرتغاليين ؛ لشراء كميات كبيرة من تلك الأسماك منها [٩]، ويبدأ موسم الصيد فى أكتوبر، وينتهى فى أبريل [١٠]، وعمل المحتسب؛ لمراقبة هؤلاء الصيادين، وذلك من خلال منع بيع السمك الطرى (الطازج) مع البائت،

---

[١] لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٣٨، انظر أيضًا مجدى ياسين عبد السلام : المرجع السابق، ص ٢١٧ .

[٢] الوزان : المصدر السابق، ص ٢٤٣ – ٢٤٨، وانظر ايضًا لوتورنو : المرجع السابق، ص١٣٠ .

[٣] الوزان : المصدر نفسه، ص ١٧٠ – ٣٠٥ .

[٤] الجزنائى : المصدر السابق، ص ٣٩.

[٥] مدينة تاغسة : مدينة صغيرة كثيرة السكان فى إقليم فاس، وهى على مسافة ميلين من البحر (الوزان : المصدر السابق، ص ٣٣٠) .

[٦] نفس المصدر والصفحة.

[٧] مدينة بادس : حصنان لهما جامع وأسواق ومزارع يزرع فيها الشعير مرتين فى العام، كثر بها بها النخيل والفواكه والثمار، ومنها تفترق الطرق إلى بلاد السودان وإلى طرابلس وإلى القيروان (الحميرى : المصدر السابق، ص ٧٥) .

[٨] الوزان : المصدر السابق، ص ٣٢٧.

[٩] الوزان : نفسه المصدر، ص ١٢٧ .

[١٠] الوزان : نفسه، ص ٢٤٣ .

أما عن الأسماك البائتة فتباع مملحة [١]، وخصص مكانًا لبيع الأسماك ؛ لمنع وصول رائحة رائحة السمك إلى المارين فى الأسواق [٢]، وألزم المحتسب الصيادين وضع الأسماك بعد الصيد فى مسارب يسرح فيها الماء ووضعها للبيع، ويباع السمك وزنًا أو جزافًا [٣] .

٦-الفواكه والخضر :

وأنشئت حوانيت الفواكه والخضر عند الباب الرئيسى لجامع القرويين، وبلغ عددها خمسين حانوتًا، كما كانت الخضر تباع، خاصة الجزر واللفت فى ساحة منفصلة بعد ساحة الأمناء، ويباع فيها كل يوم حوالى خمسمائة حمل من الجزر واللفت، وتكون أسعارها منخفضة [٤] .

٧-الحليب :

كانت حوانيت بائعى الحليب بجوار حوانيت الزهارين (بائعى الورد) فى شرق جامع القرويين، وزودت حوانيتهم بأوانٍ من الخزف لحفظ الحليب، أما الحليب المتبقى فيشتريه التجار الذين يصنعونه زبدًا أو يتركونه ليتحمض ويباع على شكل حليب حامض وفاتر [٥]، ومنع المحتسب الغش فى بيع اللبن وعدم تزويده بالماء [٦] .

٨-الجراد :

يعد الجراد من الأطعمة التى أعتاد بعض الناس أكلها، حتى إنه وجدت فى مراكش سوق خاصة ؛ لبيعه (سوق الجراد)، ويباع منه أحمال كثيرة كل يوم، كما أنه تؤخذ عليه قبالة [٧] كل يوم [٨] .

٩-المنسوجات :

ازدهرت تجارة المنسوجات فى العصر المرينى ؛ لتوفر المواد الخام وتنوعها ما بين قطن وكتان وحرير وصوف، فبرعت كل مدينة من المدن فى إنتاج أجود المنسوجات من أحد هذه الأنواع أو بعضها .

---

(١) السقطى : المصدر السابق، ص ٣٥ .
(٢) ابن عبد الرؤوف : المصدر السابق، ص ٩٧ .
(٣) جمال أحمد طه : دراسات فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى، ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .
(٤) الوزان : المصدر السابق، ص ٢٣٩ – ٢٤١ .
(٥) الوزان : المصدر نفسه، ص ٢٣٩ .
(٦) ابن عمر : المصدر السابق، ص ١١٣ .
(٧) قبالة : من الضرائب غير الشرعية، وتدفع لبيت المال، وكانت هذه الكلمة قد شاع استخدامها فى فى المغرب والأندلس، ويؤديها أهل الحرف وبائعو السلع (ابن القطان : المصدر السابق، ص ١٩٣ هامش [٤]، رينهارت دوزى : تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم التهيمى، دار الشئون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، ط١، ١٩٩٧، ج٨، ص ٣٠٥ – ٣٠٦ .
(٨) الحميرى : المصدر السابق، ص ٥٤١ .

فتعد مدينة سلا من أهم مراكز صناعة المنسوجات ؛ لاشتغال معظم سكانها فى الحياكة والغزل ؛ وذلك لتوسع زراعة القطن فيها، بالإضافة إلى المنسوجات الصوفية المنسوجة من صوف الأغنام المنتشرة فى مراعيها [١]، كما عرفت منطقة السوس بصناعة الأكسية الرقاق والثياب الرقيقة التى ليس لها مثيل فى صناعتها وقد قيل عنها إنه لا يقدر أحد على صناعتها بهذه الجودة إلا فى السوس [٢]، وعرفت مدينة وجدة بسوق الصوف التى التى يباع فيها أجود أنواع المنسوجات الصوفية، حتى بلغ ثمن الواحد منها خمسين دينارًا أو أكثر [٣]، ومثيلتها أسفى التى عرفت برقى المنسوجات الصوفية التى تنتجها [٤]، وبجوار سجلماسة حصن يعرف بيرازة يمدها بأجود المنسوجات الصوفية، حتى بلغ ثمن الثوب عشرين دينارًا أو يزيد [٥]، أما فى سبتة، فقد اتخذت حرفة النسيج المرتبة الثانية فى صناعات المدينة بعد صناعة السفن، فانتشرت فيها أسواق المنسوجات، كسوق القطانين [٦] [٦] وسوق الكتان [٧]، فضلاً عن إحدى وثلاثين تربيعة للحرارين والقزازين، بالإضافة إلى إلى انتشار المقاصر التى بلغت خمسة وعشرين مقصرًا بها، منها ستة عشر فى ميناء [٨] ؛ لذلك عرفت سبتة بأنها (صنعاء الحلل الحسان) [٩]، أما عن فاس التى لم تكن عاصمة الدولة فقط، بل كانت عاصمة النسيج أيضًا، فقد ازدهرت تجارة النسيج بها ؛ وذلك لمكانة فاس الإدارية والسياسية البارزة، كما أنها كانت تجمعًا حضريًا يضم أعدادًا كبيرة من السكان، فضلاً عن أنها مدينة ذات إشعاع إقليمى، كل هذه الظروف ألزمتها بتوفير أنواع مختلفة من المنسوجات ؛ لسد احتياجات السكان، وما يفيض عنها تصدره إلى مدن المغرب وخارجها[١٠] .

---

[١] الوزان : المصدر السابق، ص ٢١٤، وانظر أيضًا : عبد العزيز العلوى : صناعة النسيج فى المغرب فى العصر الوسيط، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، عدد خاص، ١٩٨٥، ص٥١ .

[٢] الإدريسى : المصدر السابق، ق ١، ص ٢٢٧ .

[٣] مجهول : الاستبصار، ص ١٣٧ ..

[٤] ابن الخطيب : معيار الاختيار، ص ١٦١ .

[٥] حصن بيرازة : بالقرب من سجلماسة، بينه وبين جبل درن (٣٠ كم) وبه سوق عامرة وجداول الماء، ويحسن به تربية الأغنام التى يعد صوفها من أجود الأصواف (البكرى : المصدر السابق، ص ١٤٧، وانظر أيضًا : مصطفى أبو ضيف : المرجع السابق، ص ٢٩٨) .

[٦] القاضى عياض وولده محمد : مذاهب الحكام، ص ٢٠٥ .

[٧] ابن الزيات : المصدر السابق، ص ٤٧٥ .

[٨] المقاصر : المكان الذى ترف فيه الثياب، وتحور وتبيض (الأنصارى السبتى : المصدر السابق، المصدر السابق، ص ٥٣) .

[٩] ابن الخطيب : المصدر السابق، ص ١٤٤، المقرى : أزهار الرياض، ج١، ص ٣٢ .

[١٠] لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٣٣، عبد العزيز العلوى : صناعة النسيج، ص٥٣ .

وقد أدت الدولة دورًا بارزًا فى تطوير هذه التجارة منذ عهد الموحدين، ويتضح ذلك فى عدد المواضع المخصصة للقزازة التى بلغت ثلاثة آلاف وأربعًا وستين دارًا [1]، فصارت الدولة المرينية على نهج الموحدين فى الاهتمام بصناعة النسيج، ويتضح هذا من وصف ابن الخطيب لدار الديباج [2] التى احترقت فيقول : " فالتهمت من الحرير والأثواب ومن آلات النسيج وضخام المنازل وألواح الرسوم وجبال الشموع وعقار الصبغ وغزل الذهب ما لا يأخذه الوصف " [3]، وهو دليل واضح على ضخامة هذه الصناعة فى العصر المرينى .

كما وجدت فى فاس أيضًا أسواق لبيع الأقمشة الحريرية [4] التى ارتبط إنتاجها بزراعة شجرة التوت وتربية دودة القز التى لم تنتشر فى المغرب الأقصى إلا فى القرن التاسع الهجرى - الخامس عشر الميلادى -، وذلك بعد سقوط مملكة غرناطة وهجرة كثير من الأندلسيين إلى المغرب، وكان لهؤلاء شهرة واسعة فى تلك الصناعة، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت هذه الصناعة معروفة فى بعض حواضر المغرب، كسبتة وفاس [5]، كما وجدت أسواق لبيع المنسوجات الكتانية، وهى تتكون من بناء كبير به أربعة أروقة فى أحدها يوجد باعة الأقمشة الكتانية، وآخرون لبيع الخيوط الكتانية،، ويعد تجار الكتان من أغنى التجار [6]، أما عن سوق المنسوجات الصوفية فبلغ عدد حوانيتها مائة حانوت [7] .
وبرز دور المرأة فى هذه التجارة، وذلك من خلال قيامهن بغزل الخيوط وتدليكها ؛ لتحسينها قبل الغزل وصناعتها [8]، واشتهرت المرأة فى تادلا بصناعة أجود أنواع المنسوجات الصوفية والأكسية الفاخرة، بالإضافة إلى المنسوجات القطنية ؛ وذلك لأن قطنها من أجود أنواع القطن، حتى قيل إن الصانع لا يحتاج لخلط قطن آخر بقطن تادلا

---

(١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٤٨ .

(٢) الديباج : من المنسوجات الحريرية السميكة، وكان معروفًا فى المشرق قبل الإسلام، وظلت دور الطراز فى الأقطار العربية تنتجه فى العصر الإسلامى، وكان يصنع من خيوط الحرير فى لخمة وسدى، وقد تدخل خيوط الذهب فيه (السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المرية الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤، ص ١٥٧ .

(٣) نفاضة الجراب، ص ٢٥٧ .

(٤) ابن القاضى : جذوة الاقتباس، ج١، ص ٧٢ .

(٥) محمد مقر : اللباس المغربى من بداية الدولة المرينية إلى العصر السعدى، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ط١، ٢٠٠٦ م، ص ٩٨، عبد العزيز العلوى : صناعة النسيج، ص ٥٧ .

(٦) الوزان : المصدر السابق، ص ٢٤٣ ــ ٢٤٦، كربخال : المصدر السابق، ج٢، ص ١٥٥ .

(٧) الوزان : المصدر نفسه، ص ٢٤٢، وانظر أيضًا عبد العزيز عبد الله : معطيات الحضارة العربية، دار المعرفة للنشر، الرباط، ط٣، ٢٠٠٠ م، ج٢، ص ٦٧ .

(٨) لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٣٣، أحمد مختار العبادى : الحياة الاقتصادية، ص ص ١٤٧

لصناعة أفخر المنسوجات [1]، عرفت النساء فى سجلماسة بغزل الصوف الذى يصنع منه أبدع أنواع الآزار [2]، وهو على غرار ما يصنع فى مصر بل يفوقه، حتى إنه يباع الواحد منه بخمسة وثلاثين دينارًا، كما يحكن قطع القفازات [3] المصبوغة بالألوان ويقارب ثمنها ثمن الآزار [4]، وعُرفت نساء مدينة فينفيق [5] بنسج الأقمشة الصوفية التى تصنع منها الملاءات للأسرّة الناعمة جدًا، حتى يظن الناس أنها من الحرير ؛ لذلك تباع بأسعار غالية جدًا [6]، واقترنت صناعة المنسوجات بمهنة الخياطة [7]، فهناك زقاق حوانيت الخياطين يقصده الناس لخياطة الثياب مقابل بعض المال [8] .

تنوعت الأقمشة المصبوغة بالأرجوانى والقرمزية ؛ وذلك لتوفر المادة الخام للصباغة، كالحناء والنيلة [9]، فتتفاوت أسعار الأقمشة المصبوغة بتفاوت ألوانها [10]، ومن ضمن إسهامات الدولة فى تنشيط هذه الصناعة العمل على زيادة عدد دور الصباغة حتى بلغت مائة وست عشرة دارًا للصباغة [11]، وقد بلغ الصباغون الغاية فى المهارة، حتى إنهم كانوا يأخذون الملاحف البالية فيصبغونها ويكمدونها، فتظهر كأنها جديدة [12] .

---

[1] الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص ٢٤١، وانظر أيضا عصمت عبد اللطيف دندش : المرأة فى تادلا من خلال كتب الرحلات فى العصر الوسيط، مجلة تادلا، مطبعة الصباح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٣، ص ٣١٠ .

[2] **الآزار** : مثلها مثل (الكساء – الملحفة – الرداء)، وكل ما كان لباسًا للمرأة، يطلق على اللباس اللباس الذى يُرتدى فوق سائر اللباس ويحمى من البرودة، ويكون على شكل قطعة مستطيلة من النسيج غير مخيطة يتراوح طولها فى الغالب ما بين أربعة أمتار وستة، وقياسها حسب الذوق والبنية الجسمانية للمرأة، محمد مقر : المرجع السابق، ص ٩٨ .

[3] القفازات أو البرانس ملابس للرجال، وهى كل ثوب رأسه ملتصقة به يرتديه الرجال، عبدالعزيز الأهوانى : المرجع السابق، ص ٣٠٠، كما عرفه الوزان بأنه " معطف أسود ينسج قطعة واحدة بغطاء، وكانت مدينة تفزة حاضرة تادلا مشهورة بصناعته، وكان سكانها من الأثرياء وأغلبهم من التجار والصناع، وتميزوا بمظهرهم الحسن " [الوزان : المصدر السابق، ص ١٨٤].

[4] ياقوت الحموى : المصدر السابق، مج٣، ص ٨٦ .

[5] فينفيق : هى تتكون من ثلاثة قصور فى وسط الصحراء فى إقليم نوميديا [الوزان : المصدر السابق، ص ٥٠٤] .

[6] الوزان : نفس المصدر والصفحة .

[7] ابن خلدون : المقدمة، ص ٣٣٣ .

[8] البادسى : المصدر السابق، ص ٧٢، كربخال : المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٩ .

[9] مجهول : الاستبصار، ٢٠٦ – ٢٠٧، الإدريسى : المصدر السابق، مج١، ص ٢٢٧ .

[10] عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى، ص ٢٣١ .

[11] ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ٤٨ ؛ وانظر أيضًا مزاحم الشاهرى : المرجع السابق، ص ١١٠ – ١١١ .

[12] الونشريسى : المعيار المعرب، ج٦، ص ١٤٢ وانظر أيضًا عز الدين موسى : المرجع السابق، ص ٢٣١ .

ولضمان جودة المنتجات المنسوجة جعلتها الدولة تحت إشراف المحتسب، فسجلت كتب الحسبة حالات من الغش استخدم فيها الصباغون مواد ممنوعة فى الصباغة، مثل النازلة التى أفتى فيها أبو الحسن الصغير عن تحريم مادة فى الصباغة يطلق عليها الأرشلة وهى من البول [١]، كما ألزم ابن الحاج الصباغين باستخدام النيلة فى الصباغة وعدم استخدام مادة الحربت التى هى أرخص فى الثمن من النيلة، وإلا عد ذلك غشًا لأنها تضر بالغزل [٢] .

١٠-السلع الجلدية :

تنوعت المنتجات الجلدية فى الأسواق، ما بين النعال [٣] التى لها سوق خاص بها (سوق (سوق النعال) [٤] والقبقاب [٥] الذى كان له مجموعة من الحوانيت يباع فيها، وهو من لباس الأغنياء، فتراوحت أسعاره ما بين دينارين، وخمسة وعشرين دينارًا [٦]، كما يدخل الجلد فى صناعة السروج واللجم والأقتاب المعدة لخدمة الإبل والمصنوعة من الجلود اللمطية (مجلوبة من مدينة نول لمطة) [٧] ومن وادى درعة تستخرج حجارة تسمى (تامضغيت) وتحك باليد، حتى يصبح قوامها كالكتان ؛ لعمل لجم الحيوانات [٨]، وفى مدينة تيوت كانت تصنع جلود القرطواتى الفاخرة وأطلق عليه فى إيطاليا المراكشى، وبيع بستة دنانير لكل اثنى عشر زوجًا، وفى فاس بيع بثمانية دنانير [٩] .

واقترنت صناعة الجلد بمهنة الدباغة التى تعمل على دبغ الجلود وتجهيزها ونقلها إلى أصحاب الحرف ؛ لتصنيعها [١٠]، فبلغ إنتاج فاس من الجلود سنويًا مائة وعشرين ألف

---

[١] السجلماسى : الدرر النيثر على أجوبة أبى الحسن الصغير، مطبعة حجرية، فاس، ١٣١٩، ص ص ٣ انظر ايضًا مصطفى نشاط : إطلالات، ص ٨٣ .

[٢] ابن الحاج الفاسى : المدخل، ج٤، ص ١٢ .

[٣] النعل : هو ما يلبس بالقدم ويحميها من الأرض ويتكون من فراش من الجلد توضع فوقه القدم ويشد إليها بواسطة سيرين، قد يمر أحدهما وسط الرجل والآخر بين الإصبع الأكبر والثانى الذى يليه (محمد مقر : المرجع السابق، ص ١٨٤) .

[٤] المراكشى : الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، الرباط، ١٩٩٧، ط٢، ج٧، ص٥. ص٥.

[٥] القبقاب : هو نعل من الخشب يتراوح علوه ما بين ١٠ إلى ٢٤ سم ويوشى بغطاء من الجلد المطرز من الحرير، ويصنع من خشب الجوز ومن خشب شجر البرتقال [الوزان : المصدر السابق، ٢٤٨ وكذلك

Dozy (R) : Dictionnaire detaille des noms des vetements chez les Arabes , Amsterdam , 1845, p 348 .]

[٦] الوزان : نفس المصدر والصفحة وانظر أيضًا محمد مقر : المرجع السابق، ١٢٤-١٢٥ .

[٧] الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص ٢٢٥ .

[٨] مجهول : الاستبصار، ص ٢٠٧ ؛ عبلة محمد سلطان : المرجع السابق، ص ٨٥ .

[٩] لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٤٨ – ١٤٩ .

[١٠] لوتورنو : المرجع نفسه، ص ١٣٤ .

قطعة، وهذا الإنتاج يفوق إنتاج باقى المدن الأخرى، وهو دليل على التوسع فى الصناعة[1]؛ لذا اهتم الموحدون بتطوير هذه الصناعة، من خلال بناء دور للدباغة [2] التى سادت المغرب [3]، وذلك يرجع إلى توفر المواد الخام من الجلود بفضل الثروة الحيوانية وتوفر المواد الخام للدباغة، ففى درعة تنمو شجرة التاكوت التى تستخدم فى دباغة الجلود [4]، كما يأخذ من تفيلاليت بسجلماسة بيض الأثل (تفوت) الذى يستخدم فى صباغة الجلود فى الصهاريج [5]، وأنشئت المدابغ خارج الأسوار بعيدة عن المسجد، حتى لا يتأذى المارون [6]، ولذلك وجدت المدابغ عند أبواب المدن قرب النهر حتى أطلق على باب المدينة القريب منه باب الدباغين [7].

ولسلامة جودة إنتاج الجلود وضعت هذه الصناعة تحت إشراف المحتسب، حتى يمنع حالات الغش، إذ كان التجار يلجأون إلى بعض طرق الغش، فكانت تباع جلود البقر مطوية، وعندما يبلها الدباغ، يظهر السوس فيها، أو تباع وفيها جرب أو خروم وكل هذا يعد غشًا [8].

١١-السكر:

يعد السكر فى عهد المرينيين من أهم السلع التى أنتجتها دولتهم بكميات كبيرة، وذلك لوفرة قصب السكر، ففى منطقة السوس تنتج أجود أنواع السكر، وكان يطلق عليه بالقند الذى يسبك بأحجام متوسطة، وفيها مدينة بتارودانت التى تعرف بإنتاج نوع من السكر (الطيرزد) الذى يصدر إلى جميع مدن المغرب والأندلس، حتى إنه ذكر فى كتب الطب، وهناك مدينة إيجلى التى كثر فيها زراعة قصب السكر ؛ لذا كثرت فيها معاصر السكر[9]، كما تنتج مراكش نوعًا من السكر يضاهى سكر مصر فى بياضه وصلابته وطعمه المتميز[10]، وكثر الإنتاج فى كل من سلا وسبتة، ولكن إنتاج سبتة من السكر كان يستخدم محليًا ؛ لكثرة استخدام أهلها له [11]، ويذهب بعض الباحثين إلى أن الدولة هى المسئولة عن مزارع السكر، وذلك لأهميتها الاقتصادية ؛ لأن التوسع فى إنتاجه يعنى التوسع فى

---

(١) مزاحم الشاهرى : المرجع السابق، ص ١٢٨ .
(٢) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٤٨ .
(٣) ابن خلدون : المقدمة، ص ٣٥٥ .
(٤) الحميرى : المصدر السابق، ص ٢٣٦ .
(٥) لوتورنو : المرجع السابق، ص ١٤٨ – ١٤٩ .
(٦) الونشريسى : المعيار المعرب، ج٨، ص ٤٤٦ .
(٧) العمرى : المصدر السابق، ج٤، ص ١٢٤، الجزنائى : المصدر السابق، ص ٤٢ .
(٨) جمال طه : دراسات فى التاريخ الاقتصادى، ص ١٨٣ .
(٩) مجهول : الاستبصار، ص ٢١١ – ٢١٢، الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص ٢٢٧ .
(١٠) العمرى : المصدر السابق، ج٤، ص ١٢٠، القلقشندى : صبح الأعشى، ج٥، ص ١٧١ .
(١١) محمد الشريف : سبتة الاسلامية، ص ٥٨ .

الصادرات الخارجية للدولة ؛ لذا أصبحت تحت إشرافها، وذلك على غرار الدولة السعدية التى كانت تؤجر هذه المزارع مقابل مبلغ سنوى [١] .

١٢-المنتجات الزجاجية :

عرفت تجارة الزجاج منذ القدم ؛ لارتباطها بمهنتى العطارة والصيدلة اللتين تحتاجان إلى وجود قنينات كثيرة ؛ للاحتفاظ بالمواد الخاصة بهما، فمنذ العهد الأغالبى وجدت سوق للزجاج فى مدينة القيروان [٢]، وازدهرت هذه الصناعة وتطورت جدًا منذ عهد الموحدين، حيث اهتموا بها اهتمامًا كبيرًا، وذلك من خلال إقامة أحد عشر معملاً لصناعة الزجاج وظلوا يعملوا فى عهد المرينيين [٣]، ولأنها صناعة حساسة جدًا، فكانت تزاول تحت الأرض ؛ حتى لا تتأثر بالرياح والغبار، كما أنها تقع خارج الأسوار فى عدوة الأندلسيين فى فاس [٤]، وعرفت فى سبتة رحبة الزجاج ؛ لبيع المنتجات الزجاجية [٥] .

وبرع المغاربة فى صناعة الزجاج التى تميزت بصنوف الزخارف من نقش ومحتشات التى هى عبارة عن قطع زجاج تلصق بجوانب الآنية بشكل زخارف هندسية [٦]، [٦]، والناظر إلى الشمسيات vitrail التى تحيط بالقبلة فى مسجد القرويين يدرك أنها دليل واضح على مدى تقدم هذه الصناعة، بالإضافة إلى عمل قوارير الزجاج التى تضيئ المسجد فى الليل [٧]، وعرف الزجاج المجلى باسم (البلديات) [٨] .

وقد صنعت الأوانى الخزفية التى يستخدمها بائعو الألبان والزيت [٩]، وبرعت مدينة إيفيلتعيقيل [١٠] فى صناعة هذه الأوانى بألوانها البديعة المتناسقة التى ليس لها مثيل، وبلغ عدد الحوانيت لبيعها مائة حانوت، وكانت تصدر إلى مختلف مدن المغرب [١١] .

---

(١) القشتالى : المصدر السابق، ص ٢١٠ .
(٢) عثمان الكعاك : المرجع السابق، ص ٨٤ .
(٣) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٤٨، الجزنائى : المصدر السابق، ص ٤٤ .
(٤) كربخال : المصدر السابق، ج٢، ص ١٥٥ .
(٥) الأنصارى السبتى : المصدر السابق، ص ٣٦ .
(٦) عثمان كعاك : المرجع السابق، ص ٨٤ .
(٧) الجزنائى : المصدر السابق، ص ٦٨ – ٧١ .
(٨) مزاحم الشاهرى : المرجع السابق، ص ١٢٩ .
(٩) الوزان : المصدر السابق، ص ٢٣٩ – ٢٤٢ .
(١٠) إيفيلتعيقيل : مدينة صغيرة فى وسط الجبل، وتكون جزءًا من مدينة حاجة فى إقليم مراكش : الوزان : المصدر السابق، ص ١٢١ – ٢٤٠ .
(١١) الوزان : المصدر نفسه، ص١٢١ .

وقد دخلت هذه المنتجات تحت رقابة المحتسب الذى منع الزجاجين من إخراج الزجاج من فرن التربيد إلا بعد يوم وليلة ؛ حتى لا يصدع، كما منعهم من إلقاء رماد الفرن فى الشارع ؛ حتى لا يتأذى المارون [١] .

١٣-المنتجات الفخارية :

انتشرت تجارة الأوانى الفخارية فى المغرب منذ عهد المرابطين [٢]، ثم شهدت تطورًا ملحوظًا، وذلك منذ عهد الموحدين، حيث اهتموا بصناعة الفخار من خلال بناء مائة وثمان وثمانين دارًا لصناعته فى فاس، واستمر ذلك فى عهد المرينيين [٣]، وتعددت أشكال الأدوات المصنوعة من الفخار، كالأوانى المنزلية وأنابيب المياه والخزانات المستعملة لحفظ المياه [٤]، واشتهرت مدينة تازة بإنتاجها للفخار، حتى قال ابن الخطيب عنها " فخارها آية فى لطافة الجرم وخفة الوزان " [٥] .

وكانت صناعة الفخار تحتاج إلى مكان واسع ليخزن فيه المشتغلون بها أدواتهم ولنشر مصنوعاتهم فى الشمس قبل دخولها الفرن، فعرف مكانهم على مقربة من قبر سيدى ميمون [٦] .

ونتيجة لانتشار استخدامه فى المجتمع، وجد حانوتان فى الأسواق باسم (أوقاف الأوانى) : أحدهما : بجوار باب الحفاة بالقرب من جامع القرويين، والآخر قرب باب الحفاة عند جامع الأندلس، وكان يقصدهم الأطفال والخدم الذين تنكسر بسببهم الأوانى الفخارية ويخافون من العقوبة، فيذهبون إلى هذين الحانوتين فيسلمون الآنية المكسورة ويأخذون بديلاً لها بعد دفع ثمنها [٧] .

وخضع صانعو الفخار للمحتسب الذى ألزمهم بتوسيع فوهة أوانى الوضوء ؛ حتى يتمكن الناس من اغتراف الماء للوضوء [٨] .

---

(١) السقطى : المصدر السابق، ص ٦٧ .
(٢) عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى، ص ٢٥٣ .
(٣) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٤٨ .
(٤) ابن رزين التجيبى : المصدر السابق، ص ١٦ – ١٨ – ٣٠، الجزنائى : المصدر السابق، ص٥١ .
(٥) معيار الاختيار، ص ١٨٢ .
(٦) لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٤٤ – ١٤٥ .
(٧) محمد اللبار : تجليات النزعة الإنسانية فى أوقات مدينة فاس، مجلة المناهل، عدد ٨٤، ٢٠٠٨، ٢٠٠٨، ص ١٧ .
(٨) السقطى : المصدر السابق، ص ٦٧ .

١٤- المنتجات الخشبية :

رأى ابن خلدون أن التجارة من المهن التى تدل على التقدم الحضارى ؛ لأنه كلما زاد التقدم الحضارى، جاء الترف فى المنتجات الخشبية [١]، وساعد على ذلك توافر أنواع كثيرة من الأخشاب (الأبنوس والصندل والعاج والنارنج والعناب والبلوط والأرز) [٢]، وتميز خشب الأرز بأنه " يعمر العور منه فى الموضع الذى لا يناله الماء ألف سنة وأزيد ولا يعفن لا يستاس " [٣] .

وقد تنوعت المنتجات الخشبية التى يتجهز بها المنزل، فصنعت الطبليات التى يتناول عليها الطعام والوقوف والصناديق التى كانت بمنزلة الخزانة، فيوضع فيها الملابس والكتب وقد وجد زقاق لبيع هذه المنتجات يسمى (زقاق الخشابين) [٤]، وكان يصنع من الخشب أدوات الفلاحة، كالمقابض والمجاديف والفؤوس والبراميل [٥]، فبرع النجارون فى عمل المنتجات الخشبية، حتى قال عنهم العمرى " لأهل اليد الطول فى صناعة المخروطات من الخشب " [٦]، وارتبطت هذه الصناعة بالنواحى الثقافية، وذلك من خلال عمل المنابر للمساجد والآلات الموسيقية وأشياء كثيرة سوف تعرضها لاحقًا .

١٥- المنتجات الذهبية :

عُرف عن المرأة ولعها بالزينة، وخاصة لبس الحلى الذى يبرز جمالها وأناقتها، وساعد ذلك على تطور فن صناعة المنتجات الذهبية ؛ لوفرة معدن الذهب القادم من السودان، بالإضافة إلى موارد الدولة من المعادن، مثل الفضة المستخرجة من مناجم الرصاص، فضلاً عن العقيق الذى كانت له سوق خاصة لبيع منتجاته [٧]، وعرفت هذه الصناعة منذ عهد المرابطين، وخاصة فى مدينة سجلماسة وأغمات، ثم ازداد تطور تلك الصناعة، نتيجة للتواصل الحضارى مع الحضارات الأخرى، وخاصة الأندلس التى هاجر منها العديد من المحترفين لهذه الصناعة إلى المغرب [٨] .

ويقع حى الصاغة بجوار دار السكة ونتيجة لانتشار الغش فى هذه المهنة عين أمين للصاغة يقوم بعملية المراقبة على صانعى الذهب، ويحتفظ بالمنقش على المعادن والقوالب

(١) المقدمة، ص ٣٣٢ .
(٢) ابن القاضى : جذوة الاقتباس، ج١، ص ٤٤، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٦٢ .
(٣) الجزنائى : المصدر السابق، ص ٢٦ .
(٤) المراكشى : الذيل والتكملة، سفر الثامن، ق ٢، ص ٥٣٩ .
(٥) لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٣٥ .
(٦) المصدر السابق، ج٤، ص ١١٤ .
(٧) موريس لومبار : الإسلام فى مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربى، المغرب، ١٩٩٠، ص ٢٦٢، كريمة عبد الرؤوف : عامة فاس حتى عصر الموحدين (١٩٢هـ - ٦٦٧هـ / ٨٠٧ م - ١٢٦٩ م)، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ٢٠٠٥، ص ١٢٧ .
(٨) محمد مقر : المرجع السابق، ص ١١٣ .

النقدية (الدمغة)، وبدون هذه الدمغة على المنتجات الذهبية تفقد قيمتها ولا تباع بسعر الذهب المحدد له، فيخسر بهذا التجار خسارة كبيرة [١]، كما حرم على اليهود العمل فى هذه المهنة، لأنها تتطلب التحلى بالأمانة [٢] إذ يكون التعامل فيها مع النساء، غير أنهم استطاعوا استطاعوا أن يسيطروا عليها فى العهد المرينى [٣]، ولم يكن الذهب فى العصر المرينى يصنع منه الحلى فقط، بل شهد توسعًا فى استخداماته، فدخل فى صناعة السروج واللجم المذهبة التى تصنع لخيول السلاطين، كالسلطان أبى عنان فارس المرينى، وكانت تستخدم هدايا لملوك الدول الأخرى [٤] .

١٦- تجارة الكتب :

كانت لتجارة الكتب رواج كبير فى الأسواق المرينية، وذلك لما شاهده ذلك العصر من نهضة ثقافية واسعة ؛ لاهتمام حكامها بجميع النواحى الثقافية والعمل على تنميتها، من خلال بناء المدارس والكتاتيب والمساجد والزوايا [٥]، كما اهتم العلماء بالحفاظ على تلك العلوم عن طريق نسخ الكتب والمصحف الشريف، بوصف ذلك عبادة عظيمة [٦]، كما دعم دعم الحكام العلماء، فيذكر أن أبا الحسن المرينى حينما ألف الفقيه أبو زكريا الالقر فى كتاب (ذم الخمر) ونسخه بخط فاخر، أمر بجعل الكتاب فى كفة والدراهم فى كفة أخرى، ويعد ذلك خير دليل على اهتمامه بالعلم وصناعة الكتب [٧]، كما خصصت أسواق لبيع الكتب فى الحواضر، ففى فاس وجدت سوق بلغ عدد حوانيتها ثلاثين حانوتًا [٨]، وكانت

---

(١) حسين مراد : المرجع السابق، ص ٥٥.

(٢) الونشريسى : المعيار المعرب، ج٥، ص ٥٠ .

(٣) ابن الحاج الفاسى : المدخل، ج٤، ص ١٩٩ – ٢٠٠ .

(٤) ابن مرزوق : المسند، ص ٤٥٣ وانظر أيضًا إبراهيم حركات : النشاط الاقتصادى، ص ١١١. ١١١.

(٥) ابن مرزوق : المسند، ص ٤٠٥ – ٤٠٩، الجزنائى : المصدر السابق، ص ٥٠، وانظر أيضًا: حسين مراد : المرجع السابق، ص ٧٧ .

(٦) القفطى : أنباه الرواة على أبناه النجاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربى ومؤسسة الكتب الثقافية، القاهرة – بيروت، ط١، ١٩٨٦، ج١، ص ٤٠ ؛ ابن الحاج الفاسى : المدخل، ج٣، ص ٧٧ .

وبالرغم من أن البعض احترف مهنة النسخ إلا أنها لم تكن تعود بعائد كبير وفى ذلك يقول ابن دحية :

أم الوراقةِ فهْى أنكدُ حرفة ... أغصانُها وثمارُها الحرمانُ
شبهْتُ صاحبَها بإبرةِ خائط ... تكسو العراةَ وجسمُها عريانُ

ابن دحية : المصدر السابق، ٧٨ .

(٧) ابن مرزوق : المصدر السابق، ص ٣٢٩ .

(٨) الجزنائى : المصدر السابق، ص ١٠٥، الوزان : المصدر السابق، ص ٢٣٩ .

بسبتة [١] وتلمسان [٢] ومراكش حوالى مائة حانوت، ولكن لم يبق منها شئ بسبب حروب بنى مرين [٣].

وكانت الكتب تباع عن طريق الدلال أو بالمزايدة فى المزادالعلنى على الكتاب [٤]، واختلفت أسعار الكتب فمنها ما بيع بأربعة دراهم [٥]، وبيع مصحف عثمان بن عفان - رضى الله عنه - بعد ضياعه فى إحدى حملات الموحدين على تلمسان (٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م)، حيث اعتاد الموحدون حمل هذا المصحف فى حملاتهم تبركًا به، وكان السمسار ينادى عليه بالبيع بسبعة عشر درهمًا [٦].

وكان معيار التحضر للأمم يقاس بمقدار استخدامها للورق ؛ لذلك ذكر ابن خلدون أنه : " من توابع العمران واتساع نطاق الدولة ونفاق أسواق ذلك لديها، فكثرت التآليف العلمية والدواوين، وحرص الناس على تناقلهما فى الآفاق، فاتنسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعينين للانتساخ والتجليد وسائر الأمور الكتابية والدواوين " [٧]، فأصبح فأصبح كل شئ يسجل على الورق وأيضًا فى المعاملات المالية، حتى بلغ عدد مكاتب العدول ثمانين مكتبًا ؛ لتسجيل عقود البيع والشراء [٨]، لذلك حرصت الدولة الموحدية على إقامة أربعمائة معمل ؛ لتصنيع الورق [٩]، وتقدمت صناعته على عهد المرينيين حتى قال المقرى " رقعة فى الورقة البيضاء، إن قرئت فى ضوء السراج كانت فضية، وإن قرئت فى الشمس كانت ذهبية، وإن قرئت فى الظل كانت صرًا أسود " [١٠]، إلا أن هذا التفوق تراجع فى أواخر العهد المرينى، بحيث أصبحت الورقة المغربية فى المرتبة الأخيرة بعد

---

[١] مجهول : بلغة الأمنية، ص ٣٣ .

[٢] ابن مرزوق : المسند، ص ٤٦٠ .

[٣] ابن رشيد : ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، الشركة التونسية، تونس، ١٩٨١، ص ١٣٤، الوزان : المصدر السابق، ص ١٤ .

[٤] الونشريسى : المعيار المعرب، ج٦، ص ١٥٧ ـ ١٥٨ .

[٥] ابن الزيات : المصدر السابق، ص ١٦٧ .

[٦] ابن مرزوق : المصدر السابق، ص ٤٦٠، وانظر أيضًا : سحر عبد العزيز سالم : أضواء على على مصحف عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ورحلته شرقًا وغربًا، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩١، ص ٦٦ .

[٧] المقدمة، ص ٣٤٣ .

[٨] الوزان : المصدر السابق، ص ٢٣٩ .

[٩] ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٤٩، وانظر أيضًا عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى، الاقتصادى، ص ٢٢٤، سامية مصطفى مسعد : الوراقة والوراقون فى الأندلس فى عصر الخلافة حتى نهاية عصر الموحدين، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠، ص ٣٠ .

[١٠] نفح الطيب، ج٤، ص ٣٢٧ .

الورق البغدادى والورق المصرى والشامى[١]، وهذا ما أكده حفيد ابن مرزوق فى رسالة سماها (تقدير الدليل الواضح المعلوم على جواز النسخ فى كاغد الروم)، وتدل هذه الرسالة على انتشار الورق الأجنبى فى شمال أفريقيا [٢]، واهتموا أيضًا بتجليد الكتب (التسفير) حتى قام أبو عمر بكر بن إبراهيم بن المجاهد اللخمى الإشبيلى بتأليف كتاب عن صناعة التسفير، من حيث التحضير وكيفية تجليد الكتب وأسرار فن صناعة تسفير الكتب من حيث التحضير وكيفية التجليد وتجديد الكتب القديمة أيضًا [٣]، وكانت هذه الحرفة تحت إشراف المحتسب الذى ألزم صانعى الورق بزيادة قالب الكاغر (الورق) ودلكه [٤]، وحذرهم من الغش فى نوعية الورق، وألزم التجار ببيع كل نوع ورق بسعره المحدد [٥] .

سادسًا: تبادل البضائع بين المدن المغربية

ظهر نوع آخر من التجارة الداخلية فيما بين المدن المغربية، ولما كانت فاس مركزًا حضاريًا مهمًا وملتقى كثير من الفئات، فقد جعل منها ذلك سوقًا خصبة لتقبل العديد من السلع، فحظيت بنسبة كبيرة من هذا التبادل، كما حرص معظم التجار على توريد بضائعهم إلى فاس، فأمدت مكناسة فاس بالعنب والزيتون الذى يباع بأثمان رخيصة [٦]، كما وردت سجلماسة لماتفوت بيض الأثل الذى كان يستخدم فى صناعة الدباغة [٧]، كما شهد عبد الباسط بن خليل تواصلاً ملحوظًا بين تلمسان وفاس التى أمدتها الأولى بالأقمشة التلمسانية وسروج الخليل [٨]، وكذلك يحمل إليها من صفروى اللوز [٩] ومن درعة الحناء والنيلج للصباغة فى فاس [١٠]، وكذلك التمر الذى تأخذ بدلاً منه القمح الفاسى [١١]، وأما مراكش فأمدتها بالزيت والسكر والنحاس [١٢] .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى، ج٢، ص ٤٧٧، وانظر أيضًا : أمل ربيع إسماعيل : المرجع السابق، ص ١٢١ .

(٢) الونشريسى : المعيار المعرب، ج١، ص ٦٦ – ٦٩ .

(٣) الإشبيلى : التيسيرفى صناعة التسفير، تحقيق عبد الله كنون، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، بمدريد، ع ١٣، ١٩٥٧، مواضع مختلفة .

(٤) ابن عبدون : المصدر السابق، ص ٤٨ .

(٥) ابن الحاج الفاسى : المدخل، ج٤، ص ٨١ .

(٦) ابن غازى : المصدر السابق، ص ٧ .

(٧) لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٤٩ .

(٨) الروض الباسم فى حوادث العمر والتراجم، ضمن كتاب رحلتان إلى شمال أفريقيا، ترجمة روبير برانشفيك، معهد تاريخ العلوم، باريس، ١٩٣٦، ص ٤٨، ابن سعيد : المصدر السابق، ص ١٤٠، وانظر أيضًا : برانشفيك : المرجع السابق، ج١، ص ٢٤١ .

(٩) مجهول : الاستبصار، ص ١٩٩ .

(١٠) الوزان : المصدر السابق، ص ٤٩٢ .

(١١) الوزان : المصدر نفسه والصفحة .

(١٢) الزهرى : المصدر السابق، ص ١٩١، وانظر أيضًا مزاحم الشاهرى : المرجع السابق، ص ١٧٧ .

وكان يخرج من سجلماسة التمر والحناء والقطن والكمون إلى جميع المدن المغربية[1]، ومن مدينة السوس يخرج السكر والزيت لجميع المدن [2]، ومن مدينة داى القطن والنحاس [3] من إقليم حاحا كان يصدر العسل والماشية فتحقق منهما أرباحًا مذهلة[4]. مذهلة[4].

سابعًا: الإشراف الدولة على الأسواق

عملت الدولة على تدعيم حركة التجارة الداخلية وتنظيمها، وذلك من خلال تعيين أمناء ومحتسبين فى الأسواق ؛ لمراقبة حركة البيع والشراء ومراقبة جودة البضائع .

(أ) الأمين :

اهتمت الدولة بتنظيم الأسواق بداية من الأمير إدريس الثانى الذى عمل على تعيين أمراء لكل حرفة ؛ حتى يحاربوا الغش [5]، وكذلك الأمير يوسف بن تاشفين الذى عمل على على إصلاح السوق [6]، من خلال تعيين أشخاص يراقبون الإنتاج ويكشفون طرق الغش، وأطلق على الواحد منهم اسم الأمين أو الرئيس أو العريف أو المقدم، ويختاره القاضى أو المحتسب؛ لذلك يجب أن يكون من أهل الحذق فى مهنته [7]، ويجب أن يكون مسلمًا عاقلاً ؛ ؛ لأنه لا يجوز تولى هذه المهمة لذمى [8]، ولم يكن دور الأمين فى الغالب رقابيًا فقط، بل كان يلعب دورًا اجتماعيًا مهمًا، بتقديم المساعدات لأفراد كل طائفة من المهن المختلفة فى أوقات الفرح أو الموت أو المرض، كما أنه يساعد المحتسب فى حل القضايا، حيث يقدم النصيحة والمعلومات حول الأفراد المتهمين للحكم عليهم، وكان لكل طائفة أمين مسئول عنها [9] .

---

(1) الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص ٢٢٦ .

(2) مجهول : الاستبصار، ص ٢١٢ .

(3) الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص ٢٤١ .

(4) كربخال : المصدر السابق، ج٢، ص ٢١

(5) ابن أبى زرع : المصدر السابق، ص ٤١، وانظر أيضًا ليفى بروفنسال : الإسلام فى المغرب والأندلس، ترجمة السيد محمود وآخرون، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٠، ص٧-١١.

(6) ابن أبى زرع : المصدر السابق، ص ١٤١، وانظر أيضًا : إبراهيم القادرى بوتشيش : إضاءات، ص ١٠١

(7) ابن عبدون : المصدر السابق، ص ٥٣ – ٥٤، ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق، ص ٤٧٤، وانظر أيضًا جمال أحمد طه : مدينة فاس، ص ٢١٠ .

(8) الونشريسى : أسنى المتاجر فى بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، تحقيق حسين مؤنس، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مج ٥، ١٩٥٧، ص ١٧٦ .

(9) البادسى : المصدر السابق، ص ٦٥، وانظر أيضًا : لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص١٤٣ .

فيذكر أن فى مدينة سلا قامت طائفة التجار مع الحاكة بإنشاء صندوق ؛ لمساعدة الناس فى دفع الضرائب الاستثنائية أو العامة، إذ يدفع كل فرد درهمًا من دخله [١] ؛ ليتكاتف ليتكاتف أعضاء الطائفة الواحدة فى الظروف الصعبة وهذا دليل على ترابطهم، وتضم الطائفة جميع العاملين بها من المستخدمين والصناع والمبتدئين [٢] .

واستكمالاً لدور الدولة فى مراقبة الأسواق كان السلاطين والأمراء يلتقون مع أمناء الحرف ؛ لمتابعة أحوال الأسواق من أسعار والحكم فى القضايا، كما كانوا يلتقون بهم أثناء تكليفهم بمشروعات الدولة ؛ لسماع آرائهم حول ذلك [٣]، ولم يقف دور الدولة عند هذا الحد، بل امتد إلى الاهتمام بأهل كل صناعة وتوصية الأمناء عليهم، ويتضح هذا من خلال الكتاب الذى كتبه السلطان أبو الحسن المرينى إلى جميع ولايات الدولة، وفيه يوصى الأمناء على الصناع من أهل حرفتهم، حتى إنه أوصى بالمرأة التى تنادى على السلع بالدور [٤] .

(ب) المحتسب :

الحسبة من الاحتساب، وهو طلب الأجر من الله عز وجل، وتعنى أيضًا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر [٥] ، وتعد خطة الحسبة من أقدم النظم الإسلامية ؛ لذلك تأخذ تأخذ مهامها الصفة الدينية، لأن المحتسب ينفذ الأحكام التى وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية [٦]، ويطبق نظام الحسبة فى كل المدن الإسلامية حتى المدن الجديدة، فأصبح لكل مدينة محتسب خاص بها، واستمر العمل بنظام الحسبة فى المغرب والأندلس طوال العصور الوسطى، حتى تعد حركة الاسترداد فى الأندلس مما يبرهن على أهمية وظيفة المحتسب ونجاحها فى ضبط أحوال السوق وحماية مصلحة الناس [٧] .

ويختار القاضى المحتسب، ويشترط فيه الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والفقه والعفة، ولا يميل ولا يرتشى، ويعد المحتسب نائبًا عن القاضى، فإذا غاب القاضى حكم بدلاً

---

(١) الونشريسى : المعيار المعرب، ج٥، ص ٣١٤، وانظر أيضًا : محمد المنونى : ورقات، ص ١٤٧ .

(٢) لوتورنو : المرجع السابق، ص ١٤٠ – ١٤١ .

(٣) ابن مرزوق : المسند، ص ٣٩٢ .

(٤) ابن مرزوق : المسند، ص ١٩٤ .

(٥) ابن منظور : المصدر السابق، ج١٠، ص ٨٦٧، الشيزى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العرينى، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩، ص ٦ .

(٦) أحمد مختار العبادى : نظم الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية، بحثًا من كتاب تاريخ الحضارة الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفة، الإسكندرية، ٢٠٠٦ م، ص ١٦٧

(٧) كمال أبو مصطفى : تاريخ الأندلس الاقتصادى، ص ٣١١، إبراهيم ناقة : المرجع السابق، ص ص ٢٧٤ .

منه [1] .ويعمل المحتسب على مراقبة الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، وذلك من خلال الجولات التفتيشية التى يقوم بها هو وأعوانه على الأسواق ؛ لمنع الغش والتدليس ومراقبة جودة إنتاج البضائع ومراقبة المكاييل والموازين [2]، ويمنع تفاوت الأسعار من خلال تسعير البضائع بسعر محدد [3]، وفى عهد الدولة المرينية كان المحتسب يعاقب التجار والصناع الغشاشين، ويلزمهم بعرض البضائع الرديئة على منضدة يوضع بجانبها اسم الصانع ؛ حتى يتعرف عليه الناس، أما إذا كانت البضائع المغشوشة غذائية، كأن يبيع القصار لحمًا تالفًا فكان المحتسب يأمر بتقطيع اللحم قطعًا صغيرة ويصنع منه عقد يلبسه القصار ويطاف به فى المدينة على هذه الحالة مع ترديده الاعتراف بذنبه بصوت مرتفع [4] .

وعلى الرغم من وجود بعض النماذج الفاسدة، كمحتسب تلمسان الذى أخذ رشوة من صاحب أحد الأفران ليغض بصره عن غشه، فقد اكتشف أمره وكان عقابه الضرب المبرح [5]، وتوجد أيضًا نماذج لمحتسبين تمتعوا بالشرف وبراعتهم فى أداء واجبهم، مثل المحتسب أبى فارس عبد العزيز الملزوزى [6]، الذى تولى أمر الحسبة فى عهد أبى يعقوب يوسف، وحدثت فى عهده مجاعة (٦٩٣ هـ / ١٢٩٤ م) ولجأ إلى الفقيه أبى فارس عبد العزيز الذى عمل على تبديل اليعات المستعملة فى ذلك الوقت، واستبدل بها المُد النبوى ؛ نظرا لغلاء الأسعار الذى بلغ حدًا أصبح فيه ثمن القمح عشرة دراهم [7]، وهذا دليل على رجاحة عقله

---

[1] الماوردى : الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادى، دار قتيبة، الكويت، ط١، ١٩٨٩ م، ص ٨٨ – ٨٩، ابن عبدون : المصدر السابق، ص ٢٠، وانظر أيضًا أحمد العلمى : الحسبة بين الأصالة والمعاصرة، مجلة البحث العلمى، ع٢، ١٩٩٥، ص ٢٧٨ .

[2] الونشريسى : المعيار المعرب، ج٦، ص ٤٢٠، ابن الحاج الفاسى : المدخل ، ج٤، ص ١٢ – ١٣، وانظر أيضا محمد المنونى : ورقات، ص ٩٠، حسن السائح : المرجع السابق، ص ٣٤٢ .

[3] الونشريسى : المصدر السابق، ج٥، ص ٨٣ – ٨٥، ج٦، ٤٠٨ – ٤٠٩، ٤٢٣ – ٤٢٦، وانظر أيضًا أحمد صبحى منصور : الحسبة دراسة أصولية تاريخية، مركز المحروسة للنشر، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٣٠ .

[4] الونشريسى : المصدر نفسه، ج٦، ص ٤١٢ – ٤١٤، وانظر أيضًا لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٥٤ .

[5] موسى لقبال : الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب العربى (نشأتهما وتطورها)، الشركة الوطنية الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ١٩٧١، ص ٥٥ .

[6] أبو فارس عبد العزيز الملزوزى عبد الرحمن بن محمد : ويعرف بالملزوزى ينتمى إلى إحدى قبائل زناتة، وهو من سكان مكناسة، وكان من مؤيدى قيام الدولة المرينية وسقوط الدولة الموحدية، كما كان الشاعر الخاص للسلطان أبى يعقوب يوسف، فقد كتب أرجوزة عن بنى مرين اسمها (نظم السلوك) وتوفى (٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م)، عبدالواحد الملزوزى : المصدر السابق، ص ٢، وانظر أيضًا عبد الله كنون : موسوعة مشاهير رجال المغرب، دار الكتاب اللبنانى، دار الكتاب المصرى، بيروت، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤، رقم ٩، ص ٥ – ٧ .

[7] وكان المُد النبوى يقدر بحفنة يدين متوسطتين، والصاع المرينى كان يقدر بأربعة أمداد من المُد المُد النبوى، أى ما يعادل (٦.٩٢٤) لترًا (أبى يوسف الحكيم : المصدر السابق، ص ١٠٣) .

وحسن تدبيره لأمور الحسبة [١]، كما عين السلطان أبو سعيد عثمان ومن بعده ولده السلطان أبو الحسن المرينى المحتسب غالب بن على على الحسبة فى فاس [٢]، وكان للمحتسب والأمين مكان خاص بهم فى السوق ؛ لممارسة أعمالهما ويطلق عليه (ساحة الأمناء) [٣] .

(ج)بناء المدن :

عملت دولة بنى مرين على تدعيم حركة التجارة الداخلية، من خلال فتح أسواق إضافية عن طريق المشاريع العمرانية وبناء المدن الجديدة، كمدينة المنصورة بتلمسان التى بنيت أثناء حصار السلطان يوسف بن يعقوب لمدينة تلمسان، حيث أحاطها بالعمران وكثرة الأسواق، كما أنها أدت دورًا مهمًا فى عملية البيع والشراء أثناء الحصار [٤]، كما أمر السلطان يعقوب بن عبد الحق (٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م) ببناء فاس الجديدة التى كانت مليئة بالمنشآت العمرانية الفخمة [٥]، وجدد السلطان أبو يوسف قصبة مكناسة وطرقها [٦]، كما جدد السلطان أبو عنان مدينة الغربية عاصمة دكالة [٧] .

---

[١] ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجى، القاهرة، ط١، ١٩٧٧، ج٤، ص ٢٠، ٢٧، محمد بن أحمد ابن شقرون : المظاهر الثقافية المغربية (دراسة فى الأدب المغربى فى العصر المرينى)، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ص ٦٦ – ٦٨ .

[٢] هو غالب بن على بن محمد اللخمى الشقورى من أهل غرناطة، وكان حسن الخلق، وقد مارس الطب مع الحسبة، توفى (٧٤١ هـ / ١٢٤٠ م) فى سبتة (ابن القاضى : جذوة الاقتباس، ج٢، ص ٩٦) .

[٣] الوزان : المصدر السابق، ص ٢٤٠ .

[٤] ابن خلدون : العبر، مج٧، ج ١٣، ص ٤٥٨، وانظر أيضًا يحيى بو عزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، سحب للطباعة، الجزائر، ٢٠٠٧، أنطونيو تورموكا سلفا : بنو نصر فى غرناطة وبنو مرين فى المغرب، ترجمة إسحاق عبيد من خلال كتاب ابن خلدون البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات، ندوة عقدتها مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ٨٤ .

[٥] مجهول : الحلل الموشية، ص ١٤٧، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٣٢٢، وانظر أيضًا محمد المنونى : منشآت مرينية بضاحية فاس الجديدة، مجلة المناهل، ع ١٦، ١٩٧٩، ص٢٤٤ .

[٦] ابن غازى : المصدر السابق، ص ٣٤، وانظر أيضًا : إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ، التاريخ، عرض لأحداث المغرب وتطوراته فى الميادين السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والفكرية منذ قبل الإسلام إلى الوقت الحاضر (١٤ هـ / ٥٢٠ م) مج٢، من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٨٧، ص ١٥٣ .

[٧] ابن الخطيب : نفاضة الجراب، ص ٧٥، وانظر أيضًا عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية، ص ٢٥ .

استكمالاً لصورة الاقتصاد المرينى ، نشطت حركة التجارة الخارجية للدولة وذلك بعدما امتلأت الأسواق الداخلية بالسلع والمنتجات المحلية ، حتى أصبحت مقصدًا للتجار من كل مكان ؛ لتتزود منها ، حيث إنهم يجلبون معهم بضائعهم ؛ لبيعها في الأسواق المرينية ؛ لكونها أسواقًا رائجة لمختلف التجار .

أولاً : طرق التجارة الخارجية

تواصلت دولة بنى مرين مع الدول الأخرى عن طريق شبكة من الطرق البرية والبحرية ، كما تميزت دولة بنى مرين بربطها الطرق البرية بالموانئ البحرية ، وهو ما أسهم فى ازدهار حركة التجارة الخارجية للدولة .

١- الطرق البرية :

ساعدت شبكة الطرق البرية على ربط دولة بنى مرين التى هى فى المغرب الأقصى بالمشرق العربى ومصر ، كما ربطتها بالسودان الغربى ، وهو ما ساعد على انتقال السلع المرينية فى جميع الأنحاء [١] .

فقد تواصل المغرب الأقصى مع السودان الغربى منذ القدم ، فلعب التجار المغاربة دور الوسيط التجارى بين شمال الصحراء وجنوبها [٢] وقد أدى هذا التواصل التجارى إلى بروز شبكة من المسالك التجارية ، وعلى أثره حدث تطور عمرانى يكمن فى تطور المدن وازدهارها الاقتصادى ، فتخرج القوافل من سجلماسة إلى درعة ، ومنها إلى أودغشت [٣] ؛ لتتجه نحو غانة [٤] ، فتعد مدينة سجلماسة البوابة الرئيسة للسودان ؛ وذلك بسبب قربها النسبى من غانة ، إذ تقدر المسافة بينهما بمسيرة شهرين (١٨٠٠ كم) ؛ لذا كانت قبلة

---

[١] نعيم زكى فهمى : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٢٥٨ .

[٢] عصمت عبد اللطيف دندش : دور المرابطين فى نشر الإسلام فى غرب إفريقيا (٤٣٠- ٥١٥ هـ / ١٠٣٨- ١١٢١ م) مع نشر وتحقيق رسائل أبو بكر العربى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص ٤٨ ، روجيه إدريس : الدولة الصنهاجية ، ترجمة حماد الساحلى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٩٢، ج٢، ص ٢٩١ ، أ.ج. هوبكنز : التاريخ الاقتصادى لإفريقيا ، ترجمة أحمد فؤاد بلبع ، تقديم محمد عبد الغنى سعودى ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٥٨ .

[٣] أودغشت : من مدن السودان الغربى ، اتخذها عبد الله بن ياسين عاصمة لدولة المرابطين قبيل قيام الدولة ، ثم اتخذت مراكش عاصمة لها وتقع بين الطريق الرابط سجلماسة بغانة ، وهى مدينة جميلة وأشبه البلاد بمكة المكرمة مليئة بالخلق والبساتين (الإدريسى : المصدر السابق ، ج١ ، ص١٠٨ ، ياقوت الحموى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٢٧) .

[٤] البكرى : المصدر السابق ، ص ١٥٩ ، وانظر أيضًا حسن خضيرى أحمد : أهم مراكز تجارة الصحراء المغربية ودورها فى قيام الكيانات السياسية فى القرنين الرابع والخامس الهجرى / العاشر والحادى عشر الميلادى ، المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة ، مج ٤٣ ، ٢٠٠٥ م ، ص٤٨٣ .

التجار القادمين من البلدان المختلفة سواء أكان قدومهم للتجارة فيها أم للتوجه إلى السودان[١] ، فيقول ابن الوردى عنها مدللاً على عظمتها التجارية : " عامرة الديار كثيرة البركات يقال إنه يسير الراكب فى أسواقها نصف يوم فلا يقطعها " [٢] . كما تقطع مسافة من سجلماسة إلى درعة قدرها تسعون كيلو متر ، فدرعة تعد حلقة أساسية فى طريق السودان القادم من سجلماسة أو تلمسان ، وتميزت درعة بسبب موقعها برواجها التجارى وقيام العديد من الأسواق بها [٣] ، أما عن أودغشت التى برزت فى عهد الموحدين فقد أصبحت مركزًا تجاريًا مهمًا ؛ لموقعها على الطرق التى تربط السودان بكل من مصر والمغرب ؛ لذلك صارت مليئة بالأسواق وبالصنائع ، فازدادت عليها القوافل التجارية ، فبينها وبين غانة (١٥٣٠ كم) ، وبينها وبين سجلماسة (١٢٣٠ كم) [٤] ، إلا أنها اختفت فى عهد المرينيين .

---

[١] مجهول : الاستبصار ، ص ٢٠١ ، وانظر أيضًا : ناعمى مصطفى : الصحراء من خلال بلاد تكنة تاريخ العلاقات التجارية والسياسية ، منشورات عصام ، ١٩٨٨ ، ص ٤٧ .

[٢] عجائب البلدان من خلال مخطوط " خريدة العجائب وفريدة الترائب " ، تحقيق أنور محمود زناتى ، مكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م ، ص ٨ .

[٣] البكرى : المصدر السابق ، ص ١٥٥ ، وانظر أيضًا : إبراهيم حركات : النشاط الاقتصادى ، ص ١٩٣ .

[٤] ابن خلدون : العبر ، مج٧ ، ج١٣ ، ص ١٢٢ ، وانظر أيضًا : إبراهيم على طرخان : إمبراطورية غانة الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠ ، ص ٤٢ ، فيج . جى . دى : تاريخ غرب إفريقيا ، ترجمة السيد يوسف ، وراجعه رياض صليب ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٢ ، ص ٥٠ .

وقد بدأ ابن بطوطه رحلته من سجلماسة ثم تفازا [١] ثم إلى ولاته [٢] ثم نيانى [٣]، إلا أن طريق العودة اختلف ، حيث اتخذ الطريق الشرقى من تنبكتو [٤] ثم جاو (كوكو) التى تقع جنوب شرق تنبكتو ثم تكدا [٥] ، ومع تغير الطرق برزت تلك المراكز التجارية ، فتنبكتوأصبحت ملتقى الطرق التجارية، إذ ينتهى إليها الطريق القادم من المغرب ومن المشرق أيضًا [٦] ؛ لذلك أصبحت سوقها مليئة بالتجار من مختلف الأجناس [٧] ، وخاصة من سجلماسة وفاس والسوس [٨] ، أما عن جاو (كوكو) ، فتعد من أهم المراكز التجارية التجارية ؛ لذلك اشتهر أهلها بالثراء لاشتغالهم بالتجارة [٩] ، كما ذاع صيت مدينة تكدا ، خاصة فى عهد دولة مالى التى تقع شمال غربها ، وكان معظم سكانها من التجار المغاربة، ويدعى شيخ المغاربة فيها سعيد بن على الجزولى [١٠] ، واشتهرت باستخراج النحاس منها " فإذا سبكوه نحاسًا أحمر ، صنعوا منه قضبانًا فى طول شبر ونصف ، وبعضها رقاق

---

[١] تفازا : تبعد عن سجلماسة بمقدار ٢٥ يومًا (٧٥٠ كم) ، وهى مدينة تتوسط أرض المغرب والسودان ، وصفها ابن بطوطة بأنها " قرية لا خير فيها بيوتها ومسجدها من حجارة الملح وسقفها من جلود الجمال ، ولا شجر فيها " (ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٧٧).

[٢] ولاته : تقع شمال غرب مدينة تنبكتو ، وتعنى كلمة ولاته الأرض المرتفعة ، حيث إنها أقيمت على أنقاض مدينة تسمى بيرو ، وتقدر المسافة بين ولاته وسجلماسة بمسيرة شهرين (١٨٠٠كم) (السعدى : تاريخ السودان ، نشره هوداس ، باريس ، ١٩٨١ م ، ص ٧- ٢١ ، أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الإسلامى ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ط٦ ، ٢٠٠٠ م ، ج٦ ، ص ١٩٨ .

[٣] نيانى : وتقع على نهر النيجر إلى شمال نهر سانكرانى ، وهو أحد روافد نهر النيجر ، وتستمد المدينة أهميتها من قربها من مناجم الذهب ، وقد أفل نجمها بعد زوال مملكة مالى ، فانحصر حكم ملوك مالى فى هذه المدينة فقط ؛ لذلك أطلق عليها بعد ذلك اسم مملكة مالى (كعت : تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، طبع هوداس ورولاقوس ، باريس ، ١٩٦٤ ، ص ٤٢ ؛ الوزان : المصدر السابق ، ص ٥٣٨) .

[٤] تنبكتو أو تنبكت : تقع على بعد (١٦ كم) من نهر النيجر ، واختلف فى تاريخ تأسيسها ، ولكن من المرجح أن قبائل الطوارق هم الذين أسسوها فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) (السعدى : المصدر السابق ، ص ٢٠) .

[٥] ابن بطوطة : المصدرالسابق ، ج٤ ، ص ٤٣٥ – ٤٣٦ .

[٦] السعدى : المصدر السابق ، ص ٢١ ؛ وانظر أيضًا عبد الهادى الدالى : مملكة مالى ، ص ٩٦.

[٧] الوزان : المصدر السابق ، ص ٥٣٩ ، وانظر أيضًا شوقى الجمل : تمبكتو كمركز ثقافى وعلمى [فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى] ، من خلال كتاب المراكز الثقافية والعلمية فى العالم العربى عبر العصور حصاد رقم (٩) ، ندوة عقدها اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ٣٩٨ .

[٨] السعدى : المصدر السابق ، ص ٧ .

[٩] الوزان : المصدر السابق ، ص ٥٣٧ ؛ وانظر أيضًا الشيخ الأمين عوض الله : تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربى وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادى ، بحث ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضارى حتى نهاية القرن التاسع عشر ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٨٣ .

[١٠] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٤٣٥ .

بحساب ستمائة بمثقال " [١] ، فاستخدم عملة يشترون بها البضائع المغربية [٢] ، وتتجه للعوائد الضخمة التى تعود على أصحاب هذه التجارة ، واتخذت عليها دولة مكوسًا [٣] فى عهد منسا موسى (٧١٢ هـ - ٧٣٨ هـ / ١٣١٢ – ١٣٣٧ م) [٤]

أما عن الطرق التجارية التى اتخذتها القوافل نحو المشرق ومصر ، فنلاحظ من خلال الرحلات التى سافرت خلال هذه الفترة نحو المشرق أن القائمين بها قد وضعوا لنا خريطة للطريق ، فابن بطوطة بدأ رحلته من طنجة ثم توجه نحو تلمسان [٥] التى تعد البوابة الرئيسة التى تتجمع عندها القوافل ؛ للتوجه نحو المشرق مثلما وصفها الإدريسى بقوله " على رصيف الداخل والخارج منها لابد منها والاجتياز بها على كل حالة " [٦] ، لبدء الرحلة واتفق فى ذلك كل من العبدرى والبلوى والقلقصادى إذ مروا بتلمسان ، على الرغم من اختلاف بداية رحلة كل منهم [٧] .

---

(١) ابن بطوطة : نفس المصدر والجزء ، ص ٤٤٠ – ٤٤١ .
(٢) حسين مؤنس : ابن بطوطة ورحلاته ، دار المعارف ، القاهرة ، د . ت ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .
(٣) العمرى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٧٥ .
(٤) منسا موسى : هو موسى بن أبى بكر بن سالم التكرورى ، وكان من أبرز السلاطين وأعظمهم فى مملكة مالى ، ولقب بشرف الدين ، وكان رجلاً صالحًا عادلاً ، وعرف بالكرم والعطاء ، وكان له دور مهم فى نشر الإسلام بين الوثنيين فى المناطق المجاورة لبلاده ، كما عرف برحلة حجه الشهيرة (ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٣ ، ج٤ ، ص ٣٨٣ ، الذهبى : دول الإسلام ، تحقيق حسن إسماعيل مردة ، قرأه وقدمه محمود الأرناؤوط ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩ ، ج٢ ، ص ٢٣٢ .
(٥) المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٠ .
(٦) المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٥٠ .
(٧) العبدرى : المصدر السابق ، ص ٢٤ ، البلوى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٥٣ ، والقلقصادى : المصدر السابق ، ص ١٦١ .

فبدأ الطريق من تلمسان إلى مليانة [١] ، وبعدها الجزائر [٢] ثم بجاية [٣] ثم قسنطينة[٤] قسنطينة[٤] ثم بونة [٥]؛ غير أن العبدرى اتجه نحو القيروان ومنها إلى طرابلس [٦] ثم برقة[٧] ، ثم إلى ميناء الإسكندرية [٨] ، أما عن ابن بطوطة فقد اتجه نحوالسوسة [٩] وصفاقس [١٠] ، ثم إلى الإسكندرية [١١] .

٢- مخاطر الطرق البرية :

يواجه التجار أثناء رحلاتهم العديد من المخاطر ، حيث كانوا يعانون أثناء اجتيازهم الطرق البرية خطر قطاع الطرق الذى كان منتشرًا بها ، فيتعرضون للنهب وسرقة أموالهم وبضائعهم والوقوع في الأسر ، فضلاً عن أنهم يواجهون الموت فى أحيان أخرى ، فندد العبدرى بانعدام الأمن وممارسة أعمال اللصوصية عبر الطرق التجارية التى تربط المغرب الأقصى بالمشرق الإسلامى ، مثلما حدث فى الطريق الرابط بين مدينتي قابس وطرابلس ، وبين تازا وتلمسان ، هذه الطرق سار فيها اللصوص وانعدم الأمن بها [١٢] .

---

[١] **مليانة** : تقع على حدود المغرب الأوسط ، بينها وبين البحر (٦٤كم) (الوزان : المصدر السابق ، ص ٤٠٥) .

[٢] **الجزائر** : مدينة بحرية بينها وبين بجاية (٤٤.٨ كم) ، لها مسجد جامع وميناؤها مأمون ، ويعد من أهم الموانئ على البحر ومقصدًا للسفن الأفريقية والأندلسية (الحميرى : المصدر السابق، ص ١٦٣) .

[٣] **بجاية** : هى القاعدة البحرية للمغرب الأوسط ، وبها دار لصناعة السفن ، وقد شهد لها بحسن بنائها (الوزان : المصدر السابق ، ص ٤٢٢) .

[٤] **قسنطينة** : هى مدينة من آثار الرومان بينها وبين بجاية (٤٣كم) وهى محصنة (الحميرى : المصدر السابق ، ص ٤٨٠) .

[٥] **بونة** : لها ميناء يعد من أهم الموانئ على البحر المتوسط ؛ لذلك فإن أسواقها عامرة نتيجة للتجارة الخارجية ، ولها آثار من قبل الفتح الإسلامى (الإدريسى : المصدر السابق ، ص ٢٩١) .

[٦] **طرابلس** : تعنى طرابلس ثلاث مدن باللاتينية ، وبها أسواق حافلة وبساتين كثيرة ؛ لذا كثرت كثرت فيها الفواكه وخيرات كثيرة (الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٨٩) .

[٧] **برقة** : مدينة كبيرة تقع بين الإسكندرية وإفريقية بينها وبين البحر (٣.٢ كم) الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٩١ .

[٨] العبدرى : المصدر السابق ، ٦٤ – ٧٦ – ٨٥ – ٨٩ .

[٩] **سوسة** : أطلق عليها السوس حتى تتميز عن السوس الأقصى ، ويحيط بها البحر من ثلاث جهات (شمال وجنوب وشرق) لها محارس متقنة البناء وكذلك مساجد وأسواق حافلة (الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣٣١) .

[١٠] **صفاقس** : تقع في المغرب الأدنى بينها وبين سوسة (٦٠كم) وبها أسواق وفنادق عديدة (الحميرى : المصدر نفسه ، ص ٣٦٥) .

[١١] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٠.

[١٢] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج١، ص ٣٦ – ٣٧ ، وانظر أيضا إبراهيم حركات : المجتمع الإسلامى والسلطة فى العصر الوسيط ، إفريقيا ، الشروق ، الدار البيضاء ، ١٩٩٨ ، ص ٢٦١ .

وقد ذكر ابن بطوطة حول انعدام الأمن فى طرق متجهة نحو المشرق أن بعض التجار تعرضوا للسرقة عند دخولهم بونة [١] ، كما أن الطرق المتجهة للسودان كانت مليئة بالمخاطر وقطاع الطرق [٢] ، وذكر التجانى أن هناك قصرًا يسمى وذدر بصحراء أفريقية، أفريقية، اشتهر ببيع من يجتازه من الحجاج المسلمين أو النصارى ؛ لذا ظل من يمر به ينتابه الخوف خشية الوقوع فى الأسر ، حتى كان ركاب القافلة يهنئ بعضهم بعضًا حينما يمرون عبر هذا القصر دون أن يفقدوا أحدًا منهم [٣] .

وأثرت حوادث الطرق على الأحوال السياسية لدولة بنى مرين ، مثلما حدث حينما تعرضت السفارة المصرية التى أرسلها السلطان الناصرمحمد قلاوون [٤] إلى السلطان أبى يعقوب يوسف بن يعقوب فى عام (٧٠٦ هـ/١٣٠٦ م) للسرقة أثناء توجهها نحو المغرب الأقصى (دولة بنى مرين) ، وهو ما أدى إلى سوء العلاقات نسبيًا بينهما [٥] ، وبالإضافة إلى ذلك فقد شكلت ثورات القبائل العربية خطرًا على الطرق التجارية إذ كان أصحابها يغيرون على القوافل التجارية [٦] ، وكانت هذه الحوادث لها أثر سلبى على التجارة ، حيث كانت القوافل التجارية تتأخر ، انتظارًا لتزايد أعداد القوافل كى تنطلق فى رحلتها ، فقافلة العبدرى – على سبيل المثال - تأخرت ثلاثة أشهر فى رجوعها ؛ بسبب انتظارها زيادة الأعداد ؛ وذلك للإحساس بعدم الأمان المفتقد فى الطرقات [٧] ، وبسبب ذلك أيضًا هجرت بعض الطرق بسبب انتشار أعمال السرقة فيها [٨] ، وعملت دولة بنى مرين على العناية بهذه الطرق ، بتمهيدها ونشر الأمان فيها [٩] .

---

[١] ابن بطوطة : المصدر السابق ،ج١ ،ص ١٩ .

[٢] المصدر نفسه ، ج٤ ، ص ٤٤٦ .

[٣] رحلة التجانى ، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ، المطبعة الرسمية ، تونس ، ١٩٥٨، ص٢١٠.

[٤] **السلطان الناصر محمد بن قلاوون** : ولد بالقاهرة فى (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) تولى السلطة ثلاث مرات ، وكان أصغر أبناء السلطان المنصور ، تولى الحكم صغيرًا ، وهو ما جعله مطمعًا للأمراء فى الحكم ، وحدثت اضطرابات أثناء فترة حكمه (حياة ناصر حجى : السلطة والمجتمع فى سلطنة المماليك فترة حكم السلاطين (من سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م إلى سنة ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) دراسة تاريخية وثائقية فى وقائع الممارسات المختلفة السلطانية والأميرية ، جامعة الكويت لجنة التأليف والتعريب ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص ٢٩ ، ولها أيضًا : السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف فى عهده مع تحقيق ودراسة " وثيقة وقف سرياقوس " مكتبة الفلاح ، الكويت ، د . ت ، ص ١٩ .

[٥] ابن خلدون : العبر ، مج ٧ ، ج١٣ ، ص ٤٧٠.

[٦] ابن خلدون : المصدر السابق ، مج٧ ، ج١٣، ص ١١٨ ، السلاوى : المصدر السابق ، ج١ ، ، ص ٤٣٢ وانظر أيضًا مصطفى أبوضيف : المرجع السابق ، ص٣٠٩.

[٧] المصدر السابق ، ٢٧٨ .

[٨] عبد العزيز بن عبد الله : البادية المغربية وإشعاعها الحضارى ، مجلة المناهل ، ١٩٦٨ ، ص ٦٥ – ٦٦ .

[٩] ابن مرزوق : المسند ، ص ٣٨٥ .

ومن بين الأخطار التى أحاطت بالتجار فى الطرق البرية سوء الأحوال الجوية ، كالحر الشديد أو البرودة القاسية ، فضلاً عن مشكلة نقص المياه أثناء السفر [١] ، ويضاف إلى ذلك أن القوافل كانت تتعرض إلى خطر التيه فى الصحراء ، وحاول التجار التغلب على هذه المشكلة باتخاذهم الدليل (التكشيف) لهم فى تلك الصحراء [٢] ، وكان من عادة القوافل التجارية المتوجهة نحو السودان أن تأخذ الدليل ؛ لتفادى التيه فى الصحراء [٣] ، وغالبًا ما يكون الدليل المتخذ فى طرق السودان من أفراد قبيلة مسوفة ؛ لأن المسوفيين كانوا أدرى الناس بالطرق المؤدية للمدن السودانية ، فكان الدليل يتقدم القافلة قبل دخول السودان بأربعة أيام ؛ حتى يوصل الرسائل من أهل القافلة إلى معارفهم وأصحابهم فى ولاته ؛ من أجل إعداد المنازل لهم ، وذلك لأنه لم تكن الفنادق معروفة فى السودان مثل المغرب ، فالدليل لا يمكن الاستغناء عنه فى الرحلات ؛ لذلك قد تصل أجرته إلى مائة مثقال من الذهب [٤] ، وكان دليل رحلة ابن بطوطة يدعى أبا محمد يندكان المسوفى [٥]، ويذكرأن الدليل الذى اتخذته القافلة ركب الحجيج ٧٠٣ هـ / ١٣٠٥ م كان يدعى أبا زيد الغفائرى ، ويذكر أنه كان يحمل بيعة أشراف مكة للسلطان أبى يعقوب يوسف بن يعقوب ، وهذا دليل على اتصاله بالبلاط الملكى [٦] .

٣- الطرق البحرية :

أ- الثغور البحرية :

نشطت حركة التجارة البحرية لدولة بنى مرين من خلال موانيها البحرية المطلة على المحيط الأطلسى وعلى البحر المتوسط ، وتميزت موانئ البحر المتوسط بسهولة عملية رسو السفن فيها بسبب ضعف حركة الأمواج والتيارات البحرية ، بالإضافة إلى سهولة عبور البحر المتوسط والقرب النسبى للموانئ والمدن الأوربية [٧] ، ومن أبرز تلك الموانئ الموانئ ميناء مدينة سبتة التى وصفت بأنها :

---

[١] التجانى : المصدر السابق ، ص ٣١٩ ، ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٥ .

[٢] ابن خلدون : المصدر السابق والمجلد والجزء ، ص ١١٨ .

[٣] الحضرمى : المصدر السابق ، ص ٧٩ ، وانظر أيضًا ماجدة كريمى : العلاقات التجارية بين المغرب والسودان ، مجلة دعوة الحق ، ع ٢٦٩ ، ١٩٨٨ ، ص ٢٥٢ .

[٤] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٨١ – ٣٨٢ .

[٥] ابن بطوطة : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٧٧ ؛ وانظر أيضًا إبراهيم طرخان : مملكة مالى ، ، ص ٩٧ .

[٦] ابن خلدون : العبر ، مج٧ ، ج١٣ ، ص ٤٦٨ ، السلاوى : المصدر السابق ، ج١ ، ٤٢٣.

[٧] أحمد محمد إسماعيل الجمال : طرق التجارة الخارجية خلال القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى (عصر الموحدين) ، مجلة المؤرخ العربى ، القاهرة ، ع ١٢ ، مج١ ، ٢٠٠٤ ، ص ٩٣ ، أ . ج باركر : النقل البحرى والتجارة فى البحر المتوسط القديم ، عالم المعرفة ، ع ٣١٤، الكويت ، ٢٠٠٥ ، ص ١٦٣ ، صابر دياب : دراسات فى عالم البحر المتوسط فى العصور الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، مج ٢٤ ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٥٧ .

أخْطِرْ على سبتَة وانظر إلى جمالِها تصْبُ إلى حسنِهِ
كأنها عودُ غِناءٍ وقد أُلقِيَ فى البحرِ على بطنِهِ [١]

وازدهارها يرجع إلى نشاطها التجارة البحرى ، حيث احتوت على ثلاثين مرسى [٢] لذلك أصبحت " محط قوافل الحصير والحرير والكتان " [٣] ، كما وصفت بأنها فرض البحر العظيم ؛ لكثرة ما يتردد عليها من مراكب المسلمين والأجانب [٤] ؛ فضلاً عن أنها أدت دورًا جوهريًا في التجارة بين دولة بنى مرين ومصر ، إذ أصبحت نقطة البداية أو نقطة النهاية للخط البحرى الرابط بين الإسكندرية وسبتة [٥] ، كما ورد عليها تجار من أراجون والأندلس ، وبهذا أصبحت سوقًا عالمية يتوافد عليها التجار من مختلف الجنسيات ؛ لتسويق سلعهم [٦] .

وهذا الازدهار الذى حظيت به سبتة جعلها محط أطماع العديد من الدول ، حيث استولت عليها غرناطة [٧] عدة مرات [٨] ، كما واجهت سبتة أطماع الدول الأجنبية ، فاستولت عليها البرتغال ٨١٨ هـ / ١٤١٥م ، وهو ما كان له أثر سلبى على تجارة دولة

---

[١] ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ج١ ، ص ٣٢٩ .
[٢] الأنصارى السبتى : المصدر السابق ، ص ٥٥ ، وانظر أيضاً مصطفى النشاط : جوانب من المسكوت عنه " فى الكتابة التاريخية المرينية " نموذج : الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثانى ، الدار البيضاء ، ع٧ ، ص ١٩٩٧ ، ص ١٩٥ .
[٣] ابن الخطيب : معيار الاختبار ، ص ١٤٦ .
[٤] العمرى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٢٧ .
[٥] ابن الخطيب : نفاضة الجراب ، ٢٣٥ .
[٦] محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص ١٠٩ ، وكذلك
Dufourcq (ch) : Commerce du Mughreb medieval avec L'Europe Chretienne et marine musulmane donnees connues et problemes en suspens , I ' Iberie chretienne et le Maghreb XIIe – Xve Siecles , Paris , 1973 , p. 170 .
[٧] تولى حكم مدينة سبتة من الأندلسيين منذ عهد الأمويين فى الأندلس ، ومن بعدهم الحموديون الأدارسة حكام مالقة فى القرن الخامس ، أما فى عهد المرابطين والموحدين فسيطروا على المغرب والأندلس ، حتى عهد بنى مرين ، وسيطرت غرناطة عليها من (٧٠٥ – ٧٠٩ هـ / ١٣٠٥ – ١٣٠٩ م) حتى استرجعها أبو سالم المرينى مرة أخرى ، إلا أنه فى أواخر العهد المرينى اضطربت الأحوال السياسية فى مملكة بنى مرين أصبحت غرناطة هى المتحكمة فى أمورها السياسية ، تولى وتعزل كيفما تريد ، وخلال هذه الفترة سيطرت على سبتة حتى سقطت فى أيدى البرتغال ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م ، الحميدى : جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، الهيئة المصرية العامة لكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٨ ، ص ٣٠ – ٣٦ ، ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة ، السفر الأول ، ص ٩٣ ، انظر أيضًا : رضوان البارودى : الحياة الحربية ، ص ٧٩ ، ٨٩ – ٩٥ .
[٨] السلاوى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤٢٢ ، وانظر أيضًا محمد القبلى : مراجعات حول المجتمع والثقافة بالغرب الوسيط ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ ، ص٨٦ .

المرينيين ، إذ أفقدها كثيرًا من مكانتها التجارية ، حيث تحولت التجارة التى كانت تمر بها إلى موانئ أخرى فى شمال أفريقيا [١] ، بالإضافة إلى تأثر التجارة الداخلية بها حيث كانت سبتة المنفذ البحرى لتجارة المناطق الداخلية كفاس ، وهو ما أدى إلى تدهور التجارة المرينية عامة [٢] .

أما عن مدينة سلا أحد الموانئ المهمة ، فيصفها أحد الشعراء قائلاً :

هــى مَحــطّ ســفنِ البحــار ومجمــعُ الركــبِ مــن التجــار
من كلِّ منفع فى الحديث القديم وسوق لأنواع التجارة المقيم [٣]

فأصبحت سلا محط مختلف الجنسيات من التجار [٤] من أشبيلية وغيرها من باقى مدن الأندلس [٥] ؛ لذا تمتعت بمكانة اقتصادية عظيمة ، فدفع ذلك مملكة قشتالة إلى محاولة الاستيلاء عليها ، ولكن محاولتها باءت بالفشل (٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) [٦] .

وكانت طنجة محط السفن اللطاف [٧] ، وخاصة مع الأندلس ، فهى البوابة الرئيسة الرئيسة للسلع الأندلسية [٨] ، ولم تسلم طنجة أيضًا من أطماع البرتغاليين الذين حاولوا الاستيلاء عليها عدة مرات ، ففى ٨٤١ هـ / ١٤٣٧ م حاولوا الاستيلاء عليها ، ولكنهم فشلوا [٩] ، ثم نجحوا فى الاستيلاء عليها ٨٦٩ هـ / ١٤٦٤ م [١٠] .

---

(١) القلقصادى : المصدر السابق ، ص ٢٣ ؛ السلاوى : المصدرالسابق ، ج٢ ، ص ١٦٤ ؛ وانظر أيضًا أمين توفيق الطيبى : احتلال البرتغاليين مدينة سبتة المغربية (٨١٨ هـ / ١٤١٥ م) مقدماته ودوافعه ونتائجه ، بحث من كتاب دراسات وبحوث فى التاريخ المغربى الأندلسى ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٩٧ ، ج٢ ، ص ٢٧٣ .
(٢) محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص ١٣٨ ، محمود زنيبر : محور فاس – سبتة ، ص٣٣٥ .
(٣) السلاوى : إتحاف أشراف الملا ببعض أخبار الرباط وسلا ، مخطوط فى معهد المخطوطات العربية للمملكة المغربية (البعثة الثالثة) رقم ٣١ ، نقلاً عن نجلاء سامى محمد النبراوى : المرجع السابق ، ص ١٤٨ هامش (٤) .
(٤) الوزان : المصدر السابق ،ص ٢٣ ، وانظر أيضًا روجى . كواندر : قراصنة سلا ، ترجمة محمد العربى محمود ، مجلة البحث العلمى ، ع ٣٦ ، ١٩٨٦ ، ص ١٤٢ .
(٥) الإدريسى : المصدر السابق ، ج١ ، ٢٣٩ ، الحميرى : المصدر السابق ، ص ٣١٩ .
(٦) السلاوى : المصدر السابق ، ج٢ ، ٣٧٦ – ٣٧٧ ، وانظر أيضًا : حمدى عبد المنعم ، المرجع المرجع السابق ، ص ٥٤ .
(٧) العمرى : المصدر السابق ، ج٤ ، ١٢٨ .
(٨) محمد زنيبر : المغرب فى العصر الوسيط ، ص ٢٩٠ .
(٩) السلاوى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٦٦ .
(١٠) السلاوى : نفس المصدر والجزء ، ص ١٦٨ .

أما عن بادس فتقصدها سفن البندقية [١] ، وتعد أسفى آخر ميناء تبلغه المراكب من الأندلس ، وليس بعده للمراكب مذهب [٢] ، وكان ميناء غساسة [٣] " مرسى مطروق، مطروق، بكل ما يروق مرفأ جارية " [٤] ، وكان ميناء غساسة وميناء مليلة [٥] مقصد السفن لتجار البندقية [٦] ، وكذلك ميناء أصيلا المتعلقة على رأس الخليج (البحر المتوسط)) كان مقصدًا للسفن أيضًا [٧] ، أما عن أنفا فقد كانت جون [٨] ، الحط والقلاع مجلب السلع السلع ، تهدى إليها السفن شارعة وتبتدرها مسرعة ، فكان يتوافد عليها سفن الأندلس [٩] ، كما لم تسلم أنفا وأصيلا من أطماع البرتغاليين حتى استولوا عليهما فى ٨٧٠ هـ / ١٤٦٩ م [١٠] .

ب- السفن :

أصبح مألوفًا عند التجار المسلمين أن يجوبوا العالم بالسفن ، وذلك بعد أن انتقلت إليهم السيادة على البحر المتوسط [١١] ، فعملت الدول الإسلامية على تقوية أسطولها البحرى ؛ لحماية ثغورها البحرية وتجارتها الخارجية من هجمات النصارى (قرصنة)[١٢]، فقد أولى

---

[١] الوزان : المصدر السابق ، ص ٣٢٩ .

[٢] الإدريسى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٤١ ، الحميرى : المصدر السابق ، ص ٧٥ .

[٣] **غساسة** : هى مدينة محصنة تقع على البحر المتوسط لها ميناء مهم ، تبعد عن مليلة (٣٠ كم)) (الوزان : المصدر السابق ، ص ٣٤٥) .

[٤] ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ١٨٣ .

[٥] **مليلة** : مدينة تقع على البحر المتوسط لها ميناء مهم يعد منفذًا بحريًا لتجارة سجلماسة والسودان والسودان الغربى ، واشتهرت بإنتاجها للعسل والحرير (الوزان : المصدر السابق ، ٣٤٤) .

[٦] الوزان : المصدر نفسه ، ص ٣٤٤ – ٣٣٥ ، وانظر أيضًا محمد زنيبر : بعض موانئ التجارة التجارة المغربية فى العصر الوسيط ، ضمن أعمال ندوة التجارة فى علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثانى ، الدار البيضاء ، ق٢ ، من ٢١- ٢٣ فبراير ، ١٩٨٩ ، ٢٤٠ – ٢٤١ .

[٧] الإدريسى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥٣ ، وانظر أيضًا : عبد الوهاب بن منصور : أصيلة أصيلة عبر التاريخ ، مجلة المناهل ، ع١٦ ، سنة ٦ ، ١٩٧٩ ، ص ٧٧ .

[٨] **الجون** : بمعنى الخليج (لسان العرب : المصدر السابق ، ج٩ ، ص٧٣٣) .

[٩] ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ١٥٠ وكذلك
Edmond pauty :Rapport sur la defense des villes et la restauration des monuments historiques, Hesperis , 1922 , p 456 .

[١٠] السلاوى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٨٢ ، وانظر أيضًا عبد العزيز بن عبد الله : أصيلا ، مجلة المناهل ، ع١٦ ، سنة ٦ ، ١٩٧٩ ، ص ٢١٩ .

[١١] أرشبالد . لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط (٥٠٠ – ١١٠٠ م) ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، د . ت ، ص ٢١١ .

[١٢] زكى مبارك : الجهاد البحرى فى الغرب الإسلامى – المفهوم الإسلامى الغربى ، مجلة البحث العلمى ، الرباط ، ع ٤٥ ، ١٩٩٨ ، ص ١٥ ، إبراهيم جدلة : إفريقية والغزو البحرى فى العصر

الموحدون اهتمامًا كبيرًا ببناء السفن البحرية ودور صناعتها ، حتى بلغ عدد السفن فى عهدهم أربعمائة سفينة [١] ، وسار المرينيون على دربهم ، وأنشأوا دار صناعة للسفن فى سلا [٢] بجانب دور الصناعة الأخرى الموجودة فى طنجة [٣] وسبتة اللتي تعد صناعة السفن فيها الصناعة الأولى ، وقد ظل المرينيون يعتمدون عليها فى إمدادهم بالسفن حتى بعد بناء دار الصناعة فى سلا ، التى لم تكن تنتج إلا قطعًا قليلة من السفن البحرية قياسًا بسبتة [٤] ، وبلغ ذروة اهتمام المرينيين بالسفن فى عهد السلطان أبى الحسن المرينى ، فوصل عدد السفن فى عهده إلى ستمائة سفينة [٥] ، ولم يقف اهتمام أبى الحسن عند ذلك ، فعمل على إنشاء عدة محارس تبدأ من شواطئ أسفى على المحيط الأطلسى إلى المغرب الأوسط ، حتى إذا أشعل النيران فى أعلى واحدة منها ، توقد فى بقيتها ؛ لترى هذه النيران فى جميع المحارس على الساحل المغربى فى ليلة واحدة ، وكان هناك قائمون على المحارس ؛ لاستكشاف البحر والاستعداد لمواجهة أى غزو بحرى من الأعداء وإرشاد السفن التجارية [٦] ، كما وجد فى سبتة عدد من المحارس وصلت إلى ثمانية عشر محرسًا[٧].

وقد حاول السلطان أبو عنان فارس المرينى النهوض بالبحرية المرينية بعد غرق الأسطول فى عهد والده السلطان أبى الحسن المرينى [٨] ، إلا أنه فى أواخر عهد الدولة المرينية دب الضعف فيه ، فيتحدث ابن خلدون عن ذلك قائلاً " ثم تراجعت عن ذلك قوة المسلمين فى الأساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد البحر وانقطاع العوائد الأندلسية ، ورجع النصارى فيه إلى بينهم المعروف فى الدربة فيه والمرات عليه والبصر بأحواله وغلب ، وبقيت الرتبة لهذا العهد فى الدولة الغربية محفوظة والرسم فى معاناة الأساطيل بالإنشا والركوب معهودا

الوسيط (من ٤ هـ / ١٠ م إلى ١٠ هـ / ١٦ م) ، مجلة البحث العلمى ، الرباط ، ع ٤٥ ، ١٩٩٨، ص ٥٥ .

[١] ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ١٣١ .

[٢] السلاوى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٨ ، وانظر أيضًا عز الدين موسى : دراسات فى التاريخ الإسلامى ، دار الشروق ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٣ ، ص ٥٣ ؛ حمدى عبد المنعم : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

[٣] الإدريسى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥٢٩ .

[٤] مجهول : الحلل الموشية ، ص ١٥٨ ، المقرى : أزهار الرياض ، ج١ ، ص ٣٧ ، وانظر أيضًا محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص ٤٥ .

[٥] ابن خلدون : العبر، مج٧ ، ج١٣ ، ص ٢٣٦ ، وانظر أيضًا أحمد مختار العبادى والسيد عبد العزيز سالم : البحرية الإسلامية ، ج٤ ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٣ ، ص ٢٨٢ .

[٦] ابن مرزوق : المسند ، ص ٣٩٨ – ٣٩٩ ، وانظر أيضًا : سحر سالم : مدينة الرباط فى التاريخ الإسلامى منذ إنشائها حتى نهاية عصر بنى مرين ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٦ ، ص ١٦٠.

[٧] الأنصارى السبتى : المصدر السابق ، ص ٣٥ .

[٨] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٥١ .

، لما عساه أن تدعو إليه الحاجة من الأغراض السلطانية فى البلاد البحرية [الجهاد] فمن المشتهر بين أهل المغرب عن كثب الجدثان أنه لابد للمسلمين من الكرة على النصرانية وافتتاح ما وراء البحر من بلاد الفرنجة ، وأن ذلك يكون فى الأساطيل"(١) ، وهو ما كان له أثر سلبى فى ضياع العديد من الثغور البحرية للدولة المرينية .

وعلى الرغم من اهتمام المرينيين بالأسطول الحربى ، فقد أهملوا الأسطول التجارى(٢)، فلم فلم يرد أى حديث عن السفن التجارية ، فهل كان الأسطول الحربى ينقل البضائع التجارية ؟ فقد تحدث ابن الخطيب عن وصول غراب(٣) السلطان أبى عنان فارس القادم من الإسكندرية (٤) ، فهل كان أبو عنان فارس يمتلك هذا الغراب ؛ لكونه كان شريكًا فى إحدى الشركات التجارية مع تجار من ميورقة (٥) أم هل كان هذا الغراب إحدى قطع الأسطول المرينى ؟ الواقع أنه لم يرد أى توضيح عن ذلك ، خاصة أنه لا يوجد فروق بين السفن التجارية والسفن الحربية المستخدمة فى تلك الفترة(٦) .

وقد شاع فى تلك الفترة استئجار السفن الأجنبية، كسفن أراجون وجنوة مقابل مبلغ من المال للقيام بالرحلة ، وفور وصول السفينة للميناء المتفق عليه وتفريغ حمولتها من البضائع، يبحث ربان السفينة عن تجار آخرين؛ لاستئجارها والعودة بها إلى وطنهم أو خروجهم إلى ميناء آخر حسب رغبة التجار المستأجرين ، فبذلك أصبح ربان السفينة عنصرًا ثابتًا فى تلك الرحلات(٧) ، وكانت تكلفة استئجار السفينة شاملة نفقات صيانتها ورواتب طاقمها وغذاءهم ، كما كانت تختلف قيمة استئجار السفينة كل شهر على حسب حجمها ، كبيرة كانت أو صغيرة وعدد البحارة العاملين بها ، فالسفينة المتوسطة يعمل بها من ثمانين إلى مائة وعشرين جدافًا فى حين يصلون فى السفن الكبيرة إلى مائة وخمسين مجدفًا وبحارًا(٨)، ويكون إيجار السفينة الكبيرة فى الشهر أربعة آلاف وخمسمائة بيزنطة(٩)،

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٧٠ .
(٢) محمد القبلى : مراجعات ، ص ٥٠ .
(٣) **الغراب :** هى من أقدم السفن الحربية ، وكانت تسمى كذلك ؛ لأنها تشبه الغراب ، إذ كان القدماء يصنعون بعض سفنهم على أشكال الطيور ، فيجعلون رأس السفينة أو مقدمتها على شكل الغراب أو أى طير آخر نوعًا من التفاؤل [عبد الفتاح عبادة : السفن والأسطول الإسلامى وأنواعها ومعداتها فى الإسلام ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٩١٣ ، ص ٧] .
(٤) نفاضة الجراب ، ص ٢٣٥.
(5) Du Fourcq : Commerc du Maghreb , p. 168
(٦) محمد الشريف : الأسطول السبتى بين الجهاد والتجارة (القرن ١٢ م – القرن ١٤) ، مجلة البحث العلمى ، ع ٤٥ ، ١٩٩٨ ، ص ٣٢ .
(7) Du Foucq : L'Espagne , p. 55 .
(8) Du Foucq: Ibid , p 56 .

بيزنطة[١]، فى حين يكون إيجار السفن الصغيرة أقل من ذلك ، ففى عام٧٢٠هـ / ١٣٢٠م تم إيجار سفينة صغيرة من تاجر ميورقى لمدة ثمانية وخمسين يومًا يعمل فيها أربعة وأربعون مجدفًا بثلاثة آلاف بيزنطة[٢]، وفى عام ٧٠٢هـ /١٣٠١م استأجرت سفينة من ميورقة إلى سبتة ثم تونس لنقل أقمشة بأربعمائة دينار من الذهب ، ولكن لم يرد حجم هذه السفينة ولكن على ما يبدو أن حجمها كان صغير[٣]، وتزايدت ظاهرة استئجار السفن الأجنبية زيادة ملحوظة ، ففى عام (٧٠٠ أو ٧٠٢هـ /١٣٠٠م أو ١٣٠٢م) سافر تاجر مسلم من سبتة على سفينة ميورقية محملة بالبضائع إلى ميناء ميورقة [٤] .

ولم يقتصر استخدام السفن الأجنبية على الانتقال للدول الأجنبية ، بل استخدمت أيضًا للانتقال بين الموانئ المغربية ، ففى عام ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م نقلت حمولة قمح من ميناء أنفا إلى ميناء سبتة على سفينة ميورقية [٥] ، وفى العام نفسه نقلت سفينة ميورقية تجارًا من تونس متجهين إلى سواحل غرناطة ، وبعدها انتقلوا إلى سواحل دولة بنى مرين لكن لم يذكر اسم الميناء الذى رسو عليه ، ومن بعدها توجهوا نحو هنين [٦] ، كما استخدمت فى نقل ركب الحجيج المغربى الذى يصل إلى تونس عبر الطرق البرية ، ثم يستأنف رحلته نحو المشرق بالسفن ، كالسفينة الجنوية التى استقلها ركب الحجيج لنقلهم من تونس متجهة للأسكندرية ، وكانت أيضًا تحمل بضائع تمثلت فى حمولة زيت [٧] .

ونلاحظ حرص الدول الأجنبية على الحفاظ على حقوق رعاياها فى استئجار السفن التى تستأجر من التجار المغاربة ؛ لنقل بضائعهم ، ففى الاتفاقية التى أبرمت فى عهد السلطان أبى عنان فارس المرينى مع جمهورية بيزة (٧٥٩ ــ ١٣٥٨م) ، وفى البند الثانى عشر للاتفاقية نصت على أن تجرى عمليات التصدير والاستيراد للبضائع على السفن الأجنبية ، ولكن دون إكراه على استئجارها مع الاحتفاظ بحقوقهم كاملة [٨] .

---

[١] **بيزنطة :** عملة معروفة فى حوض البحر المتوسط ، منسوبة إلى بيزانسيو (القسطنطينية) حيث ضربت فيها لأول مرة فى القرن الحادى عشر ، وهى نوعان : ذهبية وفضية (عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسى من أقدم العصور إلى اليوم ، مج٧ ، عهد بنى مرين والوطاسيين ، مطابع فضالة ، المحمدية ، الدار البيضاء ، ١٩٩٦ ، ص ١٢٢ ، هامش (١) وكذلك :

Du Foucq : Ibid, p . 542 .

[2]Du Foucq, Ibid, p. 535.

[3]Du Fourcq : Commerc du Maghreb , p . 175.

[4] Du Foucq : Commerc du Maghreb , p . 174 .

[5]Du Foucq : Ibid , p . 176 .

[6]Du Foucq: Ibid p . 177 .

[7]Du Foucq : Ibid , p . 176 .

[٨] عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسى، ج٧، ص ١٧٧، مصطفى نشاط : ملاحظات حول المعاهدات التجارية المغربية فى العصر المرينى ، بحث ضمن أعمال ندوة التجارة فى علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ المغرب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثانى ، الدار البيضاء ، ق٢، من ٢١ إلى ٢٣ فبراير ١٩٨٩، ص ١٦٤ .

ولكن لماذا لجأ التجار المغاربة لاستئجار السفن الأجنبية ؟ ربما شاع أن السفن الإسلامية لم تكن بكفاءة السفن الأجنبية وعددها قليل ، ولم يكن هذا هو السبب الحقيقى ، إنما حقيقة الأمر هى رغبة التجار فى تحصيل الأموال وتكوين الثروات ، فالتاجر لا يطيق انتظار السفن الإسلامية ، فهو يستأجر أول سفينة متاحة أمامه ، بصرف النظر عن ديانة أصحاب السفينة، فهذا لايهمه [١] ، وبالإضافة إلى استئجاره السفن الأجنبية يعمل على التحايل على آراء بعض الفقهاء الذين أفتى بعدم المتاجرة مع الدول المسيحية التى تحارب الإسلام ؛ لأن هذه التجارة سوف تدر عليهم أرباحًا كثيرة يستخدمونها فى محاربة المسلمين فيما بعد [٢] ، كما يحاول بذلك تفادى القرصنة التى كانت تهاجم السفن الإسلامية [٣] .

أما عن ادعاء أن السفن الإسلامية غير قادرة على خوض عباب البحر ، فهذا غير صحيح ، وخير دليل على ذلك الأشارات الكثيرة عن السفن الإسلامية التى كانت تجوب البحر ، فى عام ٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م مرت سفينة إسلامية ، عليها أشخاص من سبتة [٤] ، ، وفى ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م أسرت السفن القطلانية سفينتين من سبتة [٥] ، وفى ٧٣١ / ١٣٣٠ وصلت السفن المرينية إلى سواحل غرناطة محملة بالبضائع [٦] ، كما استقل ابن بطوطة سفينة من تونس إلى سبتة يمتلكها تونسيون [٧] ، كما انتقل من جبل الفتح على جفن [٨] ، ثم إلى أصيلا حتى وصل إلى سبتة على سفينة يمتلكها تجار من أسفى [٩] ، كما استخدم البادسى القارب [١٠] فى الانتقال من بادس إلى سبتة [١١] وهذه دليل واضح على كفاءة السفن الاسلامية ، بالاضافة إلى ذلك الاسطول البحرى المرينى الذى خاض العديد من معارك الحربية البحرية [١٢] .

---

(1) Du Fourcq : commerc du Maghreb, p . 171

(٢) الونشريسى : المعيار المعرب ، ج١ ، ص ٤٣٦ .

(٣) محمد الشريف : الأسطول السبتى ، ص ٣٢ .

(4) Du Foucq: Ibid , p . 182 .

(5) Du Foucq : Ibid , p . 187

(6) Du Foucq : Ibid , p . 183 .

(٧) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٢٧ .

(٨) جفن : كلمة تطلق فى المغرب والأندلس على السفن عامة ، ورد استخدامها فى الأسطول المرينى . ابن الحاج النميرى : المصدر السابق ، ص ٧٦ وانظر أيضًا : درويش النخيلى : السفن الإسلامية على حروف المعجم ،مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٧٩ ، ص ٢٤ .

(٩) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٣١ وكذلك :

Du Foucq : Ibid, p . 183 .

(١٠) القارب : من توابع الأسطول البحرى ومأخوذ من الغراب ، يعمل على ربط السفن الكبيرة بالشاطئ ، وله أنواع (عبد الفتاح عبادة : المرجع السابق ، ص ٧) .

(١١) البادسى : المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

(١٢) رضوان البارودى : الحياة الحربية ، ص ٣١٥.

حول ملكية السفن : ترجع ملكية السفن إلى مجموعة من الأفراد يكونون شركة بينهم ؛ لبناء سفينة ويطلق عليهم اسم (Porcioners) ، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن تكلفة بناء السفينة ضخمة جدًا ، بالإضافة إلى أن التجار العاملين فى هذا النوع من التجارة يحاولون تقليل الخسائر على أنفسهم بذلك ، لأن التجارة البحرية مليئة بالمخاطر، فتقسم ملكية السفينة إلى تسعة أجزاء وأحيانًا تصل إلى ستة عشر جزءًا ، ويمكن للشخص الواحد أن يمتلك أكثر من جزء ، بالإضافة إلى أنه يمكنه أن يبيع نصيبيه ، إذا رغب فى ذلك (١) ، كالتاجر القطلانى الذى باع ربع سفينة إلى أبى طالب العزفى أمير سبتة عام (٧٠٢ هـ / ١٣٠٢م)(٢).

ولم تعطنا المصادر معلومات محددة حول ثمن السفينة ، وسوف نستنتج ذلك ، ففى عام ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م اشترى تجار من سبتة جزءًا من سفينة بمائة وخمسة وسبعين دينارًا من الذهب ، ولا ندرى بدقة مقدار هذه الأجزاء ، ولكن سوف نأخذ بالقياس ، ففى تونس ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م تم شراء ثلاثة أثمان من سفينة بسعر ألف دينار ، وفى ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م اشترى مجموعة من التجار القطلانيين سفينة بألف وسبعمائة وخمسين دينارًا ذهبًا ، ولا نعلم جنسية بائع السفينة ، ومعنى هذا أن السفينة كانت تباع فى الفترة ما بين [٦٧٩ هـ - ١٢٨٠ م / ٧٠٠ هـ - ١٣٠٠ م] بقيمة تتراوح ما بين خمسمائة دينار من الذهب إلى ألفين وخمسمائة دينار من الذهب (٣) .

ج- مخاطر الطرق البحرية :

أحاطت التجارة البحرية العديد من المخاطر ، وكانت القرصنة (٤) من أعظم النكبات التى منيت بها ، والحقيقة أنها كانت متبادلة بين الدول الإسلامية والدول المسيحية على حد سواء (٥) ؛ لذلك كان التجار يواجهون خطرًا كبيرًا فى رحلاتهم ، حيث يتكبدون خسائر ضخمة فى تجارتهم ، كما أنهم يتعرضون لخطر القتل أو الوقوع فى الأسر (٦) ، فيذكر ابن بطوطة عن تعرض السفينة التى استقلها من تونس عائدًا إلى بلاده لهجمات القرصنة (٧) ، ولم تقتصر أعمال القرصنة على الاستيلاء فقط على السفن التجارية ، بل هاجمت الثغور البحرية ونهبت الأهالى والسفن البحرية الراسية على سواحلها ، مثلما حدث

---

(1)Du Foucq : L'Espagne , p. 55 .
(2)Du Foucq : Ibid , p . 357 .
(3)Du Foucq : Ibid , p . 171 .
(٤) القرصان : هو المغامر فى عرض البحار يجوبه أيام السلم للقيام بأعمال اللصوصية من سرقة السفن التجارية المارة فى البحر وبيع من عليها عبيدًا ، وسمى هذا الفعل قرصنة نسبة إلى القرصان (زكى مبارك : المرجع السابق ، ص ٢٣) .
(٥) عبد العزيز بن عبد الله : البحرية المغربية والقرصنة ، مجلة تطوان المغربية ، عدد ٣ – ٤ ، ١٩٥٨ – ١٩٥٩ ، ص ٥٩ .
(٦) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ج١ ، ص ٢٢٣ .
(٧) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٢٧ .

فى هنين[١] والغارات التى منيت بها سبتة[٢] والعرائش[٣]، كما تعرضت أنفا للقرصنة فى ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ من قبل باشك لبون ناط وهو قرصان من بلنسية قام بالهجوم عليها واستولى على القمح منها [٤] .

وردًا على ذلك قامت بعض الثغور البحرية بقرصنة مضادة ؛ لحماية ثغورها وتجارتها البحرية [٥] ، مثلما فعل أهل بادس الذين هاجموا سفن النصارى وسواحلهم وسرقوها [٦] ، ومدينة سبتة التى مارست أعمال القرصنة بتوسع ، خاصة فى الفترات التى لم تكن فيها خاضعة للحكم المرينى ، وربما يرجع هذا إلى حدوث أزمة اقتصادية بها وتقلص نشاطها التجارى مع الدول الأجنبية [٧] ، وبسبب ذلك هاجمت الموانئ المنافسة لها ؛ لتخريبها كميناء أصيلة [٨] ، كما أنها هاجمت سفن ميورقة فى ميناء بجاية ، ونتيجة للهجمات المتكررة لسبتة على السفن الملاحية جهز ملك ميورقة عام (٧١٦ هـ / ١٣١٦م) أسطولاً بحريًا ؛ لحماية سفنها [٩] ، وكانت قرصنة سبتة قد ألحقت الأذى بالعديد من الدول الأجنبية ، كأراجون ، ففى عام ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م أرسل أبو زكريا الحفصى رسالة إلى خايمى الثانى ملك أراجون يخبره فيها أنه أرسل رسالة إلى سلطان المغرب (السلطان عثمان بن يعقوب) فى شأن مالقة " من أذية أهل سبتة بوصول قطعهم " إلى مياه أفريقية وإفسادهم لمراسيها وأخذهم السفن الأجنبية الراسية فى موانيهم ، ويخبره أن " ملك المغرب أعزه الله عند وصول كتابنا إليه يقطع عنا هذا الضرر بأن يأمر أهل سبتة أن لا يقربوا بلادنا ولا يصلوا إلى جهتنا بوجه من الأوجه " [١٠] .

ويرى بعض المؤرخين أن احتلال البرتغاليين لمدينة سبتة راجع إلى إرادتهم فى التخلص من القرصنة التى مورست فى البحر المتوسط فى ذلك الوقت ، ففى الفترة الأخيرة قبيل احتلالها ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م ، أشاعت سبتة الخوف فى البحر المتوسط ، حيث ألزمت

---

[١] عبد الباسط بن خليل : المصدر السابق ، ص ٤٣ .

[2] Du Fourcq : Commerc du Maghreb , p . 170.

[٣] السلاوى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٨٤ .

[٤] عمر سعيدان : العلاقات الإسبانية الأندلسية فى القرن الرابع عشر (م) وسقوط غرناطة ، دراسة وأعداد وثائق (رسائل ومعاهدات) وتحليل ، منشورات سعيدان ، تونس ، ٢٠٠٣ ، ج١ ، ص ٣٤٦ .

[٥] رجاء العدوى عدونى : الجهاد البحرى المشترك بين أفريقية والمغرب الأقصى بين القرن ١٣ م – والقرن ١٦ م ، مجلة البحث العلمى ، ع ٤٥ ، ١٩٩٨ ، ص ٤٧

[٦] البادسى : المصدر السابق ، ص ٧٤ – ٧٥ .

[٧] محمد الشريف : الأسطول السبتى ، ص ٣٨ .

[8] Du Fourcq : Commerc du Maghreb , p . 171 .

[9] Du Fourcq : Ibid , p .177

[10] Alarcon y linares : Los documentos , p. 300 .

أصحاب السفن التى تمر عبر جبل طارق أن ترسو في ميناء سبتة أولاً ، وإلا يتم تتبعها وأسرها [١] .

كما كانت دولة بنى مرين تسعى دائمًا للحفاظ على حقوق مواطنيها وحمايتهم من هجمات القرصنة ، فنجد السلطان أبا سعيد عثمان قد افتدى أشخاصًا من الأسر ، مثل أبى عبد الله بن أحمد بن أبى الشرق الحسينى السبتى ، وكان قد أسر فى البحر المتوسط ، حيث دفع السلطان فدية تقدر بثلاثة آلاف دينار ذهبًا [٢] ، وكما رصد من خلال المراسلات بين بنى مرين والدول الأجنبية الحديث عن القرصنة ، ففى إحدى مراسلات السلطان أبى الحسن المرينى لبيير الرابع لملك أراجون (٧٤٦ هـ / ١٣٤٦ م) ، نراه يتحدث فيها عن تعرض قرقورة [٣] ، المرينية للقرصنة وألزم ملك أراجون باسترجاعها [٤] ، ولم يقتصر دور السلاطين عند ذلك فقط ، فنلاحظ أن السلطان أبا عنان فارس أسهم فى افتداء أسرى مدينة طرابلس الذين تعرضوا للقرصنة من قبل جنوه [٥] ، كما عمل على تخصيص وقف لفداء الأسرى [٦] ، وهذا يدل على شيوع أعمال القرصنة فى ذلك الوقت .

وقد عملت أيضًا دولة بنى مرين على تحسين علاقتها مع الدول الأجنبية التى تمارس القرصنة ، حتى تتجنب هجماتهم ، ففى عام ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م جنحت سفينة إلى الشواطئ المغربية من أراجون وكانت فى طريقها إلى ميورقة ، ولكن الرياح والأمواج غيرت وجهة السفينة ، وقبض على التاجر وخمسة من البحارة ، وبعد التحقيق معهم قررت السلطات المرينية الإفراج عنهم ، وسرعان ما وصلت الأخبار عن أسر أربعة من المرينيين من قبل قرصنة ميورقة وبيزة ، وأطلقوا سراح ثلاثة منهم بعد دفع فدية بلغت مائة وسبعين دينارًا من الذهب ، وباعوا الرابع فى بيزة ، وأمام هذا رفضت الدولة المرينية إخلاء سبيل أسرى بحوزتهم إلا بعد استرجاع الأربعة أشخاص ، بالإضافة إلى رد الفدية التى دفعت ، وأمام هذا أصدر ملك أراجون أوامره بالقبض على هؤلاء القراصنة ومصادرة أموالهم والبحث عن الشخص الرابع الذى بيع عبدًا ورده إلى بلاده ، بالإضافة إلى معاقبة كل المذنبين المشتركين فى تلك الحادثة ، وشددوا على عدم التعرض إلى رعايا ليس بينه وبينهم

---

[١] محمد الشريف : الأسطول السبتى ، ص ٣٩

[٢] ابن مرزوق : المسند ، ص ١٤٩ – ١٥٠ ، ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا ، وعلق عليه محمد بن تاويت الطنجى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ٨١.

[٣] قرقورة : هى من السفن العظيمة التى تحمل الزاد والكراع وقيل أن اصل اسمها مشتق من كلمة كلمة الأسبانية carraca ، ومنها ماهو بثلاث طبقات ولها ثلاث قلاع تحمى راكبها فى الريح العاصفة (عبد الفتاح عباده : المرجع السابق ، ص٦ ، رضوان البارودى : الحياة الحربية ، ص٣٠١)

[4] Alarcon y linares : Los documentos , p . 122 .

[٥] عبد العزيز عبد الله : البحرية المغربية والقرصنة ، ص ٦٠ .

[٦] ابن الحاج النميرى : المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

أى معاهدات وكما قال " فمن غير المسموح الاعتداء على رعايا ملك ليس فى حرب معنا"[١] .

وملاحظ فى هذه الحادثة موقف ملك أراجون السلمى تجاه الحادثة ، حيث كان مباحًا ممارسة القرصنة على الدول التى لم ترتبط بأى معاهدة سلام ، ولكننا يمكن أن نفسر ذلك الموقف بأنه ما هو إلا رد على الموقف السلمى للسلطان المرينى الذى اتخذه فى البداية تجاه التاجر الأراجونى ، ولا شك أن كل هذا يسفر عن تحسين العلاقات وتنشيط حركة التجارة بين الدولتين .

وكان سوء الأحوال الجوية من المخاطر التى كانت تعرقل الرحلات البحرية ، فهبوب الرياح كان يؤدى إلى انحراف السفينة عن مسارها وتأخير الرحلة[٢] ، أو عن غرقها ، كغرق الأسطول البحرى للسلطان أبى الحسن المرينى فى عام (٧٥٠ هـ /١٣٥١م) والذى مات فيه خلق كثير[٣] ، كما ذكرت الروايات عن غرق سفينة مرينية بجوار ميناء الإسكندرية عام ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م[٤] .

ثانيًا : العلاقات التجارية المرينية الخارجية

لم تتوقف حركة التجارة الخارجية على انتظار قدوم التجار إلى دولة بنى مرين ، وقد تميز التجار المرينيون بالجرأة التى ساعدتهم على التجول فى العديد من البلدان ، سواء أكانت قريبة أم بعيدة لا يخشون مخاطر الطرقات ولا توقفهم حدود الدول ، لذلك حرصت الدولة المرينية على مد جسور الصداقة والود مع جميع الدول ، وهو ما كان له أثر إيجابى على أحوال التجارة الخارجية ، فسلكت الدولة اتجاهين لتحقيق ذلك ، إما تبادل السفارات والهدايا أو عقد الاتفاقيات ، والملاحظ أن دولة بنى مرين استخدمت أسلوب السفارات والهدايا مع الدول التى لم تربطها بها أى منازعات ؛ لذلك لجأت لهذا الأسلوب مع مصر والسودان ، ويعلل د / مصطفى نشاط ذلك بأن المغاربة شأنهم فى ذلك شأن باقى المسلمين لم يعدوا أنفسهم غرباء عن البلاد الإسلامية بحكم الشعور الذى يتعمق لديهم بالانتماء إلى

---

(1) Du Fourcq : Commerc du Maghreb , pp . 186 – 187 .

(٢) البادسى : المصدر السابق ، ص ٦٥ ، ابن الغرينى : عنوان الدارية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية ، تحقيق رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، ١٩٧٠ ، ص ٢٤٠ .

(٣) الونشريسى : وفيات الونشريسى ، نشر ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات ، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ،١٩٧٦ ،ص ١١٧ ، السلاوى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٦١ ، ابن مخلوف : شجرة النور الذكية فى طبقات المالكية ، تحقيق عبد المجيد خيالى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣ ، ج١ ، ص ٣١٨ .

(٤) الونشريسى : المعيار المعرب ، ج٤ ، ٤٩١ ، وانظر أيضًا محمد الصمدى : قضايا البحر فى الغرب الإسلامى من خلال " المعيار " للونشريسى ، مجلة البحث العلمى ، ع ٤٦ ، ١٩٩٩ ، ص ١٤٣ .

الدار نفسها أى الوحدة العربية الإسلامية [1] ، أما أسلوب عقد الاتفاقيات فاستخدمته مع الدول الأجنبية .

أ-علاقات المرينيين التجارية مع الأجانب :

تواصلت دولة بنى مرين مع الدول الأجنبية عن طريق الاتفاقيات والمراسلات ، ويظهر ذلك من إشارات أحوال التجارة المتبادلة بينها وكيفية استمرارها وحفظ حقوق تجار الدولتين وحمايتهم من القرصنة التى كانت منتشرة فى ذلك الوقت ، **وتمثلت هذه العلاقات مع الدول الآتية :**

١- أراجون :

تعد مملكة أراجون من أكثر الدول الأجنبية التى حرصت على التواصل مع المغرب سياسيًا وتجاريًا عامة وبنى مرين خاصة ، وخاصة بعد نجاحها فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى فى السيطرة على مجال واسع من غرب البحر المتوسط ، بما فى ذلك جزر البليار وصقلية ، وهو ما جعلها أهم قوة عسكرية وتجارية بالمنطقة بعد الجمهوريات البحرية الإيطالية ، حتى أطلق عليها " الإمبريالية أراجونية " [2] ؛ لذا نجدها قد وقعت
العديد من الاتفاقيات مع بنى مرين ؛ لتأمين مصالحها التجارية [3] ومراقبة خطوط التجارة الرابطة بين الجنوب (السودان الغربى مصدر الذهب) وغرب البحر المتوسط ، بالإضافة إلى أن دولة بنى مرين تتميز بوفرة الحبوب (القمح – الشعير) التى كانت أراجون بحاجة ماسة له [4] ، كما كانت الأرباح الطائلة التى تجنيها أراجون من وراء تجارتها مع موانئ المغرب عاملاً جاذبًا مهمًا ؛ لذلك نجد أن أعداد السفن أراجونية التى أبحرت من موانيها متجهة إلى المغرب بلغت ثلاثًا وعشرين سفينة فى حين أبحرت ثلاث عشرة سفينة من موانيها إلى أماكن أخرى فى عام ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م [5]،

---

(١) ملاحظات حول المعاهدات التجارية المغربية فى العصر المرينى الأول ، ص ١٥٧ .

(٢) برنشفيك : المرجع السابق ، ج١ ، ص ٤٣٢ .

(٣) ماريانو أربياس بالاو : بنو مرين فى الاتفاقات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، مجلة تطوان ، ع٨ ، الرباط ، ١٩٦٣ ، ص ١٩٣ – ١٩٧ .

(٤) العمرى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٩٠ ، وانظر أيضًا مصطفى نشاط : جوانب من المسكوت عنه ، ص ٢٠١ .

(٥) كريستين مازولى جوينتار : مدينة عظيمة لملك عظيم مدن شرقية وغربية وطرق تجارية زمن ابن خلدون ، ترجمة إبراهيم سعيد فهيم ، من خلال كتاب ابن خلدون البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر قيام وسقوط وإمبراطوريات ، ندوة عقدتها مكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٠٢ ، احلام حسن مصطفى النقيب و مزاحم علاوى الشاهرى : العلاقات الساسية والأقتصادية بين غرناطة وأراجون (٦٩٥ -٧٢٥ هـ\١٢٩٦ – ١٣٢٦ م) دراسة في وثائق قصر التاج ببر**شلونة** ، بحث نشر على الموقع الالكترونى :

وخاصة مع ميناء سبتة التى عقدت اتفاقية مع أبى القاسم العزفى [١] ، فى ٦٦٧ هـ / ١٢٦٩م ، حتى يتمكن رعاياها من مزاولة التجارة بكل حرية [٢] ، واتبعت سياسة " شراء السلام " ، وذلك من خلال تقديمها المساعدات العسكرية [تأجير السفن والجنود] لبنى مرين أثناء حروبها [٣] ، وبالطبع كانت تجنى أراجون من وراء ذلك أموالاً ضخمة ، ويعد هذا نوعًا من التجارة ، كالاتفاقية التى أبرمتها مع السلطان أبى يوسف يعقوب فى عام (٦٧٢ هـ / ١٢٧٤ م) ، وتتضمن تقديم أراجون لبنى مرين السفن والجنود ؛ لإخضاع مدينة سبتة تحت حكم بنى مرين[٤] .

ونتيجة للعلاقات الودية بين الدولتين نجد فى عام ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م إذنا خاصًا بالمرور والإعفاء من سائر الحقوق الديوانية والمكس ، ومنح هذا الإذن من لدن ملك أراجون بيير الثالث إلى حاكم سلا أبى عبدالله بن محمد ابن بريدى [٥] ، وفى عام ٧٠٩هـ/ ١١٠٩ هـ عقد السلطان أبو الربيع سليمان اتفاقية مع أراجون على غرار الاتفاقية سالفة الذكر ، وفيها تقدم أراجون السفن والجنود لبنى مرين ؛ لاستعادة سبتة من أيدى غرناطة ، كما تضمنت الاتفاقية طلب لأراجون ينص على " ترك ثلث للتجار فى جميع مالنا من البلاد وفى إعطاء الزرع الذى طلب منا " [٦] .

---

http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad16partie10.htm

(١) أبو القاسم العزفى : هو أبو القاسم محمد بن القاضى المحدث أبى العباس أحمد بن محمد بن الحسين بن الفقيه الإمام علي بن محمد بن سليمان بن محمد الشهير بابن أبى عزفة اللخمى ، ينتهى نسبهم إلى قابوس بن النعمان بن المنذر ، أعلن أبو القاسم العزفى إمارته على سبتة واستقلاله بها فى ٦٤٧هـ / ١٢٤٨ م أيام الخليفة عمر المرتضى الموحدى (٦٤٧ - ٦٦٥هـ / ١٢٤٩ – ١٢٦٦م) ، ثم قام بضم طنجة حيث تقدم أهلها بطاعتهم إليه عندما رأوا ضعف وتدهور الموحدين وظهور قوة المرينيين ، كما ضم أبو القاسم العزفى إلى إمارته مدينة أصيلا حيث دخلتها قواته البحرية عام ٦٦٣ هـ / ١٢٦٤ م ، وظل يحكم سبتة حتى بعد دخول المرينيين فى عام ٦٧٢ هـ /١٢٧٤ م ، أى لمدة ثلاثين عام حتى وفاته عام ٦٧٧هـ / ١٢٧٨ م (ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٣ ، ص١١ ، هامش (٣) وانظر أيضًا نهلة شهاب أحمد : إمارة العزفيين فى سبتة (٦٤٧ – ٧٢٨ هـ / ١٢٣٩ – ١٣٢٧ م) ، بحث نشر على الموقع الالكترونى :
http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad13partie10.htm

(٢) محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص ٩٩ .

(3) Du Fourcq : L' Espagne , p. 181 .

(٤) رضوان البارودى : الحياة الحربية ، ص ١٥٧ وكذلك :
Du Fourcq : Ibid , p . 166 – 167

(٥) عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسى ، ج٧ ، ص ١٢٣ .

(6) Alarcon y Linares : Los documentos , p . 165 – 166 .

ونلاحظ أنه فى فترة السلطان أبى سعيد عثمان لم تمد أراجون دولة بنى مرين بأى إمدادات عسكرية ، بل عملت على سحب قوتها من عندها ؛ لاحتياجها فى حربها ضد سردينيا ، إلا أن هذا الأمر لم يعكر صفو العلاقات بينهما ، واستمر التعاون التجارى بين الدولتين [١] ، وعقدت اتفاقية سلام لمدة أربع سنوات فى عام (٧٣٤ هـ / ١٣٣٤ م) بينهما ، وانضم لهذه الاتفاقية غرناطة وقشتالة ، وبموجب هذه الاتفاقية منح التجار حرية الانتقال فى هذه الدول وتأمين أرواحهم وتجارتهم [٢] ، ثم عقد السلطان أبو الحسن المرينى مع أراجون اتفاقية لمدة عشرة أعوام ضمت أيضًا غرناطة وقشتالة فى عام (٧٤٥ هـ / ١٣٤٤م) [٣] ، وبموجب هذه الاتفاقية يلتزم جميع أطرافها بعدم ممارسة أعمال القرصنة ضد أى دولة ، ولكن فى عام ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م نجد رسالة قد أرسلها السلطان أبو الحسن المرينى إلى الملك بيير الرابع ملك أراجون حول انتقاد الاتفاقية من خلال أعمال القرصنة التى مورست ضد سفنه ، ويذكر السلطان أبو الحسن ملك أراجون أنه ملتزم بالاتفاقية بقوله " اعلم أن فى بلادنا الساحلية من تجار النصارى القطلانيين من يقنى فى المكافأة بأضعاف تلك القرقورة ، ولكننا وقعنا عنهم هذا الأمر وفاء بعهد الصلح " ، فألزم السلطان أبو الحسن ملك أراجون برد القرقورة ومن كان عليها [٤] .

ثم تجددت هذه المعاهدة فى عهد السلطان أبى عنان فارس بين أراجون وقشتالة وغرناطة ، لمدة خمس سنوات ، أكدت بنودها حرية تنقل التجار فى سائر موانئ أراجون وقشتالة وغرناطة وتأمين حمايتهم وحفظ أموالهم وتقديم العون لهم إذا ما تعرضت سفنهم للعواصف البحرية ، ونتج عنها تعويق الرحلات البحرية ، ويبدو أن الأمر لم يخل من بعض أعمال القرصنة ، ولكن كان السلطان أبو عنان يتصدى لتلك الأفعال [٥] ، إلا أن العلاقات فى عهده عامة تنم عن المودة والصداقة حتى إن أبا عنان فارس قد أرسل هدايا لملك أراجون تعبيرًا منه عن ذلك [٦] .

---

(1) Alarcon y Linares : Ibid, p. 169 .

(٢) محمد كمال شبانة : يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، مكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٤ ، ص ١٤٦ ، محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين هو العصر الرابع من كتاب دولة الإسلام فى الأندلس ، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٤٩ ، ص ٩٦ .

(3) Alarcon y Linares : Ibid , p. 191 – 192 .

(4) Alarcon y Linares : Los documentos , p. 197 .

(٥) ابن الحاج النميرى : فيض العباب ، ص ٧٨ وكذلك :
AlarconyLinares : Ibid , p .202 .

(٦) السلاوى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٩٢ .

ونتيجة لاستمرار العلاقات الودية بين أراجون وبنى مرين فى عهد السلطان أبى عنان فارس توسطت زوجة ملك أراجون دونيا لينور لأخيها صاحب صقلية ؛ لعقداتفاقية سلام ، فعقد السلطان أبو عنان فارس اتفاقية سلام مع صاحب صقلية فى عام (٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م) [١] .

واستمرت العلاقات التجارية بين أراجون وبنى مرين حتى بعد وفاة السلطان أبى عنان فارس على نهج الاتفاقية التى كانت معقودة ، بدليل الرسالة التى أرسلها السلطان أبو سالم إبراهيم بن أبى الحسن فى عام (٧٦١ هـ / ١٣٦٠م) بسبب حادث قرصنة ضد السفينة المغربية قد ردها ملك أراجون [٢] كما عقدت اتفاقية سلام وتجارة بين أراجون وغرناطة واشتملت هذة الاتفاقية المرينيين فى عهد السلطان أبو فارس عبد العزيز (٧٦٨ - ٧٧٤ هـ \ ١٣٦٦ - ١٣٧٢ م) الذى فوض السلطان محمد الخامس سلطان غرناطة عام (٧٦٣ – ٧٩٣ هـ / ١٣٦١ - ١٣٩٠ م) لإبرامها [٣] ، وكانت أخر المعاهدت سلام والتجارة التى أبرمت بين المرينيين وأراجون وقشتالة وغرناطة فى عام ٨١٦هـ/١٤١٣م[٤]، وعلى الرغم من الامتيازات تلك إلا أثناء التوتر السياسى تسوء حركة التجارة ، مثلما حدث أثناء فترات اضطرابات التى حدثت مع مملكة أراجون ، التى طلبت من رعاياها مغادرة مراكش [٥] .

<u>٢- مملكة قشتالة :</u>

الملاحظ فى علاقة قشتالة ببنى مرين أنها اتخذت شكلاً عدائيًا مستمرًا ، بعكس مملكة أراجون ؛ لذلك لم تكن قشتالة مؤهلة لإقامة علاقات تجارية مع المرينيين باستمرار ، باستثناء بعض الاتفاقيات ، كالتى عقدت فى عام (٦٨٢ هـ / ١٢٨٢ م) فى عهد يعقوب بن عبد الحق بين قشتالة وغرناطة [٦] لتدعيم العلاقات بينهم .

وفى عام (٦٨٥ هـ / ١٢٨٥ م) عقدت اتفاقية بين السلطان يعقوب بن عبدالحق وقشتالة، تنص على حرية التجارة للمسلمين فى بيعهم وشرائهم بأراضيها ، فضلاً عن رفع الضريبة عنهم ، وعدم تعرض سفنهم لأعمال القرصنة [٧] ، وبعد وفاة يعقوب بن عبد الحق الحق جدد ابنه أبى يوسف يعقوب الاتفاقية فى عام (٦٩٠ هـ / ١٢٩٠ م) ، إلا أن قشتالة

---

(١) ابن الحاج النميرى : المصدر السابق ، ص ٧٨ .
(2) Alarcon y Linares : Ibid. p. 225 .
(٣)ماريانو أربياس بالاو : المرجع السابق ، ص١٩٧ .
(٤) ماريانو أربياس بالاو : المرجع السابق ، ص ١٩٧ ، محمد عيسى الحريرى : المرجع السابق ، ، ص ٢٤٠ .
(5) Du Fourcq : L'Espagne , p. 222 .
(٦) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٣٣٨ .
(٧) ابن خلدون : العبر ، مج ٧ ، ج١٣ ، ص ٤٣٣ ، وانظر أيضًا شارل أندرى جوليان : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٢٢٣ .

انتقدتها [١] بالأضافة إلى الاتفاقيات اخرى التى عقدتها قشتالة مع بنى مرين وأراجون وقد أشرنا إليها سابقًا .

٣- فرنسا :

شهدت علاقات فرنسا بالمغرب المرينى تراجعًا ملحوظًا ، بعكس ما كانت عليه فى عهد الموحدين الذى شهد تردد العديد من التجار الفرنسيين على الموانئ المغربية ، وخاصة مدينة سبتة [٢] ، وربما يرجع هذا إلى اهتمام ملك فرنسا شارل دانجو بالأسطول الحربى والعمليات العسكرية على حساب الأسطول التجارى وهو ما أضعف تجارة فرنسا ، بالإضافة إلى الحروب الصليبية التى وجهت نحو المشرق ، ومنها التى كانت على تونس (الحملة لويس التاسع) [٣] ، غير أنه قد نشطت حركة التجارة الفرنسية مرة أخرى مع المغرب بعد الاتفاقية التى عقدت مع السلطان المستنصر فى (٦٦٩ هـ / ١٢٧٠ م) وأتت هذه الاتفاقية بثمارها على ميناء بجاية وتونس على حساب ميناء سبتة [٤] ، ولكن توجد الإشارات فى عهد بنى مرين تدل على وجود العلاقات التجارية بينهما ، غير أنها ربما لم تكن قوية كسابق عهدها ، ومن تلك الإشارات الرسالة التى أرسلها الملك شارل السابع ملك فرنسا إلى السلطان عبد الحق بن أبى سعيد فى (٨٦٠ هـ / ١٤٥٥ م) يطلب منه فيها تجديد العلاقات التجارية بينهما ومساعدة التجار ويضمن لهم السلام والأمان على أنفسهم وأموالهم [٥] .

٤- الجمهوريات الإيطالية :

حرصت المدن الإيطالية على الوجود فى المغرب ، بل تنافست فيما بينها إلى حد أن هذه المدن مارست أعمال القرصنة بعضها ضد بعض ؛ لإعاقة تجارة المدن الأخرى[٦].
الأخرى[٦].

- **بيزة :**

فعقدت بيزة مع السلطان أبى عنان المرينى فى (٧٥٩ هـ / ١٣٥٨ م) اتفاقية تجارية تضمن حفظ حقوق التجار والرعايا الأجانب ، حتى إن توفى أحد التجار فى أى بلد منهم،

---

[١] السلاوى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤١٠ .

(2) Mas – Latrie L. de : Traites de paix et commerce concernant les relations des chretins avec les Arabes de L'Afrique septen trionale au Moyen – age , Paris , 1866 , p. 203

[٣] مصطفى نشاط : ملاحظات حول المعاهدات التجارية المرينية ، ص ١٥٩ ، جمال أحمد طه : دراسات فى التاريخ الاقتصادى ، ص ٢٦ .

[٤] جمال أحمد طه : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

[٥] عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسى ، ج٧ ، ص ١٩٣ .

[٦] سلفاتورى بونو : العلاقات التجارية بين البلدان المغرب وإيطاليا فى العصر الوسيط ، ترجمة عمر محمد البارونى ، مجلة البحوث التاريخية ، ع ٢٤ ، السنة الثامنة ، ليبيا ، ١٩٨٦ ، ص ٣٢٣ – ٣٢٤ .

ترد أمواله إلى وطنه ، كما تضمنت مساعدة التجار إذا تعرضوا لسوء الأحوال الجوية البحرية ، ويحاكم التجار النصارى أمام قنصلهم ، وإذا حدث أى خلاف ، لا يؤثر على المعاهدة فهى مستمرة [١] ومن الواضح أن التجارة استمرت بينهما ، ففى ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣م استئجرت سفينة للتجارة من بيزة ؛ لنقل الصوف وبضائع أخرى [٢] .

- **جنوة :**

غلبت عليها طموحاتها التجارية على طموحاتها العسكرية فى علاقتها بدول المغرب ، بعكس الأراجون والقشتالة اللتين ارتبطت علاقاتهما التجارية بالعمل العسكرى فى أغلب الأحيان ؛ وهذا يتضح من خلال حجم استثماراتها التجارية التى بلغت فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى، بينهما وبين موانى سبتة وبجاية وتونس التى بلغت نسبة ٩٨ % من استثماراتها الخارجية ، واحتلت سبتة وحدها فى حجم تبادلاتها هذه ٣٧.٥ % ، وتقدر هذه الاستثمارات بخمسة وأربعين ألفًا ليرة [٣] ، لذلك حرص الجنويون على توطيد علاقاتهم مع المرينيين ، فأرسل ملكهم وفدًا للسلطان أبى يوسف يعقوب فى عام [٦٩١ هـ / ١٢٩٢ م] بهدية على شكل شجرة مطعمة بالذهب الخالص ؛ لتدعيم العلاقات بينهما [٤] ، كما عقدت اتفاقية سلام وتجارة فى عهد السلطان أبى عنان فارس ، تنص على إيقاف عمليات القرصنة والاعتداءات التى تشنها السفن الجنوية على السواحل المرينية ، فضلاً عن تأكيدها لاستمرار التبادل التجارى بين الطرفين ، ولم تحدد مدة هذه الاتفاقية [٥] .

- **البندقية :**

كانت سفن البندقية دائمة الرسو على الموانئ المرينية ، خاصة ميناء غساسة ، حيث يعقد تجارها صفقات تجارية مع أهل فاس [٦] ، وكذلك ميناء هنين الذى يأتون إليه كل عام ؛ ليعقدوا الاتفاقيات التجارية مع تجار تلمسان فيه [٧] ، أما ميناء بادس فهم يقصدونه فى العام مرتين [٨] ، كما عثر على وثيقة ترجع إلى عهد السلطان أبى سعيد عثمان من البندقية تحتوى على كشف به أثمان الملح المشترى من الموانئ المغربية : سوسة

---

[١] نصوص المعاهدة بالتفاصيل انظر عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسى ، ص ١٧٦ – ١٧٧ – ١٧٨ وكذلك :

Mas - Latrie: Traites de paix et commerce p 66 – 69

[٢] عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسى ، ج٧ ، ص ١٧٣ .

[٣] محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص ١١٩ .

[٤] ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٣٨٢ .

[٥] ابن الحاج النميرى : فيض العباب ، ص ٧٤ – ٧٥ .

[٦] الوزان : المصدر السابق ، ص ٣٤٥ .

[٧] الوزان : المصدر نفسه ، ص ٣٨٦ .

[٨] الوزان : نفسه ، ص ٣٢٩ .

– طنجة – أصيلا والعرائش – المعمورة – سلا – أنفا – أزمور – أسفى – وهران – هنين – بونة – بجاية [(١)] .

- البرتغال :

نشط التجار البرتغاليون تجاه الموانئ المرينية ، فكانوا يرسون عليها كل عام ، كسبتة وأنفا [(٢)] ، ودعموا ذلك سياسيًا ، حيث أرسلوا وفدًا إلى السلطان أبى يوسف يعقوب فى عام (٦٩٢ هـ / ١٢٩١ م) لتوطيد العلاقات بينهم [(٣)] ، وفى عهد السلطان أبى عنان فارس عقدت اتفاقية سلام مع ملك البرتغال [(٤)] لتدعيم العلاقات بين الدولتين .

- ميورقة :

وفى إطار توسيع الدولة المرينية لعلاقاتها الخارجية ، عقدت اتفاقية تجارة مع ميورقة لمدة عشر سنوات فى عهد السلطان ابى حسن المرينى فى (٧٣٩ هـ / ١٣٣٩م)، وتنص على تأمين التجار على أموالهم وأنفسهم وسفنهم ومنع أعمال القرصنة ضدهم ومساعدتهم فى الأحوال السيئة التى يمكن أن يتعرضوا لها ، ولكن الملاحظ من هذه الاتفاقية أنها لم تسمح لميورقة بتجارة بعض البضائع حسبما ورد فى الاتفاقية ونص ذلك : " لا يحمل النصارى فى بلاد المسلمين زرعًا ولا سلاحًا ولا خيلاً ولا جلدًا مملوحا ولا مدبوغًا من البقرى والمعزى وما عدا ذلك من التجارات فهو لهم مباح " [(٥)] .

ب - العلاقات التجارية المرينية السودانية (مالى) :

بدأت العلاقات بين المغرب والسودان منذ القدم ، إذ بدأ الاتصال الدبلوماسى بينهما منذ العهد المرابطى ، فيذكر أن ملك غانة أرسل رسالة إلى يوسف بن تاشفين ولقبه فيها بـ" أمير أغمات " ، وربما كان ذلك قبل بناء مدينة مراكش ، بالإضافة إلى أهمية مدينة أغمات التجارية ، حيث إنها لعبت دورًا مهمًا فى التجارة الصحراوية فى تلك الفترة [(٦)] .

وفى عهد الدولة الموحدية تراجعت تجارة المغرب مع السودان بعض الشئ ، ويرجع ذلك إلى عدة أمور ، منها : سوء معاملة ملوك غانة للتجار المغاربة وعرقلة مصالحهم التجارية ، وهو ما أحدث أزمة سياسية بين الدولتين ؛ لذلك رفض الخليفة المنصور الموحدى هدية كان قد أرسلها ملك غانة له ، وهى فيل ، تعبيرًا منه عن غضبه من سوء

---

(١) عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسى ، ج٧ ، ص ١٧٤ .
(٢) ابن مرزوق : المسند ، ص ٤٦١ ، الوزان : المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .
(٣) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٣٨٣ .
(٤) ابن الحاج النميرى : فيض العباب ، ص ٧١ ، وانظر أيضًا على حامد الماجى : المرجع السابق، ص ١٣٨ .
(٥) عبد الهادى التازى : المرجع السابق ، ج٧ ، ص ١٩٦ .
(٦) مجهول : الاستبصار ، ص ٢١٩ ، انظر أيضًا : أحمد شكرى : الإسلام والمجتمع السودانى ، إمبراطورية مالى (١٢٣٠ – ١٤٣٠ م) ، المجمع الثقافى ، أبو ظبى ، ١٩٩٩ م ، ص ٢٦٠ .

معاملتهم للتجار المغاربة (١) ، ويبدو أن هذه الأزمة استمرت حتى أن أرسل أمير سجلماسة أبو ربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن رسالة (٢) ، حينما احتجز ملك غانة تجارًا مغاربة (٣) يهدده بإعاقة تجارة السودانيين فى المغرب وسوء معاملتهم (٤) ، ومن ضمن الأمور التى أدت إلى تراجع التجارة بينهما أيضًا كثرةٍ الاضطرابات بسبب الخارجين على الدولة الموحدية ، وهو ما جعل من الصحراء ملاذًا لهم ، فأدى ذلك لكثرة حوادث قطع الطرق التجارية بين سجلماسة وغانة ونهب القوافل التجارية (٥) ، إلا أن الأمير أبا ربيع سليمان عمل على تخطى هذه المشكلة وإعادة الأمن للطريق بين سجلماسة وغانة ، وذلك من خلال القيام بحملات لتطهير الطريق من قطّاع الطرق وقطع رؤوسهم جزاء اعتراضهم سبل القوافل التجارية (٦) ، وهذا دليل على ارتباط الأمن بالتجارة .

وبلغت العلاقات المغربية السودانية ذروة نجاحها فى عهد دولة بنى مرين ونظير السودان فى ذلك مملكة مالى (٧) ، كما زاد حجم التبادل التجارى بينهما (٨) ، خاصة فى عهد منسا موسى الذى عمل على مد جسور الود مع جيرانه ، فحينما قرر أداء فريضة الحج أرسل برسالة للسلطان المرينى أبى سعيد عثمان بن يعقوب يخبره بأن ركب الحجيج سوف

---

(١) إبراهيم حركات : طبيعة العلاقات المغربية مع إفريقيا فى العصر الوسيط ، مجلة دعوة الحق ، الرباط ، ع ٢٦٩ ، ١٩٨٨ ، ص ١٨٨ .

(٢) أبو الربيع سليمان عبد الله بن عبد المؤمن : تولى العديد من الولايات كبجاية وبلنسية وسجلماسة، كما أنه ثار على المنصور الموحدى فى مدينة سلا وقتل أثناء الاشتباكات بينهم ، ابن سعيد : الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، دار المعارف، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٧ ، ص ١٣١ .

(٣) المقرى : نفح الطيب ، ج٣ ، ص ١٠٥ ، وانظر أيضًا عبد الله كنون : النبوغ فى الأدب العربى، مكتبة المدرسة ، ودار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر ، بيروت ، ط٢ ، د . ت ، ج٢ ، ص ١٦ .

(٤) المقرى : المصدر السابق والجزء ، ص ١٠٣ ، وانظر أيضًا عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى ، ص ٢٧٣ .

(٥) المقرى : المصدر نفسه ، ج٣ ، ص ١٠٧ ، وانظر أيضًا إبراهيم حركات : دور الصحراء الأفريقية فى التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط ، مجلة البحوث التاريخية ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ع ١١ ، ١٩٨١ ، ص ٣٧ .

(٦) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، السفر الثانى ، ص ٣٤٧ ، وانظر أيضًا : محمد الغربى: المراجع السابق ، ص ٤٤ .

(٧) مملكة مالى : تمتد على طول فروع نهر النيجر ، على مسافة (٤٨٠ كم) ، أسست على يد قبائل الماندينك ، وفى بادئ الأمر دانت بالحكم لمملكة غانة الوثنية ، ولكن بعد تحرك عبد الله بن ياسين فى الصحراء أسلمت هذه القبائل ، واستولت على مملكة غانة بعد أن وجه المرابطون لها العديد من الضربات أضعفتها (الوزان : المصدر السابق ، ٥٣٨) .

(8) Adam Bakonare : Les relations Politiques et Culturell entre le Moroc et le Mali a travers les ages , Royoume du Maroc unversite Mohammed v publications de I'institut des Etudes Aricanes , Rabat , 1991 , p. 11 .

يمر من الطريق المحاذى لساحل البحر الأبيض المتوسط [1] ، كما ساعد منسا موسى السلطان أبى الحسن المرينى فى القضاء على ثورة أخيه أبى على المرينى الذى كان واليًا على سجلماسة ، ثم استولى على مدينة درعة ، وهو ما كان له أثر سلبى على سبل القوافل بين سجلماسة ومالى ، وذلك فى عام ٧٣٣ هـ / ١٣٣١ م [2] ، كما عمل على التواصل الدبلوماسى بينهما ، فأرسل منسا موسى إلى السلطان أبى الحسن المرينى سفارة مهنئًا إياه على هزيمته لبنى عبد الواد واستيلائه على تلمسان عام (٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م) ، وقدم له هدايا قيمة ، ولاقت هذه السفارة استقبالاً حارًا من السلطان أبى الحسن [3] الذى أعد هدايا قيمة ، وبعثها مع سفارة من كبار رجال دولته لشكر منسا موسى على تهنئته بالنصر ، وعمل على تدعيم العلاقات بين الدولتين ، وأثناء سير السفارة إلى دولة مالى بلغتها الأخبار بوفاة منسا موسى [4] ، وتولى منسا سليمان [5] الذى استقبل السفارة استقبالاً مبالغًا فيه ، تعبيرًا منه عن سعادته بالعلاقات الودية التى تجمع الدولتين ، وإمعانًا منه فى التعبير عن تقديره للسلطان أبى الحسن المرينى ، أعد سفارة جديدة مؤلفة من كبار رجال دولته ، لتأكيد العلاقات الودية بينهما ، ولكن جاء خبر وفاة السلطان أبى الحسن المرينى فأدى إلى تأخير قدوم هذه السفارة [6] .

وتأثر منسا سليمان تأثيرًا بالغًا بوفاة السلطان أبى الحسن المرينى ، حتى إنه أخذ العزاء فيه ، فاستدعى الفقهاء والقاضى والخطيب ، وختموا القرآن ودعوا للسلطان أبى الحسن المرينى ، كل هذا كناية عن الود الذى يكنه منسا سليمان إلى للسلطان أبى الحسن

---

(١) محمد الغربى : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٢) إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ج٢ ، ص ٤٤ ، إبراهيم على يوسف الشامى : الحج وأثره الحضارى فى دولتى مالى وصنغى (٦٣٦- ١٠٠٠ هـ / ١٢٣٨ م – ١٥٩١ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، القاهرة ، ٢٠٠٦ ، ص ١٥٨ .

(٣) السلاوى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٦ – ٤٧ ، وانظر أيضًا أمطير غيث : المرجع السابق ، ص ١٠٢ – ١٠٣ .

(٤) ابن مرزوق : المسند ، ص ٤٥٤ ؛ ابن خلدون : العبر ، مج٧ ، ج١٣ ، ص ٥٥٤ .

(٥) منسا سليمان : هو أخو منسا موسى تولى (٧٤١- ٧٦٢ هـ / ١٣٤١- ١٣٦٠ م) ، لما توفى منسا موسى تولى ابنه منسا مغا (أى محمد) ، وكان سيء التدبير وقصيرالنظر ، فمنح الرهائن من أمراء صنغى مزيدًا من الحرية فى الخروج والتجول من غير أمن معهم ، وهو ما ترتب عليه نجاحهم فى الاستيلاء على بعض المدن المالية ، ولما توفى منسا مغا تولى منسا سليمان بعد نجاته من هذا الصراع وعمل على إعادة قوة مملكة مالى واستعادة أملاكها وإصلاح ما أفسده ابن أخيه ، وكان من أعظم ملوك مملكة مالى وعرف بعدله وكرمه (السعدى : المصدر السابق ، ص ٥ – ٦ ، وانظر أيضًا إبراهيم طرخان : مملكة مالى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٩٣ .

(٦) ابن خلدون : العبر ، مج٧ ، ج١٣ ، ص ٦٤٤ ؛ المقرى : نفح الطيب ، ج٤ ، ص ٤٠٢ ، وانظر أيضًا : محمد عبد العال أحمد : منسا موسى سلطان التكرور ورحلة حجه الشهيرة ، ١٩٨٧، ص ٣٢ ، ٣٣ .

[1]، وسرعان ما توفى منسا سليمان ، غير أن الاتصالات بين سلاطين مالى ودولة بنى مرين لم تنقطع ولكن من الملاحظ أنه فى عهد السلطان أبى عنان فارس المرينى لم يكن ثمة تبادل للسفارات الرسمية بينهما ، ولما تولى منسا زاطة (جاطة) علم بأمر السفارة التى كان ينوى إرسالها منسا سليمان ، فأمر بإنفاذها بعد أن ضم إليها الحيوان الغريب فى ذلك الوقت " الزرافة " ، ووصلت السفارة فى عهد أبى سالم المرينى فى عام (٧٦٢ هـ / ١٣٦١ م) ، وقد استقبلها السلطان المرينى وأقام لها احتفالاً شهد له بالفخامة [2] .

ويذهب الباحث أحمد شكرى إلى أن سبب اتجاه منسا موسى ومن خلفه من سلاطين مملكة مالى لتوطيد علاقتهم بالمرينيين ، يرجع إلى سوء علاقاتهم مع مصر منذ أن قام منسا موسى برحلة حج فى (٧٢٤ هـ / ١٣٢٤ م) [3] ، إلا أننا لا نوافقه الرأى على ذلك ، والدليل على هذا أنه فور وصول منسا موسى إلى الأراضى المصرية استقبله وفد من كبار رجال الدولة المصرية وأمرائها قد أرسلهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، حيث استقبله استقبالاً يليق به من الاحترام والتقدير وإنزاله منزلاً كريمًا ، فأسكنه قصرًا فخمًا ، وأصدر أوامره لوزيره بالاهتمام به وتجهيز كل ما يحتاج إليه [4] ، إلا أن منسا موسى لم يكن متحمسا لمقابلة السلطان الناصر محمد ، ويرجع ذلك إلى تخوفه من الأعراف المصرية التى تحتم على من يلتقى بالسلطان المصرى أن يقبِّل الأرض تحت قدميه ، وهو قد جاء لأداء فريضة الحج لا لشئ آخر ، ويبدو أن من حوله أصروا على إلقاء هذه التحية على السلطان الناصر محمد [5] ، وقيل إن السلطان الناصر محمدًا أعفاه من تقبيل الأرض وقربه وقربه إليه واستقبله استقبالاً يليق به [6] ، وهو ما يعنى أن موضوع انزعاج منسا موسى بسبب تقبيله للأرض أمر غير مؤكد ، بدليل أنه فور وصوله إلى مالى بعد أداء فريضة الحج ، أرسل هدية من الذهب للسلطان الناصر ؛ ردًا على استقباله الحسن الملئ بالود له وتعبيرًا منه على امتنانه من ذلك ، بالإضافة إلى استمرار حسن العلاقات الودية بين

---

[1] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٤٢٣ ، وانظر أيضًا عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسى ، ج٧ ، ص ٤٥ – ٤٦ .

[2] ابن خلدون : العبر ، مج ٧ ، ج١٣ ، ص ٦٤٤ – ٦٦٥ ، السلاوى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١١٩ وانظر أيضًا عبد الواحد أقمير ، مملكة مالى فى القرن الرابع عشر ، وفقًا لابن خلدون ومعاصريه ، ترجمة إبراهيم سعيد فهيم ، من خلال كتاب ابن خلدون البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ، ندوة عقدتها مكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٧ ، ص ١٢٧ .

[3] امبراطورية مالى ، ص ٢٦٨ – ٢٦٩ .

[4] ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، ج٤ ، ص ٢٨٣ .

[5] القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٢٨٣ .

[6] المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠٠٧ ، ج٢ ، ص ٢٥٠ ، وله أيضًا الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مكتبة الثقافية الدينية ، ٢٠٠ م ، ص ١٤٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، تحقيق عبد الله بن المحسن التركى ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨ ، ج١٨ ، ص ٢٤١ .

الدولتين فى عهد منسا سليمان الذى استقبل من قبل للسلطان المصرى سفارة تدل على توطيد العلاقات الودية بينهما [١]، كل هذا ترتب عليه تزايد حركة التجارة بين الدولتين حتى وصل عدد القوافل المتجهة من مصر إلى مالى إلى اثنتى عشرة ألف راحلة فى عام ٧٥٤ / ١٣٥٣ م [٢] ، فكيف إذا ساءت العلاقات بين الدولتين يصل حجم التبادل التجارى بينهما إلى هذا الرقم مع استمرار تبادل السفارات الدبلوماسية بينهما ؟ ، بل بالعكس ظل التجار المصريون من أهم منافسين للتجار المغاربة فى السودان الغربى بسبب ذلك ، حيث امتلأت الأسواق السودانية بالبضائع المصرية وخاصة الثياب ، فيذكر ابن بطوطة أن ثياب أهل مدينة ولاته (إيوالاتين) " ثياب أهلها حسان مصرية " [٣] .

وازداد وجودهم فى السودان فى القرن الثامن الهجرى / القرن الرابع عشر الميلادى ، وذلك يرجع إلى التغير فى شبكة الطرق الصحراوية [٤] ، بسبب سقوط مملكة غانة وقيام مملكة مالى من بعدها التى اتخذت من نيانى عاصمة لدولتها ، فأصبح مركز الإدارة والتجارة للسودان متجهًا نحو الشرق ، وهو ما أفقد الجانب الغربى أهميته وأضعف المخزن المرينى تحكمه فى الطرق التجارية ، وهو ما كان له أثر سلبى على تجارة بنى مرين [٥] ، كل هذا كان فى مصلحة التجار المصريين الذين عملوا على الاستفادة من هذا الوضع وتدعيمه ، وذلك من خلال استيلائهم على مملكة النوبة المسيحية (٧١٦ هـ / ١٣١٦ م) ، فبذلك أصبح الطريق ممهدًا ومفتوحًا أمامهم ؛ لتزايد حجم التبادل التجارى السودانى المصرى [٦] ، فأثر هذا سلبًا على تجارة المغاربة التى تكبدت خسائر كبيرة ، فقد سجل ابن الخطيب هذه الخسائر والآثار من خلال ما آلت إليه شركة المقرى التى كانت قد حققت أرباحًا طائلة سابقًا [٧] .

وهذه الخسائر دفعت السلطان أبا عنان المرينى إلى إرسال ابن بطوطة فى رحلة إلى السودان ؛ لدراسة طرق التجارة وأوضاعها ، بالإضافة إلى رصد حجم التبادل التجارى بين السودان ومصر وتوطيد العلاقات المرينية السودانية ، على الرغم من غياب اسم السلطان أبى عنان رسميًا فى هذه الرحلة [٨] .

---

(١) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة ، ج٤ ، ص ٢٨٣ ، وانظر أيضًا محمد عبد العال أحمد : المرجع السابق ، ص ٤٥ ؛ عبد الواحد أقمير : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، مج٧ ، ج١٣ ، ص ١٠٨ ؛ وانظر أيضًا محمد جمال سرور : دولة بنى قلاوون فى مصر الحالة السياسية والاقتصادية فى عهدها بوجه خاص ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، د . ت ، ص ٣٣٧ .

(٣) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٨٧ .

(٤) محمد القبلى : مراجعات ، ص ٥٩ .

(٥) مصطفى نشاط : إطلالات، ص ١٠٦.

(٦) ابن مرزوق : المناقب ، ص ٤٨ .

(٧) الإحاطة ، ج٢ ، ص ١٩٨ .

(٨) إبراهيم طرخان : مملكة مالى ، ص ٩٦ ، مصطفى نشاط ، اطلالات ، ص ٩٦ .

وعلى الرغم من ذلك حافظ التجار المغاربة على مكانتهم التجارية فى السودان ، حيث بلغ تعداد قوافل البضائع فى عام ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م اثنى عشر ألف جمل [١] ، فالأرباح الطائلة التى يجنها التجار المغاربة من وراء تجارتهم مع السودان ، كانت عامل جذب لاستقطابهم ، بالإضافة إلى الأمن والأمان وحسن الضيافة وغير ذلك مما تمتع به التجار فى السودان ،" فهى بلاد لا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب مع عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ، ولو كان بالقناطير المقنطرة ، بل يتركونه بيد ثقة من البيضان ، حتى يأخذ مستحقه" [٢] ، كما عرف عن حكام مالى العدل والكرم وحبهم واحترامهم للجالية المغربية ، كمنسا سليمان الذى اشتهر بالعدل والكرم وخاصة مع المغاربة ، حيث ذهب إليه أحد التجار ويدعى أبا حفص يشتكى له ظلم حاكم مدينة ولاته الذى استدان منه ستمائة مثقال من الذهب ، ولم يدفع له إلا مائة مثقال فقط ، فما كان من منسا سليمان إلا أن أحضر ذلك الحاكم وأوكل أمرهما إلى القاضى ، فحكم لمصلحة التاجر ، فرد إليه ماله وعزل الحاكم عن عمله [٣] .

وهناك بعض المغاربة ضربوا بعرض الحائط حسن الضيافة والثقة والإحسان وغير ذلك مما كانوا يتعاملون به ، فيذكر ابن بطوطة أن أبا العباس الدكالى هو قاضى البيضان (المغاربة) قد أحسن إليه منسا موسى بأربعة آلاف مثقال لثقته ، إلا أنه اشتكى له أن المبلغ قد سرق منه ، على الرغم من عدم وجود سارق فى تلك البلاد ، إلا أن منسا موسى اهتم اهتمامًا شديدًا بتلك القضية وأخذ يبحث حتى اعترفت إحدى جوارى أبى العباس بأنها ما ضاع منه شئ ، وإنما دفنها بيده ، فتم إخراج المال وغضب منسا موسى منه وعاقبه جزاء هذه الكذبة ، وحكم عليه بالنفى إلى بلاد الكفار الذين يأكلون لحم بنى آدم وظل عندهم أربع سنين [٤] .

كل هذه الأمور دفعت التجار المغاربة للاستقرار فى السودان ، ومن بين الذين اشتهروا بمزاولة التجارة مع مالى وعملوا على الاستقرار بها تاجر يدعى أبا بكر بن يحيى بن عبد الرحمن المقرى ، وكان يمتلك شركة تجارية هو وإخوته الأربعة ، فكان اثنان منهم مستقرين فى مدينة ولاته [٥] ، وهما عبد الواحد وعلى وكلاهما يمتلكان بيوتًا فى المدينة ، وتزوجا من أهلها وتزايدت ثروتهما [٦] ، كما استقر فيها ابن بداء من سلا [٧] ، وأبو عثمان عثمان سعيد الدكالى الذى أقام فى السودان لمدة خمسة وثلاثين عامًا [٨] ، كما استقرت بها

---

(١) الهادى المبروك الدالى : مملكة مالى ، ص ٤١ .
(٢) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٤٢١ .
(٣) ابن بطوطة : نفس المصدر والجزء ، ص ٤١٦ .
(٤) نفسه ، ص ٤٢٧ .
(٥) المقرى : نفح الطيب ، ج٥ ، ص ٢٠٦ .
(٦) أمطير سعد غيث : المرجع السابق ، ص ١٢٨ .
(٧) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٨٦ .
(٨) العمرى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٦٠ .

العديد من العائلات ، مثل عائلة التواتية وعائلة القصرى اليانديبوغى والفيلالى والهوارى وعائلة الدليمى والكايرى ، وعائلة الزعزانى والخضر التى كان جدها الأول من مدينة فاس [١] .

وتعد مدينة ولاته من أهم المراكز التجارية السودانية التى حرص التجار المغاربة على المكوث بها ، وذلك لأنها قد أصبحت سوقًا كبيرة بسبب موقعها الجغرافى على طرق التجارة ، وهو ما جعلها يتوافد إليها مختلف التجار ، فيقول عنها السعدى " وكان التسوق قبل بيرو واليه الرفاف من الآفاق وسكن فيها الأخيار من العلماء والصالحين وذوى الأحوال من كل قبيلة ومن كل بلاد من أهل مصر ووجل وفزان وغدامس وتوات وتفلالة وفاس وسوس وإلى غير ذلك " [٢] .

كما اتسم أهلها بالمودة ، فهم يهرعون فور وصول القافلة لاستقبالها ، ويقدمون الخدمات لهم من ماء وزاد ، كما يحرسون الأمتعة والبضائع للتجار ، كما يستقبل كبار تجارها من يرتدون إليهم من أصدقائهم التجار ، ويحيطونهم علمًا بمستوى أسعار البضائع[٣] ، ولأهمية ولاته التجارية عملت الحكومة المالية على تعيين شخص يشرف على على الشئون التجارية ويهتم بأمر التجار ويأمن لهم مطالبهم ، ويعمل على حراسة القوافل التجارية فى المدينة ، وأطلق على هذه الوظيفة " منشاجو " [٤]، وفى بعض الأحيان كانت ممتلكات المغاربة مهددة فى فترات الاضطرابات التى كانت تسود مالى مثلما تعرضت ممتلكات شركة المقرى بولاته للنهب والمصادرة ، وبعد عودة الهدوء والأمن إلى البلاد عوضتهم الحكومة المالية عن تلك الخسائر ومنحوهم امتيازات وسمحوا لهم بالتجارة فى جميع أنحاء البلاد محققين بذلك أرباحًا ، وذلك تعويضًا لهم عن خسائرهم ، وهذا يدل على مدى اهتمامهم بأمور التجار الغرباء فى بلادهم [٥] ، كما لم يخلو الأمر فى بعض الأحيان من سوء معاملة بعض الحكام السودانيين للتجار ، كنائب السلطان فى مدينة ولاته ربا حسين الذى كان يتحدث مع التجار احتقار [٦] .

ولاستقرار أعداد كبيرة من العائلات المغربية فى السودان ، كان لهذه العائلات حى خاص بها تقيم فيه أطلق عليه " محلة البيضان " ، كما ظهرت وظيفة رئيس جماعة البيضان (شيخ المغاربة) وهو الذى يعمل على رعاية شؤونهم وحماية حقوقهم ، كما يعمل على مساعدة القادمين الجدد ، فيتولى أمورهم ويعمل على تدبير سكن لهم ، ويعلمهم بأحوال

---

[١] الهادى المبروك الدالى : مملكة مالى ، ص ١٥٣ .
[٢] السعدى : المصدر السابق ، ص ٢١ .
[٣] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٨٥ وانظر أيضًا أمطير سعد غيث : المرجع السابق ، ص ١٢٨ .
[٤] ابن بطوطة : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٨٥ .
[٥] المقرى : نفح الطيب ، ج٥ ، ص ٢٠٥ .
[٦] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٨٥ .

السوق وأسعار السلع ، إلا أننا ليس لدينا معلومات حول كيفية تعيينه فهل يختار من قبل الحكومة المغربية أم يختار من قبل المغاربة المقيمين فى السودان ؟ وما الشروط التى يجب توافرها فيه حتى يختار لأداء هذه الوظيفة ؟ الحق أننا ليس لدينا إجابة عن هذا، إلا أن هذه الوظيفة يتولى مهامها اثنين : الأول مغربى والثانى مصرى ، وذلك لأنهما أكثر جاليتين موجودتين فى السودان ، ويذكر ابن بطوطة الرجلين الذين كانا يتوليان أمر البيضان فى ذلك الوقت ، والمغربى وهو محمد بن الفقيه الجزولى ، والمصرى وهو شمس الدين بن النقويشى (١) .

ج- العلاقات التجارية المرينية بالمشرق العربى ومصر :

سعى سلاطين بنى مرين إلى توطيد علاقتهم مع المشرق ومصر ، وذلك لأن المشرق قبلة المسلمين فى جميع أنحاء العالم ؛ لوجود الكعبة المشرفة وما يرتبط بها من أداء مناسك الحج ، وعن ذلك يتحدث ابن خلدون قائلاً " لم تزل ملوك المغرب على القدم لهذا العهد يعرفون لملوك الترك بمصر حقهم ، ويوجبون لهم الفضل والمزية بما خصهم الله من ضخامة الملك ، وشرق الولاية بالمساجد المعظمة بما يعرض فى الدولتين من الأحوال " (٢) واتسمت العلاقات المرينية المصرية بالمودة والإخاء ، ويرجع ذلك إلى أن مصر تعد بمنزلة الواجهة التى تطل منها بلاد المغرب على بلاد المشرق العربى ، بالإضافة إلى موقعها الجغرافى الذى جعل منها مركزًا تجاريًا مهمًا للقوافل التجارية القادمة من الديار المقدسة إلى المغرب وبالعكس (٣) ، فتجتازها القوافل التجارية من الكوفة والبصرة وبغداد متواجهة إلى سجلماسة (٤) .

ونلاحظ أن التجارالمغاربة حظوا بمكانة مهمة فى الأسواق المصرية ، وهذا ما أكده العبدرى أثناء رحلته ، حيث أشار إلى اتساع التعامل التجارى بين المغاربة والمصريين ، حتى وصلت سلعهم إلى صعيد مصر (٥) ، ظلت سلع المغاربة تحتل مكانة مميزة فى الأسواق المصرية ، وقد أشار إلى هذا ابن تغرى بردى ، ففى ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤ م حينما وصل ركب التجار المغاربة أنزلهم السلطان الأشراف سيف الدين إينال (٦) ، بميدان تحت

---

(١) ابن بطوطة : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٩٧ .
(٢) العبر ، مج ٥ ، ج١١ ، ص ٤٩٩ .
(٣) محمد عيسى الحريرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .
(٤) حسن على حسن : المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .
(٥) المصدر السابق ، ص ١٤٨ – ١٤٩ .
(٦) السلطان الأشرف سيف الدين إينال : السلطان الأشرف أبو النصر سيف الدين إينال العلائى الظاهرى أو إينال هو السلطان الثاني عشر من دولة المماليك البرجية الشراكسة ، بويع بالسلطنة بعد خلع الملك المنصور عثمان ابن الملك الظاهر جقمق في يوم الاثنين ٨ ربيع أول عام ٨٥٧ هـ / ١٤٥٧ م ، تولّى عدة مناصب منها رأس نوبة ثانى ونائب غزة ونائب الرها فى زمن السلطان برسباى عام ٨٣٦ هـ / ١٤٣٢ م ثم حضر إلى القاهرة وأصبح مقدم ألف ثم أصبح نائب صفد عام

قلعة الجبل ، وكانوا جمعًا كبيرًا ، ومعهم بضائع مختلفة وكثيرة وباعوها أحسن بيع ، وذلك لأن مصر صارت سوقًا دولية يتوجه إليها جميع التجار (١) .

وبسبب الأرباح التى يجنيها التجار من وراء تجارتهم فى المشرق ، تزايدت أعداد المغاربة المستقرين به ، فيذكر ابن بطوطه أنه أثناء رحلته إلى المشرق تزوج من امرأة (فى بغداد) وأنجب منها ولدًا ، ويرجع جده للأم من أهل مكناسة ، وبالإضافة إلى أنه أثناء رحلته إلى الصين قابل تاجرًا من سبتة ويدعى قوام الدين السبتى (٢) ، كما استقر بعض المغاربة فى الصين وأصبح عندهم تجارة عظيمة جنوا من ورائها أموالاً ضخمة (٣) ، واستقر آخرون فى الهند وكونوا لهم تجارة ضخمة ، وتميز أهل الهند بحسن معاملة الغرباء فهم " لا يورثون بيت المال ولا يتعرضون لمال الغرباء ولا يسألون عنه ولو بلغ ما عسى أن يبلغ " (٤) .

وعلى الصعيد السياسى بدأت العلاقات بين دولة بنى مرين بالديار المصرية منذ فجر أيامها ، على عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون [٦٧٨- ٦٨٩ هـ /١٢٨٠- ١٢٩٠ م] (٥) وعمل على رعاية مصالح التجار ، حيث أرسل رسالة إلى نوابه فى الثغور يأمرهم بحسن معاملة التجار وملاطفتهم والتودد إليهم ومراعاة العدالة فيهم ، فاتبع

---

٨٤٠ هـ / ١٤٣٦ م ثم عينه السلطان جقمق أتابكا عام ٨٤٩ هـ /١٤٤٥ م (ابن تغرى بردى : النجوم الزهرة ، ج ١٦، ص١٤٤) .

(١) حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٠، ج١ ، ص ٤٢٨ ، وانظر أيضًا قاسم عبده قاسم : الأسواق بمصر فى عصر سلاطين المماليك ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مج ٣٦ – ٣٧ ، ج١ ، ١٩٧٤ – ١٩٧٥ ، ص ٥٧.

(٢) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣١٦ .

(٣) أمين توفيق الطيبى : النشاط الاقتصادى والعلمى بمدينة سبتة المغربية القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، من بحث من كتاب دراسات وبحوث فى تاريخ المغرب والأندلس ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٩٧ ، ج٢ ، ص ١٧٠ .

(٤) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤٢٨ .

(٥) الملك المنصور سيف الدين قلاوون : يعد من أعظم ملوك المماليك ، حيث يرجع إليه الفضل فى ظهور الدولة المملوكية الثانية (الجراكسة) ، واستطاع أن يحقق العديد من الإصلاحات والانتصارات على الصليبيين ، ولا يذكر بالضبط تاريخ ميلاده ، وولد بتركيا وجلب إلى مصر بعد أن استولى التتار على بلاده ، واشتراه الأمير علاء الدين أقسنقر الساقى أحد مماليك الملك العادل أبى بكر بن أيوب [ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، قدم وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢ ، ج٧ ، ص ٢٩١ ، وانظر أيضًا محمد حمزة إسماعيل حداد : السلطان المنصور قلاوون [تاريخ – أحوال مصر فى عهده – منشآته المعمارية ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٨ ، ص ١٧] .

السلاطين الذين جاءوا من بعده هذا التقليد [١] . وقد أرسل المنصور سفارة إلى سلطان المغرب ، وكان هدفه من هذه السفارة توسيط المغرب عند ملك الفرنج (ملك أراجوان بيير الثالث) ، حسبما أورد ابن حجر العسقلانى فيقول " أرسله الملك المنصور قلاوون إلى ملك الغرب بهدية ، فأرسلنى ملك المغرب إلى ملك الفرنج فى شفاعة فقبلها " [٢] ، ويذهب د / عبد الهادى التازى إلى أن سبب هذه السفارة حدوث مشاكل فى ملاحة البحر المتوسط والاعتداءات التى لحقت بمصر والشام ؛ لذلك لعب بنو مرين دور الوسيط فى محاولة لإصلاح الأحوال ، ويرجح أن السفارة أراجونية التى أتت إلى مصر وعقدت اتفاقية سلام بينهم (٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) فكانت ثمرة هذه الوساطة [٣] .

وتوالت بعد ذلك السفارات بينهما وكانت دائمًا مصاحبة ركب الحجيج والقوافل التجارية ، حيث شهد تطورًا ملحوظًا منذ عهد أبى يعقوب يوسف بن يعقوب ونظيره المصرى الناصر محمد بن قلاوون ، ففى عام ٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ م أرسل سفارة إلى مصر ، ولكن دون أى تفاصيل عنها [٤] ، ثم انقطعت الاتصالات ؛ بسبب الفتن التى كانت تعانى منها دولة بنى مرين فى ذلك الوقت ، ثم تجددت الاتصالات بينهما ، وانطلق ركب الحجيج المغربى فى عام (٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م) [٥] ، وفى عام (٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م) خرج ركب الحجيج حاملاً معه هدايا جليلة للسلطان الناصر، ومن الملاحظ فى هاتين السفارتين أنهما أدتا دورًا سياسيًا بارزًا مع المشرق فى ذلك الوقت ، وخاصةً مع الحجاز ، حيث أحس أشراف الحجاز بقوة سطوة بنى مرين ، ويمكن أن يأخذوهم ملاذًا لهم أثناء خلافهم مع سلطان مصر ؛ لذا أرسلوا بيعتهم للسلطان أبى يعقوب يوسف مع هدية ، وهى ثوب من كسوة الكعبة [٦] ، إلا أن هذا الأمر لم يؤثر على علاقة بنى مرين بمصر ، بل أرسل السلطان الناصر هدية إلى السلطان أبى يعقوب تأكيدًا منه لحسن العلاقات بينهما [٧] مما كان له أثر ايجابيًا على فى تزايد تجارة المرينيين فى مصر .

---

[١] المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق٢ ، ص ٣٤٠ ، وانظر أيضًا سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٦ ، ص ٢٩٩ ، شوقى عبد القوى عثمان حبيب : التجارة بين مصر وإفريقيا فى عصر سلاطين المماليك [٦٤٨ - ٩٢٢ هـ / ١٢٥٠- ١٥١٧ م] المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ١٢١ .

[٢] فتح البارى بشرح صحيح البخارى : تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن بازو وآخرون ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ ، ج١ ، ص ٤٢ ، وكذلك ذكر الكتانى نفس الحادثة فى نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، تحقيق عبد الله الخالدى ، دار الأرقم بن أبى الأرقم للطباعة والنشر ، بيروت ، د . ت ، ج١ ، ص ١٥٧ .

[٣] التاريخ الدبلوماسى ، ج٧ ، ص ٢٠٠ .

[٤] ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٣٨٧ ، ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ، ص ٣٣٧ وانظر أيضًا محمد المنونى : ورقات ، ص ١٧١ .

[٥] المقريزى : السلوك ، ج٢ ، ق١ ، ص ٩ .

[٦] السلاوى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤٢٣ .

[٧] المقريزى : المصدر السابق ، ج٢ ، ق ١ ، ص ٩ وانظر أيضًا محمد عيسى الحريرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

وفى عهد السلطان أبى الحسن المرينى بلغت العلاقات المرينية المصرية ذروة نجاحها ، حيث بلغ عدد السفارات المتبادلة بينهما تسع سفارات [١] ، من أبرزها من الناحية التجارية السفارة التى رافقت ركب الحجيج وفيها الأميرة حظية والدة السلطان أبى الحسن ، وذلك فى (٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م) ، حيث تمت الرحلة على سفن تجارية بحرية تحمل معها تجارة بضائع موجهة إلى مصر [٢] ، وواصل السلطان أبو عنان فارس المرينى ما قام به من سبقه من توطيد العلاقات بينهما ، وهنا إشارة إلى وجود علاقات تجارية بينهما ، فيتحدث ابن الخطيب عن وصول غراب من ميناء الإسكندرية محمل بالبضائع إلى سبتة فى عهد السلطان أبو عنان فارس [٣] ، وهناك إشارة أخرى إلى وجود علاقات تجارية بين الدولتين، الدولتين، ففى عهد السلطان أبى فارس عبد العزيز أبى العباس بن أبى سالم (٧٩٦- ٧٩٩ هـ / ١٣٩٣ – ١٣٩٦ م) جاء وفد من قبل السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤ – ٨٠١ هـ / ١٣٨٢ – ١٣٩٨ م) [٤] لشراء الخيول المغربية استقبله السلطان المغربى ، وجاءت هذه السفارة بعد فترة من الفتور بين الدولتين [٥] .

د -العلاقات التجارية المرينية الزيانية :

اتسمت علاقات بنى مرين مع دولة بنى زيان بالعداء والصدام المستمر بينهما ، حيث كانت الحروب بينهما سجالاً ، بسبب رغبة كل منهما خاصة بنى مرين فى توسيع رقعة أملاكها وإعادة مجد الدولة الموحدية على حساب بنى زيان [٦] ، واستطاعت دولة بنى بنى مرين السيطرة على بنى زيان عدة مرات ، وخاصة مدينة تلمسان التى تعد من أهم المراكز التجارية وأكبرها ، لذلك سيطر عليها المرينيون عدة مرات [٧] ؛ لإدراكهم أهميتها

---

[١] ابن مرزوق : المسند ، ص ٤٥٢ – ٤٥٤ ، ابن الخطيب : كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، تحقيق محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٣ م ، ص ٤٣ .
[٢] ابن خلدون : التعريف ، ص ٣٣٨ .
[٣] نفاضة الجراب ، ص ٢٣٥ وانظر أيضا محمد المنونى : ورقات ، ص ٢١٩ ، جمال أحمد طه طه : دراسات فى التاريخ الاقتصادى ، ص ١٤٧ .
[٤] السلطان الظاهر برقوق : يعد المؤسس الحقيقى لدولة المماليك الجراكسة ، عمل على إرساء أركان الدولة ، وظل فى كفاح مستمر ضد المماليك الترك ومؤامراتهم ومحاولة القضاء عليهم ، كانت فترة حكمه مليئة بالاضطرابات ؛ لمحاولة انتزاع الحكم منه (العينى : السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة (٧٨٤- ٨٠١ هـ / ١٣٨٢- ١٣٩٢ م) من خلال مخطوط عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان لبدر العينى ، تحقيق إيمان عمر شكرى ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٢ م ، ص ٧٢ .
[٥] ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٣٤٠ ، وانظر أيضًا عبد الهادى التازى : ابن خلدون سفيرًا سفيرًا ، مجلة المناهل ، ع ١٦ ، سنة ٦ ، ١٩٧٩ ، ص ١٣٩ .
[٦] ابن مرزوق : المناقب ، ص ٤٥٥ ، ابن خلدون : العبر ، مج ٧ ، ج١٣ مواضع مختلفة ، وانظر أيضًا رضوان البارودى : الحياة الحربية ، ص ٢٢ .
[٧] ابن خلدون : المصدر السابق ، مج٧ ، ج١٣ ، ص ١٤١ ، السلاوى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤٢٢ ، ج٢ ، ص ٢٥ – ٢٦ ، وانظر أيضًا يحيى بو عزيز : المرجع السابق ، ص ٤٥ ،

للتجارة الخارجية التى كانت محط أنظار الدول الأجنبية التى حرصت على عقد اتفاقيات معها أثناء الفترة التى كان بنو مرين فيها على عداء مع الدول الأجنبية ومنشغلين فى حروبهم ضد هذه الدول فى الأندلس ، وهو ما أثر سلبًا فى هذة الفترة على تجارة بنى مرين الخارجية ، حيث تحولت أنظار الدول الأجنبية إليها بدلاً منها [1] .

و-العلاقات التجارية المرينية الحفصية :

أما عن علاقات دولة بنى مرين بالدولة الحفصية (المغرب الأدنى) فقد اختلفت عن علاقاتها ببنى زيان ، حيث اتسمت فى بدايتها بالمودة ، إذ حرص كل من الطرفين على ذلك ، فأرسل الحفصيون فى (٦٨٢ هـ / ١٢٨٢ م) إلى فاس وفدًا محملاً بالهدايا [٢] لتدعيم العلاقات بينهم ، كما أرسلوا فى عام ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م وفدًا للسلطان يوسف بن يعقوب [٣] تأكيدًا منهم على حسن العلاقات بينهم ، وعملت دولة بنى مرين على زيادة توطيد العلاقات بالحفصيين ، فتزوج السلطان أبو الحسن المرينى من ابنة السلطان أبى زكرياء الحفصى [٤] ، ثم تجددت هذه المصاهرة مرة أخرى فى ٧٤٧ هـ / ١٣٤٦ م بعد وفاة ابنة أبى زكرياء فى حروب السلطان أبى الحسن ضد النصارى [٥] ، واستمرت العلاقات بينهما على مودة ووفاق ، حيث تبادلت الدولتان السفارات والهدايا [٦] ، وكان لذلك أثر إيجابى على الحالة التجارية لبنى مرين ، حيث أمنت الطرق البرية المتجهة نحو المشرق ، ونلاحظ هذا فى أعداد سفارات ركب الحجيج التى خرجت فى عهد السلطان أبى الحسن ، بالإضافة إلى التجارة البحرية [٧] ، إلا أنه فى أواخر عهد أبى الحسن تكدر صفو العلاقات بينهما ، بسبب الحملة التى قام بها ضد الدولة الحفصية وباءت بالفشل [٨] ، و تبعه

عمار عمور : الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى ١٩٦٥٢ (الجزائر العامة) ، دار المعرفة، الجزائر ، ج١ ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٠٥ .

[1] رضوان البارودى : سفارات متبادلة بين بنى زيان ملوك تلمسان ومملكة أراجون (٦٤٨ – ٧٣٠ هـ / ١٢٥٠ – ١٣٣٠ م) ضمن كتاب دراسات وبحوث فى التاريخ وحضارة المغرب والأندلس ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، ٢٠٠٧ ، ص ٢١ ، عبد المرضى محمد عطوة زيدان : دولة بنى زيان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ١٢٦ .

[٢] ابن خلدون : العبر ، مج٧ ، ج١٣ ، ٥٤٠ ، وانظر أيضًا عزة رشاد مرعى : التاريخ السياسى لمدينة قسنطينة منذ عهد الأغالبة حتى نهاية الدولة الحفصية (١٨٤ - ٩١٦ هـ / ١٨٠٠ – ١٩١٠] ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ٢٠١٠ ، ص٢٣٢ .

[٣] ابن الحاج النميرى : فيض العباب ، ص ٢١٩ .

[٤] ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ٣٨٧ .

[٥] ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ٣٨٣ .

[٦] ابن خلدون : العبر ، مج٧ ، ج١٣ ، ٥٢٠ .

[٧] السلاوى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٨ .

[٨] ابن مرزوق : المسند ، ص ٤٥٤ ، ابن قنفذ : الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية ، تحقيق محمد الشاذلى النيفر وعبد المجيد التركى ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٦٨ ، ص ١٧١.

ابنه السلطان أبى عنان فارس بحملة محاولاً السيطرة على الدولة الحفصية [1] محاولين بذلك السيطرة على المغرب بأكمله ، إلا أنها أدت إلى سوء العلاقات بين الدولتين .

هـ - العلاقات التجارية المرينية بغرناطة :

اتصفت العلاقة بين الدولة المرينية وغرناطة بالسلم تارة والحرب تارة أخرى ، ويرجع ذلك إلى تخوف سلاطين غرناطة من أطماع بنى مرين فى بلاد الأندلس ؛ فادى ذلك لتوتر العلاقات بينهم ، وفى فترات السلم بينهما تبادلا السفارات لتدعيم العلاقات بينهم [2] ، كما حدث زواج سياسى بينهما فى محاولة من غرناطة لكسب ثقة بنى مرين وتوطيد العلاقات بينهم ، فقد تزوج السلطان أبى ربيع سليمان من أخت السلطان أبى الجيوش نصر بن محمد (٧٠٨ – ٧١٣ هـ / ١٣٠٨ – ١٣١٣ م) [3] .

كما عقدت بنى مرين مع غرناطة العديد من الاتفاقيات قد أشرنا إليها سبقًا ، حيث كانت غرناطة طرفًا فى الاتفاقيات التى عقدتها بنى مرين مع أراجون وقشتالة .

ثالثاً : الصادرات والواردات فى دولة بنى مرين

نتيجة لازدهار العلاقات الخارجية لبنى مرين مع سائر البلاد ، تزايد حجم تبادلها التجارى مع تلك الدول .

١- مع السودان الغربى (مملكة مالى) :

تنوعت قائمة الصادرات والواردات بين بنى مرين والسودان الغربى ، وحرص المغاربة فى البضائع التى يحملونها إلى السودان على أن يتوافر فيها شرطان هما :

أولاً : أن لا تكون سريعة التلف نظرًا لطول المسافة بين البلدين .
ثانيًا : أن يكون عائدها كبيرًا مقارنة بوزنها [4] .

---

[1] أشرنا إلى ذلك فى بداية الفصل ، ابن الشماع : الأدلة البينة النورانية فى مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم الطاهر بن محمد المعمورى ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٨٤ م ، ص ١٠٤ ، وانظر أيضًا منى سيد عبد العزيز عزو : الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى الدولة الحفصية (٦٢٦ – ٩٣٥ هـ / ١٢٢٨- ١٥٣٥ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٦ م ، ص ١٥٥ .

[2] ابن الخطيب : كناسة الدكان ، مواضع مختلفة ، وله أيضًا نفاضة الجراب ، ص ١٧٩ ، ابن ابن قنفذ : الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، منشورات دار الإفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٨م، ص ٣٧٣ .

[3] ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٣٩٤ .

[4] الهادى المبروك : مملكة مالى ، ص ١٣٧ .

الملح :

كان من أهم البضائع المغربية التى يتهافت عليها السودانيون الملح ، وهو يعد السلعة الأولى فى قائمة صادرات المرينيين لهم ، فهم " يبذلون نظير كل صبرة ملح مثلها من الذهب " [١] ، وترجع أهمية الملح لبلاد السودان الغربى إلى شدة الحرارة فيها التى تجعل أهلها يفقدون أملاحًا كثيرة ، ومن ثم كانوا فى أمس الحاجة إليه ، كما أنهم يستخدمونه فى حفظ الطعام [٢] ، ونظرًا لانعدام الملح فى بلاد السودان كان لابد من جلبه من الشمال ؛ لذا كان سعره فى تصاعد مستمر ، فيذكر ابن بطوطه أن حمل الملح يباع فى ولاته من ثمانية إلى عشرة مثقال من الذهب ، فى حين يصل سعره إلى ثلاثين أو ربما أربعين مثقالاً ذهبًا فى نيانى العاصمة [٣] ، ولأهمية الملح اتخذه السودانيون عملة شرائية ، فيتصارفون بالملح كما يتصارفون بالذهب ، فيقطعونه قطعًا ويبتاعون به [٤] ، حتى يمكن أخذ كل البضائع التى عند السودانيين مقابل الملح ومن ذلك العبيد ، وكان يقطع الملح على مقياس قدم العبد إذ يوضع تحت قدمه ، فيصبح
عبدًا له قيمة [٥] .

وتعد مناجم أوليل [٦] من أهم المناجم التى استخرج منها الملح ، إلى أن حلت محلها تفازا ، من حيث كمية الملح المستخرج منها ، فيذكر القزوينى عنها أن " سور المدينة من الملح ، وكذلك جميع حيطانها والسقوف ، وكذلك الأبواب ، وأن جميع ما حول هذه المدينة من الأراضى مسبخة ، وفيها معدن الملح والشب ، وإذا مات بها شئ من حيوانات يلقى به فى الصحراء ، فيصير ملحًا " لذلك كل أهلها اشتغلوا بتجارة الملح [٧] ، ونتيجة لأهمية الملح نجد بعض المدن السودانية أصبحت مركزًا لتبادله ، مثل مدينة جنى التى أثرى أهلها بفضل هذه التجارة ثراءً عظيمًا [٨] .

---

[١] العمرى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٧٦ .
[٢] جون جوزيف : الإسلام فى ممالك وإمبراطوريات أفريقيا السوداء ، ترجمة مختار السويفى ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٥٤ .
[٣] المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٩٣ .
[٤] مجهول : الاستبصار ، ص ٢٢٢ ، وانظر أيضًا : الأمين عوض الله : المرجع السابق ، ص٨٥.
[٥] عبلة محمد سلطان لطيف : العناصر المغربية فى السودان الغربى دورها السياسى والحضارى منذ ظهور المرابطين حتى نهاية دولة صنغى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ١١١.
[٦] مدينة أوليل : منجم ملح فى أرض قبيلة جدالة بالقرب من نهر السنغال وأقرب المواضع إلى السودان الغربى (البكرى : المصدر السابق ، ص ١٧١) .
[٧] آثار البلاد وأخبار البلاد العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٢٦ .
[٨] الوزان : المصدر السابق ، ص ٥٣٧ .

الأقمشة :

تعد الأقمشة من البضائع التى شغف بها السودانيون ، وحرصوا على اقتنائها ، وخاصة الملونة منها ، كالأحمر والأصفر والأزرق [١] ، كما تهافتوا على المنسوجات القطنية المصنوعة فى السوس الأقصى والمنسوجات الصوفية ، مثل الأكيسة الصوف والعمائم والمآزر المصنوعة فى سجلماسة [٢] وملاءات السرير الصوفية التى تميزت بلمسها الحريرى [٣] ، بالإضافة إلى الأقمشة الكتانية الخشنة التى كانت مطلوبة جدًا فى سوق تنبكتو [٤] ، وكل هذه المنتجات تعبر مدينة ولاته [٥] ، وربما يرجع اهتمام السودانيين السودانيين بشراء الأقمشة على الرغم من تعلمهم صناعة النسيج ، إلى أن كميات الإنتاج لم تكن تكفى حاجة السوق المحلية ، بالإضافة إلى أنها لم تكن فى مثل جودة المنسوجات المغربية أو المصرية [٦] .

الحلى :

كان أهل السودان الغربى مولعين بالزينة وأدواتها ؛ لذلك حرص التجار المغاربة على نقلها إليهم ، فيذكر ابن بطوطة أن " المسافر بهذه البلاد لا يحمل زادًا ولا إدامًا ولا دينارًا ولا درهمًا ، إنما يحمل قطع الملح وحلى الزجاج الذى يسميه الناس النظم وبعض السلع العطرية " [٧] فكانوا يفضلون الحلى الزجاجية التى تستخدم سبحًا أو عقودًا [٨] ، كما كما أحبوا منها التى على شكل الخواتم والأساور والحلقات النحاسية [٩] ، بالإضافة إلى الورع الذى استخدم لديهم زينة ، كما استخدم عملة نقدية [١٠] ، وكذلك الخرز المصنوع من المرجان المستخرج من سبتة فقد كان يلقى إقبالاً شديدًا من أهل السودان الغربى [١١] .

---

[١] الوزان : المصدر نفسه ، ص ٥٠٦ .
[٢] الإدريسى : المصدر السابق ، مج١ ، ص ٢٣٢ وكذلك :
Davidson , Basil : The Africans an entry to cultural History , London , 1969, p. 214
[٣] الوزان : المصدر السابق ، ص ٥٠٤ .
[٤] الوزان : المصدر نفسه ، ص ٤٨٩ .
[٥] عبلة محمد سلطان : المرجع السابق ، ص ١١٨ .
[٦] أمطير سعد غيث : المرجع السابق ، ١٣٨ ، الأمين عوض الله : المرجع السابق ، ص ٨٦ .
[٧] المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٩٣ – ٣٩٤ .
[٨] الأمين عوض الله : المرجع السابق ، ص ٨٦ .
[٩] القزوينى : المصدر السابق ، ص ١٩ .
[١٠] العمرى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٧١ .
[١١] الإدريسى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥٢٩ ، المقرى : أزهار الرياض ، ج١ ، ص ٣٥ .

الكتب :

كانت الكتب من أهم البضائع وأبرزها التى يجلبها التجار المغاربة إلى السودان الغربى، وكان يجنى من وراء هذه التجارة أرباح طائلة ، وذلك بسبب بيعها بأثمان مرتفعة(١) ، أما عن المخطوطات ، فكانت أرباح تجارتها تفوق أى تجارة أخرى (٢) .

مواد غذائية وبضائع أخرى :

ظل المغرب يدعم السودان الغربى بالمواد الغذائية ، كالقمح والشعير والزبيب والتمور والفواكه (٣) ، بالإضافة إلى التوابل ، كالزعفران والكمون والعنبر والقرنفل والمصطكى (٤) ، كما استحسن السودانيون استخدام الخيول المغربية (٥) ، بل تهافتوا عليها عليها السودانيون ، فكان الحصان الواحد يباع من أربعين إلى خمسين دينارًا (٦) ، ومن فرط اهتمام السودانيين بالخيل المغربية ، كانوا يحصلوا على حصان واحد مقابل خمسة عشر عبدًا (٧) .

أما عن واردات المرينيين من السودان ، فكان الذهب يتصدر قائمة التبادل التجارى بينهما ، وكان له دورًا مهمًا فى الحياة الاقتصادية منذ القدم ، خاصة فى النظام النقدى (٨) ، فظلت السودان الغربى مركزًا مهمًا يغذى المغرب بالذهب (٩) ، فأدى ذلك إلى إلى تنشيط حركة التبادل التجارى عبر الصحراء منذ أيام مملكة غانة التى اشتهرت باسم

---

(١) الوزان : المصدر السابق ، ص ٥٠٠ .

(٢) الوزان : المصدر نفسه ، ص ٥٤١ .

(٣) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٤٤٧ وانظر أيضًا محمد الغربى : المرجع السابق ، ، ص ٤٢٧ ، الحبيب الجنحانى : الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى سجلماسة عاصمة بنى مدار ، بحث ضمن مجموعة البحوث ألقيت فى ندوة الحضارة الإسلامية فى ذكر أ . د . أحمد فكرى (١٦ – ٢٠ أكتوبر ١٩٧٦) مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٤٥ .

(٤) الزهرى : المصدر السابق ، ص ١٢٧ ، ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٩٤ .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ٢٨٧ .

(٦) الوزان : المصدر السابق ، ص ٥٤٤ .

(٧) الوزان : نفس المصدر والصفحة .

(٨) الحبيب الجنحانى : التجارة فى المغرب العربى الإسلامى خلال القرنين الثالث والرابع الهجرى، بحث ضمن كتاب المجتمع العربى الإسلامى الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، مجلة عالم المعرفة ، ع ، ٢٠٠٥ ، ص ٨٣ وكذلك :

Lextzion (N) : Ancient Ghana and mail , Studies in African history , London, 1973 , p. 171 .

(٩) موريس لومبارد : الذهب الإسلامى منذ القرن السابع من القرن الحادى عشر الميلادى ، بحث ضمن كتاب بحوث التاريخ الاقتصادى ، ترجمة توفيق إسكندر ، مطابع دار النشر للجامعات المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٦٢ ، الهادى مبروك الدالى : التاريخ السياسى والاقتصادى لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٩ ، ص ٣٠٣ .

بلاد الذهب [١] ، وقد تسبب هذا المعدن في قيام العديد من الحروب بين الدول للسيطرة عليه وعلى الطرق المؤدية إليه لأهميته [٢] ، فكان متوفرًا فى السودان بكثافة ، حتى قيل إنه ينبت كما ينبت الجزر ، وإنه يقطف عند بزوغ الشمس [٣] ، ويؤكد ذلك كمية الذهب التى استخدمها منسى موسى أثناء رحلة حجه [٤] .

وبسبب أهمية الذهب هذه كان التجار المغاربة يقطعون كل هذه المسافة للحصول عليه، وكان منه شكلان : أحدهما يطلق عليه البنادق والآخر يشبه الخزف ، وكان الأول أفضل قيمة [٥] ، وظل الذهب هدفًا للتجار ، وهو ما دفعهم للاستقرار فى العديد من المدن السودانية ، كتغازا التى وصفها ابن بطوطة بقوله " على حقارتها يتعامل معها بالقناطر المقنطرة من التبر " [٦] .

وتأتى تجارة الرقيق فى المرتبة الثانية من صادرات السودان للمرينيين ، وشكلت هذه التجارة للممالك السودانية مصدرًا مهمًا ، حيث كان يحققون من وراء التجارة منها أرباحًا ضخمة ؛ لذلك نجد بعض المدن مثل جاوا اشتهرت بوجود سوق يومية كبيرة فيها لبيع الرقيق [٧] ، وتكدا التى يتفاخر أهلها بكثرة العبيد والخدم فيها ، ويذكر ابن بطوطة أنه اشترى خادمة منها بخمسة عشر مثقالاً من الذهب [٨] ، فى حين يذكر الوزان عن بيع فتاة عمرها خمسة عشر عامًا تباع بستة دنانير وكذلك الشاب [٩] ، ومعنى ذلك أن هناك تفاوتًا فى أسعار العبيد .

---

[١] ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٠١ .
[٢] بوفيل : تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، ترجمة الهادى أبو لقمة ومحمد عزيز ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازى ، ط٢ ، ١٩٨٨ ، ص ٢١١ ، فرنان برودل : دراسات فى النقود والحضارات من الذهب السودان إلى فضة أمريكا أو من ماسى البحر المتوسط ، بحث ضمن كتاب بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، ترجمة توفيق إسكندر ، مطابع دار النشر للجامعات المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٨٣
[٣] ياقوت الحموى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٣ .
[٤] اليافعى : مرآة الجنان وعبرة اليقطان فى معرفة ما يعتبرون من حوادث الزمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ج٤ ، ص ٧١ ، ابن فهد : اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى ، المملكة العربية السعودية ، ج٣ ، ص ١٧٩ .
[٥] العمرى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٦٨ .
[٦] المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٧٨ .
[٧] الوزان : المصدر السابق ، ٥٤٤ ، وانظر أيضًا ماجدة كريمى : العلاقات التجارية بين المغرب والسودان على عهد المرينيين ، ص ٢٥٣ .
[٨] المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٤٣٩ .
[٩] المصدر السابق ، ص ٥٤٤ .

وقد شجعت الأرباح الطائلة التى حققت من وراء هذه التجارة أهل تكرور على الهجوم على مناطق الوشين وسرقة أبنائهم ؛ لبيعهم إلى التجار القادمين من المغرب [١] ؛ لتعود القافلة محملة بالرقيق الذى كان يباع بالأسواق بساحات خاصة به ، كالتى فى فاس [٢]، أو كانت تباع فى أسواق خاصة أى فى بيوت التجار ، حيث كانت تعقد صفقات لبيع الرقيق لوجهاء القوم والأثرياء ، وكان التجار يجنون من وراء ذلك أرباحًا طائلة [٣] ، ولذا أقبل أهل المغرب على شراء أكبر عدد من الرقيق ، حيث كان يعد هذا من مظاهر الترف والثراء ، فكلما زاد أعداد العبيد لديهم ، دل على ثرائهم [٤]، ولقد اختلفت أثمان العبيد العبيد فى الأسواق باختلاف ألوانهم وأعمارهم وقوتهم الجسمانية ودرجة الجمال فيما يخص الفتيات [٥] .

سلع أخرى :

ومن البضائع التى تهافت عليها المغاربة العاج ، حيث كان يجمع من مدينة ولاته ، ويصدر إلى المغرب ، وكان يستخدم فى نقش المصنوعات الخشبية وترصيعها [٦] ، كما كان يستود الخشب الأبنوس للصناعات الخشبية [٧] ، وكذلك جلود الحيوانات التى تصنع منها السياط ، وتسمى " سرياقات " وتصنع من جلد حيوان يطلق عليه جعفر ، وهو يشبه الفيل [٨] ، بالإضافة إلى الشب الذى كان يستخدمه المغاربة فى صناعة النسيج ؛ لتثبت ألوان الصباغة على المنسوجات [٩] .

---

(١) الإدريسى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٩ .

(٢) ابن ابى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٩٠ ، وانظر أيضًا جمال أحمد طه : مدينة فاس ، ص ٢٣٨ .

(٣) سعاد زكريا محمود عبد الجواد : الرقيق ودوره فى بلاد المغرب من أواخر القرن الرابع الهجرى حتى أواخر القرن السابع الهجرى (٣٦٢ – ٦٦٨ هـ / ٩٧٢ – ١٢٦٩) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، كلية الاداب ، ٢٠٠٨ ، ص ٨٢ .

(٤) كربخال : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٥٤ .

(5) Dufourcq (ch.e) :La Vie quotidienne dans L`europe medievale sous domination arabe , pais , 1972 , p 127

(٦) عبد العزيز العلوى : علاقة التجارة الصحراوية بالتجارة البحرية فى المغرب المرينى ، ضمن ندوة التجارة فى علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثانى ، الدار البيضاء ، ق٢ ، ١٩٨٩ ، ص ٢٧٢ .

(٧) ماجدة كريمى : العلاقات التجارية ، ص ٢٥٢ .

(٨) مجهول : الاستبصار ، ص ٢١٨ ، انظرأيضًا ماجدة كريمى : العلاقات التجارية ، ص ٢٥٣. ٢٥٣.

(٩) عبد العزيز العلوى : صناعة النسيج ، ص ٥٠ .

صادرات وواردات مع مصر والمشرق العربى :

أدت قوافل الحج دورًا مهمًا فى ربط المشرق العربى ومصر بالدولة المرينية ، فقد حملت القوافل فى ذهابها وإيابها بضائع الدول الأخرى ، وهى بذلك تكون وسيلة مضمونة ، لنقل البضائع المغربية إلى مصر وبلاد المشرق فى مواعيد محددة فى كل عام ، ومن الملاحظ رواج سلع الدولة المرينية رواجًا فائقًا فى أسواق المشرق ، حتى إنه قد وجدت سوق يسمى سوق " مسيل " فى مكة المكرمة وتقع بين الصفا والمروة تباع فيها بضائعها(١).

وقد احتل زيت الزيتون مركزًا متقدمًا فى قائمة صادرات بنى مرين نحو المشرق ومصر (٢) ، وكذلك الصناعات الزجاجية (٣) ، بالإضافة إلى الأقمشة والأثواب البديعة الصنع ، وأطلق على هذه الأقمشة اسم " وبر المسك " (٤) ، وكذلك الخيول المغربية (٥) .

أما عن واردات بنى مرين من المشرق العربى ومصر ، فقد جلب إليها من العراق والشام الأثواب البديعة المنسوقة بها المسامر المذهبة (٦) ، كما يأتى من العراق الثريات الزجاجية التى ملئت بها المساجد المرينية (٧) ، وكذلك المسك العراقى المعروف بجودته العالية (٨) ، وتستورد من الشام الفستق وماء الورد (٩) ، كما يجلب من اليمن قماش الجوخ المعروف بألوانه المختلفة ، فكان من البضائع التى يقبل عليها المرينيون ؛ لذلك كان دائمًا فى الأسواق المرينية (١٠) .

---

(١) البلوى : المصدر السابق ، ص ٢٠٧ ، وانظر أيضًا عواطف محمد يوسف نواب : الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز فى القرنين السابع والثامن الهجريين [دراسة تحليلية مقارنة] ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٩٩٦ ، ص ٢٤٥ .

(٢) الوزان : المصدر السابق ، ١٥٤ وانظر جمال الدين : مدينة فاس ، ص ١٤٢ ، محمد عيسى الحريرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٣) ابن سعيد المغربى : جغرافيا ، ص ١٢٧ .

(٤) العمرى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٩٨ ، وانظر أيضًا عبد العزيز العلوى : المرجع السابق، ص ٥٩ .

(٥) ابن سعيد المغربى : المصدرالسابق ، ص ١٤٤ ؛ ابن خلدون : العبر ، مج ٧ ، ج١٣ ، ص٤٠٢ .

(٦) ابن الحاج النميرى : فيض العباب ، ص ١١٤ – ١٢٢ ، وانظر أيضًا على حامد الماجى : المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

(٧) الجزنائى : المصدر السابق ، ص ٧٩ .

(٨) ابن الحاج الفاسى : المدخل ، ج٣ ، ص ٦٨ ، ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج١ ، ص٤١٩. ص٤١٩.

(٩) مجهول : الاستبصار ، ص ١٥٤ ، وانظر أيضًا عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى ، ص٣٢٨ .

(١٠) العمرى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٠٩ .

ويأتى من مصر إلى الدولة المرينية القماش الأبيض المميز المصنوع فى الإسكندرية التى ذاع صيتها فى صناعة الأقمشة الكتانية والحريرة ومذهبة [١] ، ويعد ميناء الإسكندرية من أهم مراكز التبادل التجارى البحرى على ساحل البحر المتوسط [٢] ، كما يحمل من حلب القطن بكميات كبيرة إلى ميناء سبتة [٣] ، ويجلب من الهند العطور والتوابل (فلفل) وكانت مدينة فاس أكثر استعمالا للتوابل ، خاصة الفلفل الهندى [٤] ، كما يجلب من الصين الفخار الصينى متقن الصنع ، وتميز برخص ثمنه [٥] .

صادرات بنى مرين للدول الأجنبية ووارداتها منها :

لعبت دولة بنى مرين دورًا مهمًا فى تصدير الذهب السودانى إلى معظم الدول الأجنبية التى اعتمدت عليه فى سك عملتها [٦] ، بالإضافة إلى تجارة العبيد التى شكلت جزءًا مهمًا بين المرينيين والدول الأجنبية الأخرى إذ جاءت فى المرتبة الثانية من صادراتها إلى الأجانب [٧] ، كما صدرت البندقية معدن الفوسفات وأسماك السردين إلى الدولة المرينية [٨]، بالإضافة إلى مادة النيلج المستخدمة فى صبغة الأقمشة [٩] ، وبعض المصنوعات النحاسية المنتجة فى مدينة سبتة [١٠] ، كما صدرت إلى جنوة الشب السجلماسى [١١] والنحاسى [١٢] ، وصدرت أيضًا الشمع الذى يستخدم فى الإنارة إلى مدن إيطاليا وأراجوان

---

[١] القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٥ ، ص ١٤٣ وانظر أيضًا نجلا محمد عبد النبى : مصر والبندقية العلاقات السياسية والاقتصادية فى عصر المماليك ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ص ١٢٩ .

[٢] العبدرى : المصدر السابق ، ص ٧٩ وانظر أيضًا حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ص٢٨٩ .

[٣] ابن سعيد : جغرافيا ، ص ١٥٤.

[٤] المراكشى : المعجب ، ص ٤٤٤ ، القزوينى : المصدر السابق ، ص ١٢٣ ، وانظر أيضًا (ج) (ج) هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، ترجمة أحمد رضا محمد رضا ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ج٢ ، ص ١٦٨ ، شوقى عبد القوى عثمان : تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الإسلامية (٤١ – ٩٠٤ هـ / ٦٦١ – ١٤٩٨ م) ، عالم المعرفة ، الكويت ، ع ١٥١ ، ١٩٩٠ ، ص ٦٠ .

[٥] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٣ ، ٢٥٦ .

[٦] عادل زيتون : العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، دار دمشق ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٠ ، ص ٤٨ – ٤٩ ، مارك بلوك : مشكلة الذهب فى العصر الوسيط ، ترجمة توفيق إسكندر ، ضمن كتاب بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، مطابع دار النشر للجامعات المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٣٢ ، عبد العزيز العلوى : علاقة التجارة الصحراوية بالتجارة البحرية فى المغرب المرينى ، ص ٢٧٣ .

[٧] كربخال : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣١ ، وانظر أيضًا سعاد زكريا محمود عبد الجواد : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

[٨] ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ١٦١ هامش (٩٧) .

[٩] كربخال : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٢ ، وانظر أيضًا محمد مقر : المصدر السابق ، ص ٨١ .

[١٠] الوزان : المصدر السابق ، ص ٣١٨ .

[١١] مصطفى نشاط : إطلالات ، ص ٩٣ .

[١٢] مصطفى نشاط : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

والبرتغـال [١] ، كمـا صـدرت إلـى البرتغـال جلـود الأغنـام [٢] وكـل أنـواع الحبـوب [٣] ، وصدرت إلى ميورقة الأغنام [٤] ، جلودها التى زاد الطلب عليها بشكل كبير وخاصـة جلـود جلود الأغنام المطبوعة بـالأحمر أو الأصـفر أكثـر مـن جلـود الأبقـار ، ويرجـع ذلـك لـرخص أسعارها فقد صـدرت خمسمائة جلد من جلـود الأغنـام إلـى ميورقـة بعشـرة دنـانير [٥] ، كمـا صدر إليها الصوف الخام ، وكـان يبـاع خمسمائة كيلـو مـن الصـوف كـانوا يبـاعوا بعشـرين دينـار [٦] ، كمـا أخـذ مـن مدينـة فـاس الـورق الـذى عـرف بجودتـه ، ففـى عـام ٧٣١ هـ - ١٣٣٠ م اشترت ميورقة قنطار من الورق من فاس بتسعة دنـانير وسبعة أثمـان دينـار [٧] ، كما استوردت ميورقة بعض المعادن كالنحاس ويباع قنطار النحاس بسبعة جنيهات ميورقيـة [٨] ، كما صدرت بنى مرين لأراجون القمح [٩] ، الـذى تباينـت أسـعاره فكـان يبـاع فـى عـام ٦٨٩ هـ - ١٢٨٩ م بأربعة دنانير للصـاع [١٠] ، بينما فى عام ٧٠٧ هـ - ١٣٠٧ م بيع بستة عشرة دينار ، وسبب ذلك حصار تلمسان [١١] والجلود المدبوغة والخام والصوف [١٢] .

أمـا عـن واردات دولـة بنـى مـرين مـن الـدول الأجنبيـة ، فكـان التجـار الجنويـون يجلبون إلى سبتة التحف يقول المقرى : " بتحـف ممـا يكـون فـى الـديوان ممـا يجلبـه الإفـرنج إلى سبتة " [١٣] ، كما يجلب منها الأقمشة [١٤] ، بالإضافة إلى الزعفران الجنوى الذى لـيس لـه مثيـل [١٥] ويجلـب إليهـا مـن أشـبيلية الزيـت الـذى ذاعـت شـهرته فـى منـاطق كثيـرة ؛ لجودته[١٦] .

---

[١] الوزان : المصدر السابق ، ص ١١٢ .
[٢] الوزان : المصدر نفسه ، ص ١٢٠ .
[٣] الوزان ، نفسه ، ص ٢٠٢ .
[٤] الونشريسى : المعيار المعرب ، ج٩ ، ص ٧٥ .
[٥] جمال أحمد طه : دراسات اقتصادية ، ص ٦٥ .
[٦] جمال أحمد طه : المرجع السابق ، ص ٦٦ .
[٧] جمال أحمد طه : دراسات اقتصادية ، ص ٦٦.
[٨] الونشريسى : المعيار المعرب ، ج١ ، ص ٨٥ .
[9] Dufourcq : I' Espagne . p. 366- 356- 366 .
[10] Dufourcq : Ibid , p. 566 .
[11] Dufourcq : Ibid . p. 568 .
[١٢] مزاحم الشاهرى : المرجع السابق ، ص ١٧٥ .
[١٣] نفح الطيب ، ج٤ ، ص ١٣١ .
[١٤] عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى ، ص ٣٢٨ .
[١٥] ابن الحاج الفاسى : المدخل ، ج٤ ، ص ٧٦ ، القلقشندى : صبح الآعشى ، ج٥ ، ص ٢٢١ .
[١٦] ابن الدلائى : ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٦٥ ، ص ٦٥ ، ابن غالب : فرحة الأنفس ، تحقيق لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج١ ، ج٢ ، ١٩٥٥ ، ص ٢٩٢ ، البادسى : المصدر السابق ، ص ٨٧ .

فضلاً عن التين والعنب والقطن [١] ، كما يجلب إليها الأرز من فرنسا [٢] ، ومن أراجون المنسوجات والأوانى المنزلية [٣] ومن بلنسية النسيج [٤] ، كما استورد المرينيون من غرناطة التين [٥] والثياب الحريرية [٦] والزعفران [٧] .

(١) الإدريسى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٣٩ ، وانظر أيضًا هشام أبو رميلة : علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية فى الأندلس ، دار الفرقان ، نابلس ، ط١ ، ١٩٨٤، ص ٣٨٤ ، مزاحم الشاهرى : المرجع السابق ، ص١٧٥ .
(٢) العمرى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٢٧ .
(٣) مزاحم الشاهرى : المصدر السابق ، ص ١٧٥ .
(٤) المقرى : نفح الطيب، ج٣ ، ص ٢١٧ – ٢٢١ .
(٥) البادسى : المصدر السابق ، ص ٨٩ .
(٦) المقرى : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٢٢٠ .
(٧) ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ١٠٩ ، وانظر أيضًا أحمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ ، ص ٣١٠ .

اصر المتعلقة بالتجارة ، وتعد السمة الرئيسية لإدارتها ، كالتجار بأنواعهم الذين يعدون العنصر الرئيسى لإدارة هذه المنظومة والعملة التى تعد الوسيلة الأساسية لإتمام عمليات البيع والشراء ، فضلاً عن المكاييل والموازين والمقاييس ، ثم يأتى نظام جباية الضرائب ، وهو من النظم التى فرضتها الدولة على التجار ؛ للسماح لهم بممارسة التجارة .

أولاً : أنواع التجار

كان هناك عدة أنواع من التجار يمارسون التجارة داخل المجتمع ، ويصنف التجار على حسب مقدار حجم التجارة التى يديرونها ، وكان ينبغى على التاجر الاتصاف بالجراءة ، وعليه أن يكون بصيرًا بمتطلبات السوق ، وأن يتحلى بالأمانة مع المشترى [١] .

أ) النوع الأول :

ويتمثل فى التجار الصغار الذين يمتلكون حوانيت فى الأسواق وقيسارات وتجار الجملة [٢]، وعن التجار الذين يمتلكون حوانيت داخل الأسواق أطلق عليهم تجار التجزئة حيث كانوا يتاجرون برؤوس أموال محدودة [٣] ، وينقسمون إلى نوعين : الأول : الذين يمتلكون حوانيت فى قيسارية والأسواق الكبرى ، وكانت أحوالهم المادية متيسرة ، حيث كانوا يتاجرون فى السلع ذات القيمة العالية ، مثل الأقمشة الرقيقة والحلى ، أما النوع الثانى : فكانوا أقل حالاً من الأول ، إذ تاجروا فى السلع الاستهلاكية اليومية ، مثل المواد الغذائية ، وكانت حوانيتهم على مقربة من أبواب المدينة فأغلب زبائنهم من المسافرين أو سكان الحى ، كما ظهر البائع المتجول وكان من المستويات الدنيا يتنقل فى الطرقات [٤] .

أما عن تجار الجملة فأطلق عليهم التجار المسافرون أو الركاض لانتقالهم من مدينة إلى مدينة ، سواء أكان هذا الانتقال داخليًا أم خارجيًا لتأمين البضائع لتجار التجزئة والاستفادة من تباين الأسعار [٥] ، و كانت أحوالهم المادية متيسرة ، ويتضح

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص٣٢ ، ابن الحاج الفاسى : المدخل ، ج٤ ، ص ٢٨.

(٢) الجزنائى : المصدر السابق ، ص ٤٤ ، الوزان : المصدر السابق ، ص٢٣٩ - ٢٤٥ .

(٣) لوتورنو: فاس فى عصر بنى مرين ، ص ١٥٨ ، عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى ، ص ٢٧٨ ، مختارحسانى : المرجع السابق ، ج٢ ، ٤١ .

(٤) لوتورنو : المرجع السابق ، ص١٦٠- ١٦١ ، أوليفا ريمى كونستبل : التجارة والتجار فى الأندلس ، تعريب فيصل عبدالله ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٢ ، ص١٠٣، مختارحسانى : المرجع السابق ، ج٢، ص٤١ .

(٥) الدمشقى : الإشارة فى محاسن التجارة ، تحقيق البشرى الشوربجى ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٧٧، ص ٤٩ ، ابن الحاج الفاسى : المدخل ، ج٤ ، ص ٧٦ ، وانظر

ذلك فى منازلهم التى شيدوها [١] ، وعلى رغم من الثراء الذين يجنوه من وراء ذلك ، إلا أنهم كانوا عرضه إلى افلاس ، لتعرضهم لمخاطر الطرق وضياع ثروتهم [٢] .

ب) النوع الثانى :

وهم التجار الكبار الذين يعتمدون على جلب البضائع من الدول الخارجية ، سواء بالطرق الصحراوية المتجهة إلى بلاد السودان ، مثل تجار أغمات وسجلماسة وتلمسان [٣] أو عن طريق الموانئ البحرية ، مثل تجار مدينة سبتة وآسفى ، وتميزت هذه الطبقة باتساع تجارتها الخارجية ، وذلك لاعتمادها على رأس مال يتجاوز الألف دينار ، وسهل ذلك عليهم تجهيز القوافل التجارية التى بلغت فى بعض الأحيان سبعين ومائة جمل فى القافلة واحدة [٤] .

ونتيجة لاتساع تجارة هؤلاء التجار كونوا لأنفسهم شركات تجارية ، وكتب بينهم عقود الشراكة التى يذكر فيها أسماء الشركاء ومقدار المال الذى يشارك كل منهم به وتوزيع العمل على حسب مقدار المال المشارك به أو على حسب العقد المعقود بينهم ، كما نصت العقود علي مدى الفترة التى تستمر خلالها الشركة [٥] ، وقد لجأ التجار إلى تكوين هذه الشركات التجارية ؛ لتقليل الخسارة التى يتعرض لها هذا النوع من التجارة [٦] التى عانت من مشاكل كثيرة ، حيث قد تتعرض تلك القوافل لهجمات قطاع الطرق [٧] ، فيتكبد التجار خسائر كبيرة [٨] ولم يخل الأمر من

أيضًا محمد ناصح : مكانه التجاربين الفئات الاجتماعية المكونة للمجتمع الحضرى المغربي خلال قرن ٦هـ/ ١٢ م ، أعمال ندوة التجارة فى علاقتهم بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب من ٢١-٢٣ فبراير ١٩٨٩ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، القسم الثانى ، ص٨١ – ٨٢ .

[١] لوتورنو: فاس فى عصر بنى مرين ، ص١٥٩.

[٢] البادسى : المصدر السابق ، ص ١٢٩.

[٣] الإدريسى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٣٢ ، العمرى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٩ ، الوزان : المصدر السابق ، ص٣٩١ .

[٤] الإدريسى : المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٣٢ ، انظر أيضًا عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى، ص ٢٧٩.

[٥] عبد الواحد المراكشى : وثائق المرابطين والموحدين ، تحقيق حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٧ ، ص٥٨٣ – ٥٨٤ ، الونشريسى : المعيار المعرب ، ج٥ ، ص٥٩- ٦٢ ، انظر أيضًا جواتين : دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية ، ترجمة عطية القوصى ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٨٠ ، ص ١٧٩- ١٨٠ .

[٦] ابن رشد : فتاوى ابن رشد ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، د . ت ، ج ٢ ، ص ١٠٤٥ ، وانظر أيضًا الحسن بولقطيب : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

[٧] الونشريسى : المعيار المعرب ، ج٩ ، ص ٥٦٧ .

[٨] الونشريسى : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٣٣٢ .

تعرض هذه القوافل إلى التيه فى الصحراء أو الزوابع الرملية الكبرى [١] ، لذلك نجد التجار يفضلون السفر إلى بلاد السودان فى فصل الخريف ؛ لقلة الحرارة واحتمال سقوط الأمطار فى ذلك الوقت ، وهو ما يساعد على ترطيب الجو ، بالإضافة إلى أن هذه الأمطار تؤدى إلى نمو النباتات التى ترعى عليها الإبل أثناء الطريق [٢] .

وقد تميز العصر المرينى بشئ فى غاية الأهمية ، وهو ارتباط التجارة البحرية بالتجارة الصحراوية ، وذلك من خلال هذه الشركات التى عملت على تيسير حركة التجارة ، وخير مثال على ذلك شركة المقرى التجارية التي لها باع طويل فى هذا المجال ، فكان أبو بكر بن يحيى بن عبد الرحمن المقرى له أربعة إخوة اشتركوا جميعاً فى تأسيس شركة تجارية مقرها تلمسان ، ولها فروع فى جنوب الصحراء ، ولكى يضمنوا سلامة هذه الشركة ونجاحها عملوا على تمهيد الطرق الصحراوية وحفر الآبار على طول الطريق كما عملوا على تأمين التجار ، واتخذوا طبلاً للرحيل وراية تقدم عند المسير، وكان الإخوة الأربعة يوجدون فى مراكز الشركة ، فكان محمد وأبو بكر فى تلمسان ، وعبد الرحمن فى سجلماسة ، وعبد الواحد فى فرع الشركة بأيوالاتن ، واستقر بها ، وتزوج من أهلها ، وكان له دار هناك وجرى نظام العمل فى الشركة على النحو الآتى :

ترسل السلع المجلوبة من الموانى البحرية الخارجية من تلمسان إلى السودان ، ويرسل بدلاً منها السلع السودانية ، مثل الجلد والتبر والعاج والذهب ، وكان المقيم فى سجلماسه يقوم بدور المراقب على المكسب والخسارة ويكتب عن أحوال التجارة ومعطيات السوق واحتياجاته [٣] .

وقد نشط العديد من التجار المغاربة فى هذا المجال ، أمثال القائد دحمان الذى ورث الزعامة عن والده ، وكان له تجارة مشهود لها تتردد بين مالى ومراكش[٤] ، وقد ترك لنا ابن بطوطة العديد من أسماء التجار الذين رافقوه أثناء رحلته إلى بلاد السودان ، منهم التاجر التلمسانى الذى يعرف بالحاج زيان وتاجر آخر يعرف بأبى بكر بن يعقوب [٥] .

---

[١] محمد زنيبر : تجارة القوافل ، ص١٢٩ .
[٢] الإدريسى : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠١ ، السعدى : المصدر السابق ، ص ٧٢ .
[٣] ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٢ ، ص ١١٦ – ١١٨ ، المقرى : نفح الطيب ، ج ٥ ، ص٢٠٦ ، انظر أيضًا عبد الأحد السبتى وحليمة فرحات : المرجع السابق ، ص ١٤٧- ١٤٨ .
[٤] الهادى المبروك الدالى : مملكة مالى ، ص ١٣٨ – ١٣٩ .
[٥] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٨٣ – ٤٢٥ .

وكانت السلطات المالية تعمل على حماية مصالح التجار وأمانهم وتأمين تنقلهم من مكان إلى آخر ، لذا تقربت الجالية المغربية من دائرة الحكام والأغنياء عن طريق المصاهرة ، مثل محمد ابن الفقيه الجزولى الذى كان شيخ المغاربة ، وكان متزوجًا من بنت عم السلطان (١) ، وكانت سياسة المصاهرة متبادلة بين الطرفين ، فحرص السودانيون على الزواج من التجار المغاربة ، فنجد ملك تمبكتو قد زوج اثنتين من بناته من أخوين تاجرين لغناهما (٢) .

كما عرفت التجارة المغربية الخارجية نوعًا آخر من الشركات يقوم على أساسه القرض ، وذلك عن طريق أن يقدم طرف رأس المال والآخر يشاركه بعمله ، ويتقاسمان الربح فيأخذ صاحب المال الثلثي والطرف الثانى يأخذ الثلث دون المساس برأس المال الأصلى (٣) .

وقد وردت العديد من الأخبار عن هذه الشركات ، عن تاجر من سبتة سافر إلى ميورقة ومعه أموال قراض ليتاجر بها وذلك فى عام [٧٠٠- ٧٠٢هـ / ١٣٠٠ - ١٣٠١م] (٤) كما أورد الونشريسى العديد من قضايا القراض ، فعن رجل دفع لناس مالاً وأعطاهم سفينة ، على أن ينقسم الربح بينهم ، فيأخذ صاحب المال الثلثين ويأخذ الآخرون الثلث (٥) .

ج) النوع الثالث : العاملون فى التجارة

ظهرت طبقة أخرى من طبقات التجار وهم العاملون فى مجال التجارة ، ويقع على عاتقهم تيسير أمور التجارة ، مثل الوكيل والسمسار والدلال والصيارفة .

---

(١) ابن بطوطة : نفس المصدر والجزء ، ص ٣٩٨ .

(٢) محمد الشريف : الجالية المغربية ببلاد السودان الغربى (ق ٨ هـ / ١٤ م) وملاحظات حول دورها فى التفاعل الحضارى بين ضفتى الصحراء ، بحث نشر على الموقع الالكترونى :
http://www.attarikhalarabi.ma/Html/adad15partie16.htm

(٣) عبد الواحد المراكشى : الوثائق ، ص٦٠٠ ، وانظر أيضًا محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص ٦٩ ، صابر عبد المنعم محمد على البلتاجى : النظم والمعاملات المالية فى المغرب عصر دولة الموحدين [٥٢٤ – ٦٦٨ هـ / ١١٣٠ – ١٢٦٩ م] رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص ٢١١ .

(4) Dufourcq : L'Espagne , p . 178 .

(٥) الونشريسى : المعيار المعرب ، ج ٨ ، ص ٢٠٥ - ٢٠٨ ولمزيد من التفاصيل عن قضايا القراض وتوزيع الأرباح راجع نفس المصدر، ج٩، ص ١١٨- ١١٩ .

١- **الوكيل :**

اتخذهم التجار الوكلاء ؛ ليسهلوا عليهم عملية البيع والشراء ، والوكالة " هى نيابة ذى حق غير ذى إمرة ولا عبادة لغيره فيه غير مشروطة بموته " [١] ، وجعل بعض الفقهاء ولاية الأمر وكالة ، واشترطوا فى الوكالة أن يكون الوكيل مسلمًا [٢] .

وهناك وكالة الخاصة التى كان الوكيل فيها يوكل بمسألة معينة دون غيرها ، وهناك وكالة العامة ، وهى وكالة مطلقة فى جميع الأمور [٣] ، وكان الوكيل يعمل فيها بمقتضى عقد مكتوب بينه وبين التاجر يتحدد فيه الأجر الذى سوف يقتضيه من التاجر مقابل عمله ، كما وجب على الوكيل استئذان الموكل فى البيع ، كما يستطيع الموكل عزل الوكيل متى شاء ، وإذا قام الوكيل بالتدليس فى عملية البيع وثبت ذلك ، ترد البضائع مرة أخرى [٤] .

ومن نوازل الونشريسى عن الوكالة ،عن رجل مريض وله ولد غائب ، ووكل ذلك المريض شخصاً لبيع حماره لرجل آخر ، وعندما توفى المريض وعاد ابنه الغائب وطالب بالحمار من المشترى الذى أقر أنه اشتراه من فلان بإذن من والده، أجاب الولد أن والده كان لا يفهم ولا يعقل ، فهل يقبل ردا المشترى برد الحمار ؟ أجاب الفقيه لا يقبل قول مدعى الشراء إلا إذا قام بالبينة على قوله ، وإن لم يكن يستطع تقديم البينة على قوله ، أجبر على رد الحمار [٥] .

كما سئل عن ولد وكل أباه بالبيع ، فوجد الأبن من الأب سوء نظر ، حيث باع بثمن فيه غبن ، فهل يفسخ الابن البيع ؟ فأجاب الفقيه بأن الشرع أقام الأب وكيلاً لابنه لا يتصرف إلا وفق المصلحة ، فإن خالف رد فعله [٦] .

---

(١) البرزلى : فتاوى البرزلى جامع مع مسائل الأحكام ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الأسلامى ، بيروت ، ط١ ، ج ٣ ، ٢٠٠٢ ، ص ٤٦٧ .

(٢) المغيلى التلمسانى : مصباح الأرواح في أصول الفلاح ، تحقيق رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ١٩٦٨، ص ٤٢ .

(٣) الونشريسى : المصدر السابق ، ج٦، ص٢١٣ – ٢١٤ .

(٤) عبد الواحد المراكشى : الوثائق ، ص ٥١٧ - ٥١٨ ، البرزلى : المصدر السابق ، ج٣ ، ص٤٧٠ ، القاضى عياض ولده محمد : مذاهب الحكام ، ص٢٣٣- ٢٣٤ .

(٥) الونشريسى : المعيار المعرب ، ج٥ ، ٢٦٨ .

(٦) الونشريسى : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص١٢٨ .

٢- السمسار والدلال:

كان السمسار والدلال يعمل كل منهما وسيطًا فى عملية البيع والشراء بين التاجر والمستهلك ، فالدلال هو شخص على دراية واسعة بمطالبات السوق ، ويتخذ لنفسه حانوتًا فى السوق ؛ لتصريف أعماله ، وينزل عليه التجار الغرباء والمسافرون ؛ لبيع سلعهم ؛ وكان للدلالين زقاق خاص بحوانيتهم فى مدينة فاس[١] ، وكان الدلال يأخذ مقابل عمله نسبة من ما تباع به السلع ، وقد عرف المرابطون ومن بعدهم الموحدون دخْل التجار من خلال الدلالين ، ومن ذلك الوقت تقدر الدولة الضرائب الواجبة على كل تاجر على أساس هذه المعرفة ؛ ولهذا لجأ بعض التجار إلى الاتفاق مع الدلالين ؛ حتى يتجنبوا دفع المغارم ، واستطاع كثير من الدلالين أن يكونوا ثروات ضخمة ؛ بسبب ذلك ، كما أنهم يبيعون السلعة بأكثر من السعر الذى يحدده التاجر، وهو ما جعل الموحدين يتخذون دار الأشراف مركزًا لمبيعات التجارالغرباء، أما على عهد بنى مرين ، فكانت تباع فى الفنادق ، ولكن لم تختلف مهامهم عما سبق[٢] .

أما السمسار فقد عرفت مهنته من قبل ظهور الإسلام ، وظلت على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبعده ، وهو متولى البيع والشراء لغيره ، قيل عنه إنه القيم بالأمر الحافظ له ، ويقوم بعملية الوساطة بين البائع والمشترى مقابل أجر سميت "سمسرة " ، إلا أن السمسار ليس له حانوتًا كالدلال ، إنما يمارس عمله متجول فى الأسواق [٣] ، ويساعده فى ذلك المنادى على السلع [٤].

وقد مارست المرأة فى ذلك العصر مهنة الدلالة ، فنجدهن يحملن بضائع التجار إلى المنازل ، ويتقاضين أجورًا على البيع ، فضلاً عن أنهن كن المتصرفات يقضين حاجات النساء من الأسواق [٥] .

---

[١] السقطى : المصدر السابق ، ص ٥٩ ، كربخال : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٤٩ انظر أيضًا عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى ، ص٢٨٣ .

[٢] عبد الواحد المراكشى : وثائق ، ص ٥٩٥ ، وانظر ايضًا عز الدين موسى : المرجع السابق ، ص ٢٨٤ ، الحسن أبو القطيب : المرجع السابق ، ص ١٠٠.

[٣] ابن منظور : المصدر السابق ، ص٢٠٦٣ ، وانظر أيضًا عثمان الكعاك : المرجع السابق ، ص ٦٥ ، محمد عمارة : المرجع السابق ، ص٢٩٤ .

[٤] لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ١٥٥ .

[٥] الونشريسى : المعيار المعرب ، ج٥ ، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ ، وانظر أيضًا عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى ، ص ٢٨٤ .

ومن الصفات الرئيسية التي كان يجب أن يتحلى بها الدلال أو السمسار الأمانة ، فيذكر البادسى أن أحد السماسرة قد وصف دارًا " بأنها موحشة مفزعة ولا يقدر أحد على سكناها " ، وهذا دليل على أمانة السمسار [١] إلا أن هذه الصفة لم تكن السائدة فى كل من عمل فى هذا المجال ، فكانت أمانة السمسار والدلال موضع اختلاف ، فوصفهم ابن الحاج الفاسى بأن بعضهم اتصفوا بالغش والتدليس وتزيين السلع فى عين الزبون [٢] ، وهو ما جعل اختلاف الآراء فى السمسار والدلال موضع خلاف فى عديد من القضايا النزاع ، فيذكر الونشريسى عن شهادة الدلالين فى بيع ما باعوه وأخذوا عليه الأجرة ، ثم أنكره المبتاع وادعاه عليه البائع ، فأجاب بإعمال شهادتهم إذا كانت العدالة موجودة فيهم [٣] .

ونتيجة لهذا أيضًا كان مدى مسئولية السمسار تجاه البضائع موضع خلاف ومشاحنات يومية ، فهل من المفترض عليه تحمل مسئولية البضائع إذا ضاعت أو تلفت واختلطت فى السوق أولا ؟ فنجد الفقيه لا يحمله المسئولية ، بشرط توفر الأمانة فيه ، إلا أنه فى مدينة سبتة كان على السمسار تقديم ضمانات بسبب قلة أمانتهم [٤] .

وكثيرًا ما كانت تحدث خلافات بين السماسرة والتجار ، فأورد الونشريسى نازلة عن سمسار عرض بضاعة للبيع وارتضى صاحب البضاعة الثمن الذى وصل إليه السمسار ، إلا أن السمسار تفاوض مع المشترى وزاد عليه فتجدد المزاد ، فسئل الفقيه هل تقبل هذه الزيادة أم أن البيع انعقد ولا يصح الرجوع فيه ؟ فأجاب الفقيه أن الزيادة يمكن أن تكون على وجهين الأول : هو أن البائع أراد أن يعطى البضاعة للمشترى ، فأصبح البيع منعقد ولا يصح الرجوع فيه ، والثانى : أن يكون وافق البائع على بيعها إلى ذلك المشترى ما دام ليس هناك سعر أعلى ، وإذا زاد السعر فلا مانع ما دام المشترى لم يستلم البضاعة ، وهو الغالب والمتبع فى العرف لذلك فالزيادة هنا مقبولة [٥] .

وقد تسببوا (السمسارة والدلالين) فى بعض الأحيان فى إخلال ميزان البيع والشراء داخل الأسواق والإضرار بصغار التجار الذين يمتلكون حوانيت بالأسواق ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٩ – ٧٠ .
(٢) المدخل ، ج٤ ، ص٧٨ – ٧٩ .
(٣) الونشريسى : المصدر السابق ، ج١٠، ص ٨٥ .
(٤) القاضى عياض ولده محمد : مذاهب الحكام ، ص ١٦٢- ١٦٩ ، الونشريسى : المصدر السابق، ج ٨ ، ص٣٦٢ – ٣٦٣ ، وانظر أيضًا محمد الشريف : سبته الإسلامية ، ص٦٢ .
(٥) المعيار المعرب ، ج ٥ ، ص ٢٢٠ .

حيث يدخل المشترى إلى السوق قاصدًا الحانوت للشراء ، غير أنه سرعان ما يجد السمسار ينادى على السلع نفسها ولكن بسعر أقل من الحوانيت ، فيتجه إليهم ويترك التجار، فرأى أصحاب الحوانيت منعهم من البيع فى أول النهار أو وسطه ؛ بسبب الأضرار التى وقعت عليهم [١] .

٣- الجلاسون:

الجلاسون أصحاب مهنة قديمة منذ العصر المرابطى ، فهم الوسطاء بين الدلال والتاجر، فينزل التجار الغرباء عندهم فى حوانيتهم ، وكلما جاء أحد ليشترى البضائع ، زاد الجلاس عليه حتى يبلغ السعر الذى حدده الدلال أو أكثر منه ، وتقاسما فرق الأسعار ، كما أنه كان يشتري السلع التي تباع بالتقاضى وبالتأخير إلى أجل وبيع السلع بأزيد من ثمنها ، وكان هؤلاء يحتالون على المخزن ؛ لذلك منع الجلاسون من الأسواق فى عهد الموحدين، إلا أنهم وجدوا فى الأسواق المرينية مرة أخرى ، ولعب اليهود دوراً بارزاً فى هذا المجال ؛ لتحقيق الأرباح من خلال أعمال الربا [٢] .

٤ - القشاشون:

القشاشون هم المتصرفون فى بيع وشراء الأملاك وفقًا لغلاء الأسواق وأسعارها [٣] ، كما عرفهم ابن غازى بأنهم فئة من الوسطاء منحهم المخزن امتياز استخلاص نصيبه من المحاصيل الزراعية من الفلاحين ، فيقومون بتحديده وتقديره والإشراف على بيعه بالمزاد العلنى بحضور كبار الموظفين خاصة العمال وأصحاب الأشغال المخزنية [٤] ، وقد عرفوا عند أهل مراكش بالمرابعين وهم القشاشون الذين يبيعون ويشترون زيتونًا وعنبًا وخضروات مقابل ربع الأرباح [٥] .

٥- الصيارفة:

ونتيجة لانتشار الشركات التجارية القائمة على القراض ، ظهرت طائفة الصيارفة الذين غلب على معاملتهم الفساد والربا ، وبرز اليهود فى هذا المجال ، فحققوا ثروات طائلة من الربا ، ومن هنا وضع الفقهاء للتجار المحاذير والحدود التى

---

(١) الونشريسى : نفس المصدر والجزء ، ص ١٩٧ وما بعدها .
(٢) السقطى : المصدر السابق ، ص ٥٩ ، ابن عبد الرؤوف : المصدر السابق ، ص ٨٥ ، الونشريسى : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص٦٣ – ٦٤ .
(٣) ابن مرزوق : المسند ، ص ٣١١- ٣١٢ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٢٤ .
(٥) عبد الملك المراكشى : الذيل والتكملة ، سفر ٨ ، ق١ ، ص١٧٧- ١٧٨ .

يجب الالتزام بها فى التعامل مع الصيارفة اليهود الذين وصلت نسبة أرباحهم ما بين ٦٠٪ و ١٠٠٪ [١] .

٦ - أنواع البيع:

البيع كلمة عربية تستعمل فى اللغة لمصدرين يدلان على عقد البيع ، وهما : بيع وشرى [٢] ، وقد تعددت أنواع البيوع فى عصر بنى مرين ، وفق ما ورد فى المصادر المختلفة ، وهو ما نتناوله فيما يلى :

أ) البيع بالنقد :

كان البيع بالنقد أكثر أنواع البيوع استخدامًا وشيوعًا فى المعاملات التجارية ، وخاصة فى الداخل ؛ لتسيير أوجه الحياة اليومية من شراء وبيع الغذاء والدور والملابس .. إلخ[٣] ، إلا نتج عنه بعض المشاكل فذكر الونشريسى نازلة عن رجل سئل عمن اشترى بضاعة أو دابة بالنقد وعندما طولب بالسداد لم يدفع وطلب التأجيل، فهل يجاب طلبه ؟ فأجاب الفقيه بأنه يجبر المشترى على المشترى التعجيل بالدفع ، وإلا يؤخر به فى أضيق الأمور بما يضر بالبائع كثلاثة أيام أو نحوها ، وإذا ثبت أن ليس عندالمشترى مال يكفى ، يحلف على ذلك ، يؤجل حينئذ فى بيع ما هو أسرع بيعًا من ماله فى جميع الوجوه ضامنًا [٤] .

أما فى مجال التجارة الخارجية ، فظلت العملات الذهبية ، أى العملة النقدية هى المتصدرة أنظمة التعاملات التجارية ، فكان التجار المغاربة حينما يتوجهون إلى البلاد الأوروبية أو المشرقية للتجارة يحملون معهم العملة المغربية ؛ ولأن التعامل بالنقد يواجهه مشكلة فى تعدد العملة والأوزان ، عمل التجار على التغلب على هذه المشكلة ، من خلال تحديد قيمة الصرف وطبيعة النقد ومكان إصدار العملة ، وكل ذلك يكتب فى العقود ؛ حتى لا يقعوا فريسة فى أيدى الصيارفة الذين يحددون قيمة الصراف حسب مصالحهم [٥] .

---

(١) الونشريسى : المعيار المعرب ، ج١٢ ، ص ٦٤ ، ج٥ ، ص ٢٤٤ ، وانظر أيضًا عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى ، ص٢٨١.

(٢) ابن منظور : المصدر السابق ، ص ٤٠٢ وانظر أيضًا خورشيد : بيع ، دائرة المعارف الإسلامية ، مج٩ ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ٢١٨ – ٢١٩ .

(٣) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص٤٠٩- ٤١٠ ، ابن مرزوق : المسند ، ص ١٤٣ ، ابن المؤقت : السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، تحقيق حسن جلاب وأحمد متفكر ، المطبعة وراقة الوطنية ، مراكش ، ط١ ، ٢٠٠٢ ، ج١ ، ص١٢٥ .

(٤) المعيار المعرب ، ج٥ ، ص٢٨٠.

(٥) ابن يوسف الحكيم : المصدر السابق ، ص١٠٧ وانظر أيضًا محمد الشريف : سبتة الإسلامية، ص ٦٤ .

ب) بيع السلف:

ومن بين أساليب البيع التى وجدت داخل الأسواق بيع السلف ، ويكون عن طريق دفع قسط من ثمن السلعة ، على أن يؤجل تسديد القسط الآخر ، أو ترهن بضاعة بثمن البضاعة المشتراه (١) ، وانتشر هذا النوع من البيع فى المناطق التى بين المدن والبوادى ؛ من أجل تأمين سبل المعيشة الأساسية لتلك المناطق حتى موسم الحصاد ، ويستطيع المشترون تسديد ما عليهم كما أباح الفقهاء هذا البيع بشرط ألا يزاد فى الثمن ولا ينقص فيه (٢) .

ج) بيع بالمزايدة:

كانت عملية البيع فى الأسواق تحدث عن طريق المزاد العلنى من خلال المزايدة بين الناس فى الأسعار (٣) ، ويقع المزاد على صاحب العطاء الأخير بالسعر الذى يوافق عليه التجار (٤) ، وكان من الممكن بيع أى شئ فىالأسواق (٥) من خلال المزايدة حتى الكتب (٦) ، ويبدأ المزاد من الظهر حتى العصر (٧) .

د) بيع المضغوط:

هو الذى تضطره ظروفه لبيع أشياء أو بضاعة ليحل بثمنها أزمته ، واختلاف الفقهاء حول صحة هذا البيع أو بطلانه ، فمعظم الفقهاء يرون أنه يجب الرجوع فيه ، بينما عدد من فقهاء فاس كانوا يميلون إلى صحة هذا البيع ، ويأتى على رأسهم القاضى الفشتالى (٨) ، الذى كان يرى أن هذا بيع المضغوط أحق باللزوم باللزوم من غيره لأنه أنجى بنفسه (٩) .

هـ) بيع المشروط :

---

(١) ابن الزيات : المصدر السابق ، ص١٩٠- ١٠٠.

(٢) الونشريسى : المرجع السابق، ج ٦ ، ص ٣٠٨ وانظر أيضًا مزاحم الشاهرى : المرجع السابق ، ص ١٥٦.

(٣) لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص١٥٥ .

(٤) الونشريسى: المصدر السابق ، ج ٨ ، ص٣٦١ .

(٥) الونشريسى : المعيار المعرب ، ج٦، ص٧٢- ١٥٢.

(٦) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ج ١، ص١٥٣.

(٧) لوتورنو: فاس فى عصر بنى مرين ، ص١٥٥.

(٨) القاضى الفشتالى : أبو عبدالله محمد بن أحمد الفشتالى الفاسى ، قاضى الجماعة بها ، وسلفه من أهل الصلاح والخير ، كان من أكابر الفقهاء المشاركين من العلوم ، وتقدم فى علم الوثائق واشتهر بها ، كان متحفظا للسانه لايتكلم إلا فى ضرورة ، توفى عام ٧٧٩ هـ /١٣٧٧ م (النباهى: تاريخ قضاة الاندلس وسماه المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء الفتيا ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربى ، دار الآفاق العربية ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ٢٠٩-٢١٠) .

(٩) الونشريسى : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص٤٠.

وكان من ضمن أنواع البيوع البيع المشروط ، بمعنى أن يشترط البائع على المشترى شرطًا ما وإذا ما لم يلتزم بالشرط ، يعد البيع باطلاً ، كما أورد الونشريسى، فذكر أنه سئل رجل باع رحى أو معصرة الزيتون ، على شرط أن يطحن فيها كذا وكذا لسنة ، وقد عرف الناس والمشترى ما يطحن ما له من زيتون ، فأجاب الفقيه لا بأس به ، فإن لم يضرب لذلك أجلا فالبيع مفسوخ [١] .

و) بيع الجزاف :

هو بيع دون كيل أو مقياس للبضاعة ، وقد أفسده العلماء ، حيث اشترطوا معرفة الكيل بالضبط لصحة البيع ، وإلا عُدَّ البيع باطلاً ، وجاز البيع فى بعض الأحيان إذا كان الطرفان راضيين ، " وسئل عن بيع الجزاف هل لابد أن يكون المتبايعان عارفين بالحزر والتخمين أو لا يلزمهما ذلك ؟ فإن قلتم لابد فهل ذلك فيما يباع جزافًا أم لا ؟ فإن قلتم فى كل ما يباع جزافًا فهل يدخل فى ذلك حزر الصوف والحديد والنحاس وكذلك اللحم يباع عندنا أكداسًا على بساط أو على حجر ، فهل يجتزئ بالنظر إليه بقصد القلة والكثيرة دون ما فيه من الوزن أم لا ؟ فأجاب الفقيه من شرط البيع العلم بالمقدار ، والعلم يكون بالكيل والوزن والعدد ، وكل ما يوزن أو يكال يصح فيه الجزاف ، شرط أن يكون المتبايعان عارفين بالحزر والتخمين ، وما جرت به العادة يبيعونه من غير وزن ، وهو مما الأصل فيه بيعه بالوزن ، وقال بعض الأشياخ من شرطه أن يعرف قدره بما اشتراه قبله ، فيقول هذا مثل ما اشتريت قبل هذا بكذا [٢] .

ولكن وفى بعض الأحيان لا يجوز بيع الجزاف فى بضائع معينة ، فيذكر الونشريسى عن رجل سئل عن رجل يشترى من الرجل كل ما فى وعائه من الطعام، كل قفيز بكذا بكذا فتفضل فيه ، فأجاب الفقيه : أنه لا يجوز له أن يشتريها جزافًا ، ولكن يكيلها بالمد ، وكذا الذى يبقى من عوائد الكتان مظفرا لا يجوز إلا بالوزن أو ما يحل جزافا إذا كان ما يشترى منه الكتان على ما وصفته كل ربع بكذا ، ولا يجوز شراء الكتان مظفرًا اذا لم يعلم يقينا بمبلغ خطره ، فيقول البائع أشترى ، على أن يكون ربعه وثلثه مظفرا إلا أن يعلم تظفيره [٣] .

كما يمكن بيع الجزاف على حسب عادة البلد ، فسئل عمن يشترى مثلا مدين غير ربع بدرهم ، فلم يكن عندهما عيار ربع المد ، فيدفع البائع جزافا بتراضيهما ،

---

(١) الونشريسى : المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٢٥٦.
(٢) الونشريسى: المعيار المعرب ، ج٥ ، ص٩١.
(٣) الونشريسى : المصدرالسابق والجزء ، ص ٢٤٨ .

فأجاب الفقيه : إن كان عادتهم فى ذلك الدخول على التحرى ، جاز ذلك على خلاف فيه ، وقد أجاز فى المدونة ابتداء السلم فى اللحم تحريًا ، ولم ينص على الضرورة فمع ذلك أجوز ، وان كانت عادتهم الكيل وعقد على الكيل فى القليل ، فقد وجب المشترى كيل المعلوم أخذ عنه مجهولاً [(١)] .

ز) الحوالات المالية:

وهى مأخوذة من التحويل بمعنى الانتقال ، وتقوم هذه العملية على تحويل قدر من المال لشخص فى البلد الذى يريده بعملة هذا البلد ، ويقوم الصرافون بمهمة تحويل تلك الحوالات إلى نقود ، مقابل خصم قدر من المال من المبلغ المحول ، وكانت تحدث هذه العملية من خلال المراكز التجارية المشتركة بين البلدان [(٢)] .

وقد حذر الفقهاء من استخدام هذه الوسيلة ؛ لما فيها من شبهة الربا [(٣)] ، كما كان أكثر الصرافين يهودًا فانتشر الغش فى الحوالات فتعد بذلك مفسوخة ، فمثلاً لا يجوز أن يكون الدين ذهبًا ، ويؤخذ التحويل بالفضة [(٤)] .

ع) المقايضة:

كانت المقايضة أحد أشهر أنواع المعاملات المالية المعروفة فى المغرب ، وعرفت بالنقود السلعية (Commodity money) ، وازداد التعامل بهذه الوسيلة خاصة فى المعاملات التجارية مع بلاد السودان ، فيذكر ابن بطوطة " أن المسافر إلى هذه البلاد لا يحمل زادًا ولا إدامًا ولا دينارًا ولا درهمًا ، إنما يحمل قطع الملح وحلى الزجاج وبعض السلع العطرية ، وأكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكا ودقيق اللوبيا ، فإذا وصل فيشترى منهن ما أحب من ذلك " [(٥)] وهذا دليل على شيوع استخدام هذه الوسيلة .

---

(١) الونشريسى : المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ١٣٥ .

(٢) ابن رشد : شرح بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، تحقيق عبد الله العبادى ، دار السلام ، القاهرة ، ١٩٩٥، مج٢ ، ص٣٦٣ وانظر أيضاًعبد العزيز بن عبد الله : البادية واشعاعها الحضارى ، ص٦٦ .

(٣) الونشريسى : المعيار المعرب ، ج ٦، ص ١٣٠.

(٤) ابن يوسف الحكيم : المصدر السابق ، ص ١٣٦ وانظر أيضًا عطا على شحاته رية : اليهود فى بلاد المغرب الأقصى فى عهد المرنيين والوطاسيين ، دار الكلمة للطباعة والنشر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٩، ص ١٧٨.

(٥) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص٣٩٣ – ٣٩٤ .

ويعد الملح من البضائع المهمة التي تقوم عليها المقايضة فى هذه المناطق ، وعرفت باسم التجارة الصامتة فيأتى تجار المغرب بالملح والودع وبضائع أخرى فى المكان المتفق عليه ، ثم يختفون ، وحينئذ يخرج السودانيون ويضعون بجوار كل كومة من الملح أو البضائع الأخرى ما يرونه يعادل قيمتها من الذهب ثم يختفون ، ثم يظهر التجار ، فإذا اقتنعوا بقيمة الذهب ، حملوه وانصرفوا بعد أن يضربوا الطبول معلنين انتهاء السوق ، وإذا لم يرتضوا هذه القيمة ، يتركون كل شئ مكانه ويختفون مرة أخرى ، فيخرج السودانيون ويزيدون من كمية الذهب ويختفون مرة أخرى ، وتكرر هذه العملية ؛ حتى يرضى كل من الطرفين [١] .

ومما لا شك فيه أن أسلوب المقايضة المتبع مع بلاد السودان كان مربحًا جدًا للتجار المغاربة ، فكانوا يستغلون احتياج السودانيين لبضائعهم وإقبالهم عليها ، وهذا يتضح فى البضائع المتبادلة ، فمقابل فرس واحد كان السودانيون يعطون التجار المغاربة ثمانية عبيد ، ومقابل حصولهم على مترين من الثوب الخشن كان عليهم إعطاء صبى ، ومقابل ثوب من القماش البندقى عليهم إعطاء خمسة عبيد [٢] ، وربما يرجع ذلك إلى كثرة الضرائب التى فرضها ملوك السودان على التجار " فكان ملكها يفرض على كل حمار يحمل دينارا من الذهب فى حالة دخوله البلد ، ودينارين عند خروجه ، وكان يأخذ على حمل النحاس خمسة مثاقيل ، وعلى حمل المتاع عشرة مثاقيل " [٣] وبذلك تكون دولة مالى قد حققت أرباحًا طائلة من كل البضائع القادمة إليها ، وبخاصه البضائع باهظة الثمن ، كالمنسوجات الأوربية الحريرية المصبوغة والخيول [٤] بالاضافة إلى أنهم قد فرضوا الضرائب على استخراج المعادن كالنحاس [٥] .

وفى بعض الأحيان كانت عمليات المقايضة ينجم عنها بعض المنازعات ، كالتى حدثت فى عام ٧٨٤ هـ /١٣٨٢ م ، حيث قام أبو العباس أحمد أبوسليم المرينى أمير تلمسان فى ذلك الوقت بعملية مبادلة مع تجار ميورقة ، وذلك من خلال مخزون البضائع الموجودة فى المخازن السلطانية من منتجات الزيت والفلفل الغانى ، حيث بادلها بأصواف قادمة من ميورقة ، وكانت عملية المبادلة هذه سببًا فى حدوث نزاع بين الطرفين ؛ بسبب الطريقة المستبدة التى حدثت بها عملية التبادل عن طريق

---

(١) العمرى : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص٧١- ٧٦ ، انظر أيضاً إبراهيم طرخان : دولة مالى ، ص١٤١.
(٢) الوزان : المصدر السابق ، ص ٥٤٤.
(٣) السعدى : المصدر السابق ، ص ٧.
(٤) الوزان : المصدر السابق ، ص٥٤١.
(٥) العمرى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٤٨.

الأمير المرينى ، حيث طالب تجار ميورقة هذا الأمير بدفع قيمة الأصواف نقدًا ، ويبدو أن النزاع تفاقم بينهم حتى تدخل السلطان المستنصر بالله أحمد بن أبى سالم المرينى (٧٧٥ - ٧٨٦ هـ / ١٣٧٣ - ١٣٨٤ م) لحل هذه الأزمة ، فسدد قيمة الزيت والفلفل للتجار لحل الأزمة [١] .

ل) فساد البيع :

مع حركة السوق من بيع وشراء ظهرت لنا العديد من القضايا والمنازعات بين الناس ، فيحكم الفقهاء فيها ، وكانت هناك بعض الأمور التى إذا وجدت ، فسد البيع ، مثل التدليس والتزييف فى البضائع ، كبيع الرطب باليابس ، أى إذا فسدت السلع ، فسد العقد [٢] ، وسئل عن الذى يشترى البقرة الحامل رجاء اللبن ، وقال إنما يشتريها بقصد اللبن ، فلما وضعت حملها لم يكن لها إلا شئ يسير لا يشجع ، فأجاب الفقيه أنه عيب وترد به [٣] ، وكل شئ دخل فيه الربا فسد عقده ، ما لم يصلح بيعه قبل استيفائه ، وذلك فيما يختص بالطعام [٤] .

ى) الموثقون :

ارتبط بعملية البيع والشراء وعقد العقود ظهور فئة الموثقين أو العدول ، وهم أعوان القاضى ، وكانوا مكلفين بالإشراف على سير الدعاوى ، ولا يمكن الاستغناء عنهم فى السير فيها ، كما أن هؤلاء الموثقين مسئولون عن صناعة العقود مقابل مبلغ من المال[٥] وإذا كان القاضى هو الذى صحح العقود أو كتب مسودة العقد ، فيمكنه أن يأخذ جزءًا من الأجرة ، اذا أراد ذلك ، حيث لم تكن مرتبات القضاة لا تكفيهم فى بعض الأحيان ، فيلجأون إلى العمل مع الموثقين [٦] ، وكانت لهؤلاء الموثقين حوانيت خاصة بهم ، وعرف مكانهم فى مدينة فاس باسم سماط الموثقين بالقرب من جامع القرويين [٧] ، وغالبًا ما تكون حوانيتهم ملاصقة

---

(1)Dufourcq : Commerc du Mughreb , p .168

(٢) ولمزيد عن فساد البيع راجع البرزلى : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٥.

(٣) الونشريسى : المعيار المعرب ، ج٥ ، ص ٦٣.

(٤) البرزلى : المصدر السابق، ج٣ ، ص١٥.

(٥) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ج٢ ، ص٥١٧ وانظر أيضًا لوتورنو: فاس فى عصر بنى مرين ، ص ٨٤ .

(6)Lagardere (Vincent): Histoire et socieie en occident musulman au moyen age analyes du miyardal –w ansaris ,Madrid, 1995 , p . 445.

(٧) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص٧٠ ، الجزنائى : المصدر السابق ، ص٦٥.

للمسجد[١] ، وكان هؤلاء الموثقون من أهل العلم والدين ، كما كانوا على دراية واسعة بعادات المجتمع وتقاليده ، ويعرفون الأسر الرئيسية في المدينة معرفة جيدة[٢]، وكان لهذه الطائفة رئيس ، فكان الشيخ أبو فارس عبد العزيز بن أبى إسحاق إبراهيم بن عبد العزيز بن أحمد بن عبد الرحمن بن رينية الهوارى الجزرى (ت٦٨٩ هـ / ١٢٩٠م) مقدم الموثقين فى مدينة سبتة[٣] .

ثانيًا : النظام الضرائبى

أ- العشور التجارية :

حرصت دولة بنى مرين على تنظيم بيت مالها ، وذلك من خلال اعتمادها على الشرع فى تحصيل موارده الشرعية وهى : الزكاة والخراج والجزية والعشور التجارية والغنائم [٤] .

العشور التجارية : وهى رسوم تؤخذ من التجار الأجانب الذين يفدون ببضائعهم إلى الأراضى الإسلامية ، فيدفعون عشر قيمتها ، أما تجار الدولة من أهل الذمة فيدفعون نصف العشر ، ويدفع المسلمون يدفعوا ربع العشر [٥] ،كما اتخذت دولة بنى مرين بعض التدابير ؛ لتدعيم تجارتها وتشجيع التجار ، وذلك من خلال إعفاءات على الموارد الأولية اللازمة للصناعة غير_المتوفرة فى الدولة ، وتستورد من الخارج [٦]، [٦]، كما عملت على تنظيم عملية دفع العشور التجارية ؛ لتسهل على التجار مهامهم ، ، وذلك من خلال تقسيم البلاد إلى خمس مناطق ، كل منطقة تمثل إقليمًا ضرائبيًا يمكن للتجار أن يدفعوا العشر فى أى إقليم منها ، ولا يؤدى فى الآخر ، حيث يحصل على " صك البراءة " وهو شهادة تثبت أنه دفع ما عليه من الأقاليم الضرائب ، ومن

---

[١] مجهول : بلغة الأمنية ، ص٢٧ – ٢٨.

[٢] لوتورنو : المرجع السابق ، ص٨٤ .

[٣] التجيبى : برنامج التجيبى ، تحقيق عبد الحفيظ منصور ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ١٩٨١، ص ٧٤- ٧٥ .

[٤] هوبكنز : النظم الإسلامية فى المغرب فى القرون الوسطى ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ١٩٨٠ ، ص ٩٢ ، أحمد مختار العبادى : الحياة الاقتصادية ، ص ١٢٦ .

[٥] محمد ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، دار الأنصار ، القاهرة ، ، ١٩٧٧ ، ص ١٢٧ – ١٢٩ ، رفعت على أبو الحاج : الإنتاج والتجارة والضرائب فى ولاية البصرة خلال القرن السادس عشر طبقا لما جاء فى قانون الولاية ، مجلة البحوث التاريخية ، ليبيا، س٥ ، ع٢ ، ١٩٨٣ ، ص ٣٠٦ .

[٦] عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسى ، ج١ ، ٣١٥ .

غير هذه البراءة لا يستطيع التاجر أن يسافر أو ينتقل من مكان إلى مكان [1] ، وتكون على النحو التالى :

- فاس وما والاها من بلاد سلا وتازة .
- سبتة وما والاها من بلاد الريف والهبط إلى قصر كتامة .
- مراكش وما والاها من بلاد إلى السوس .
- درعة وسجلماسة وما والاها من البلاد .
- تلمسان وما والاها وما وراءها من البلاد إلى الجزائر [2] .

وقد وجدت مكاتب على أبواب المدن التى تمر بها القوافل التجارية البرية تدفع فيها الرسوم قبل الدخول إلى الأسواق [3] ، حيث لا تدخل تلك القوافل إلا من هذه الأبواب ، ويفحص العاملون فى هذه المكاتب المسافرين ويفتشونهم خشية أن تمر بضائع ممنوعة ، وكان هؤلاء المفتشون أحيانًا يسيئون معاملة التجار ، مثل مفتشى أبواب مدينة تلمسان الذين كانت معاملتهم للمارين سيئة [4] ، وكان هناك أيضًا أيضًا مكاتب للتجار المحليين داخل الأسواق ؛ حتى يدفعوا الضرائب التى تؤخذ على البضائع التى تُباع فى الأسواق المحلية [5] .

أما عن جمارك الثغور البحرية فكان يعين فى هذه الثغور أشخاص يسمون " المشرفين " [6] ، ويعمل المشرف المعين على جباية الجمارك ، ومراقبة البضائع الداخلية والخارجية ، كما يرأس ديوان دار الإشراف ، فيذكر الأنصارى السبتى أن مدينة سبتة احتوت على أربع ديار للأشراف " الأولى دار الإشراف على عمالة الديوان ، وكانت بمنزلة المقر الرئيسى لتسجيل العشور وأدائها ، وقد جعل موقعها أمام فنادق التجار الأجانب ، وعنيت الدار الثانية بالنقد ، واختصت الدار الثالثة بفحص البضائع ، وكانت ذات فناء واسع ، وعرفت بين الأهالى بـ " القاعة " ، أما

---

(1) الوزان : المصدر السابق ، ٢٥٤ ، وانظر أيضا رانيا عبد الحكيم : المرجع السابق ، ١٣٤ .
(2) ابن أبى زرع : الذخيرة ، ص ٣٦ – ٣٧ ، مجهول : الحلل الموشية ، ص ١٧٢.
(3) ابن خليل : المصدر السابق ، ص ٦٣ ، كربخال : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٤٥ .
(4) ابن مرزوق : المسند ، ص ٢٨٥ .
(5) لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ٨٥ .
(6) الأنصارى السبتى : المصدر السابق ، ص ٤٥ وانظر أيضًا ليفى بروفنسال : تاريخ أسبانيا الإسلامية ، ترجمة السيد سالم ومحمد صلاح الدين ، دار النهضة مصر للطباعة ، القاهرة ، د . ت، ص ١٧٠ .

الدار الرابعة فكانت مختصة بالإشراف على البناء والتجارة ، وليس لها علاقة بتجارة الدولة " [١] .

وكان للمشرف سلطات قانونية وتنفيذية ، وله أعوان يساعدونه فى مهامه ، بالإضافة إلى رجال الشرطة الذين يعملون على حماية التجار ، فضلاً عن مواجهة الاشتباكات التى تنشب مع التجار [٢] ، وعندما تصل السفينة إلى ميناء الثغر يصعد إليها الحمالون وموظفو الثغر لتسجل أسماؤهم عند قنصل الذى تتبعه السفينة ، ويحصى الموظفون السلع وتقدير الضرائب التى عليها وتفرغ من فوق السفينة [٣] ، وكانت الثغور البحرية تؤمن الحراسة على البضائع التجارية ، ويتقاضى هؤلاء الحراس مرتباتهم على حسب مقدار البضائع [٤] .

وكان هناك ضرائب إضافية تفرضها الدولة على التجار فى الثغور البحرية ، يصل مقدارها من ٢٥, ٪ إلى ٥ ٪ من قيمة البضائع ، كضريبة حقوق الإرساء والملاحة وأجرة المترجم التى تصل إلى ٥ ٪ من قيمة البضائع ، وأجرة الحمالين التى قد تصل إلى ٢٥, ٪ من قيمة البضائع وضريبة الرطل (Rotal) التى تدفع عند وزن البضائع ، وهناك ضريبة خاصة تجبى من مدن أسفى وأنفا وسبتة تسمى (Mangona) ، وتقدر بـ ١٦/١ من قيمة البضائع [٥] .

كما وجدت ضريبة أخرى يحصل فيها الثلث من قيمة البضائع ، وقد ورد ذكرها فى المراسلات بين ملك أراجون والسلطان أبى الربيع سليمان فى سنة (٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م) ونصها : " ترك ثلث للتجار فى جميع مالنا من البلاد " [٦] ، وذكرت وذكرت مرة أخرى فى نحو " أخذ الثلث الذى كنا أمرت له به المسلمين والنصارى القطلانيين واليهود من مراسى بلادنا سبته وغيرها " ويبدو أن الضريبة شملت التجار الأراجونيين المقيمين فى الأراضى المرينية أيضًا [٧] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(٢) الوزان : المصدر السابق ، ص٢٥٤ – ٢٩٣ – ٤٥٢ ، كربخال : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١١٧ .

(٣) عطا محمد شحاته رية : المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

(٤) الوزان : المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

(٥) محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص ١١٥ وكذلك

Du Fourcq : L'Espagne , p. 523 .

(6) A Larcon Y linares : Les documenton , p. 165 – 166.

(7) A Larcon Y linares : Les documenton, p. 165.

ووجدت أيضًا ضريبة تسمى " الانطلاقة " وكانت تؤدى عند الخروج من الميناء ، بمقتضاها يحق للتاجر أن يحمل بضائعه معه أينما يشاء دون أن يؤدى ضريبة أخرى عنها ، غير أن هذا الحق لا يستخدم فى بعض المدن ، مثل مراكش ومكناس وفاس والرباط وتازة فكانت تلزم التاجر بدفع الضرائب المعتادة فيها ، وهذا ما يميز ضريبة الانطلاقة عن ضريبة البراءة التى تعطى للتاجر الحق بعدم دفع ضريبة أخرى فى أى منطقة فى الدولة ، وقد وصل مقدار ضريبة الانطلاقة فى أنفا إلى ١.٥ ٪ من قيمة البضائع ، فى حين وصلت فى مدينة سبتة إلى ٥ ٪ من قيمة البضائع (١) .

وعلى هذا يتضح أن المرينيين كانوا يحصلون ضرائب من التجار من الثغور البرية تقدر بـ ١٧ ٪ أو ١٨ ٪ من قيمة البضائع القادمة من الخارج (٢) ومما لا شك فيه أن التجار كانوا يحققون من الأرباح من خلال تجارتهم فى دولة بنى مرين أزيد بكثير مما يدفعون من الضرائب .

وكان لكل ميناء تعريفة جمركية خاصة (ضرائب خاصة به) ففى مدينة أنفا بلغت الضرائب ١.٥٪ من قيمة البضائع ، فى حين وصلت فى مدينة سبته إلى ٥ ٪ من قيمة البضائع (٣) ، ففى عام (٧٠٧ هـ / ١٣٠٧ م) صدرت شحنة جلود من ميناء أصيلة ، كانت نسبة الضرائب المفروضة على مائة قطعة جلد ثلاثة دنانير من الذهب ، على حين صدرت الكمية نفسها ، ولكن من ميناء أنفا ، فبلغ مقدار الضرائب عليها تسعة دنانير ، أما فى ميناء سلا فبلغ مقدار الضرائب على مثل الكمية دينارًا واحدًا فقط (٤) ، وفى عام (٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م) صدرت شحنة من الجلود تحتوى على أربعمائة وستين قطعة جلد لميورقة ، فقدرت الضرائب حسب قوانين الميناء الذى يصدر منه ، فقدرت على المائة قطعة فى ميناء سلا بدينار واحد ، على حين قدرت فى آنفا بدينار وربع ، وفى أصيلة دينار ونصف (٥) .

وعملت دولة بنى مرين على تدعيم تجارتها ، وذلك من خلال تقديم بعض التسهيلات للتجار الأجانب ، فعملت على حق الغرق ، وهو حق الدولة فى الاستيلاء

---

(١) محمد الشريف : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(2) Du Fourcq : L'Espagne , p. 523 .
(3) Du Fourcq : Ibid , p. 524 .

(٤) جمال أحمد طه : دراسات اقتصادية ، ص ٦٥ وكذلك :
Du Fourcq : Ibid , p. 550 .

(٥) جمال أحمد طه : دراسات اقتصادية ، ص ٦٦ وكذلك
Du Fourcq : L'Espagne , p. 550 .

على أى سفينة غارقة ، بالإضافة إلى أنها عملت على التفريق فى المعاملات من خلال عدم المسئولية الجماعية لجالية معينة إذا ارتكب أحد رعاياها أى خطأ [١] ، كما قدمت إعفاءات ضريبية على بعض البضائع مثل المجوهرات والأحجار الكريمة والحلى التى كانت تباع للقصر المرينى [٢] ، كما كان يحصل ٥ ٪ فقط على الذهب والفضة والمجوهرات والحلى عامة [٣] .

ب- سياسة بنى مرين الجبائية :

عملت بنى مرين على تنظيم بيت المال ومراقبته ، وذلك من خلال تعيين شخص يكون مسئولاً عنه أطلق عليه اسم (صاحب الأشغال) ، ويعمل على مراقبة الخراج والديوان وأهل الحساب والمساحة [٤] ، ولأهمية هذه الوظيفة ، فقد توارثتها أسرة عبد الله بن أبى مدين التى تولت مهام هذه الوظيفة منذ عهد السلطان أبى يعقوب يوسف بن يعقوب حتى السلطان أبى عنان فارس [٥] ، وحرصًا من دولة بنى مرين مرين على مصلحة الرعايا وأموال الدولة عملت على إخضاع صاحب الأشغال إلى مراقبة، من خلال جهات أخرى أطلق عليها (شهداء البيت) لمنع أى تجاوزات يمكن أن يحدثها [٦] .

كما اتخذت دولة بنى مرين بعض التدابير لجمع الضرائب من الرعايا ، وذلك من خلال نظام الالتزام أو الضمان ، وهو نظام تقوم الدولة من خلاله بتولية أمور جباية الضرائب للولاة الذين يلتزمون بدفع أموال معينة للدولة ، ثم يقومون هم بجباية الضرائب ، وعرف هذا النظام فى المدن [٧] ، وترك لنا العمرى مقادير هذا الضمان الذى كان معمولاً به فى المدن المرينية فى عهد السلطان أبى سعيد عثمان بن يعقوب [٨] .

---

(1) Du Fourcq : Ibid , p. 521 .

(٢) محمد الشريف : سبته الإسلامية ، ص ١١٤ ، وراجع البند الثامن من الاتفاقية التى عقدت بين السلطان أبى عنان وبيزة (٧٥٩ – ١٣٥٩) حول ذلك عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسى ، ج٧ ، ص ١٧٣ .

(٣) محمد الشريف: نفس المرجع والصفحة.

(٤) ابن مرزوق : المسند ، ص ٣٧٧ . ابن الخطيب : أوصاف الناس فى التواريخ والصلات تليها الزواجر والعظات ، تحقيق كمال شبانه ، مطبعة فضالة المحمدية ، المغرب ، د . ت ، ص ٧٥ وانظر أيضًا عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى ، ص ١٧٨ .

(٥) ابن الأحمر : روضة النسرين ، ١٨ – ١٩ .

(٦) ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص ٣١٤ .

(٧) هوبكنز : النظم الإسلامية ، ص ١١٤ – ١١٥ ، محمد المنونى : ورقات ، ص ١١٩ .

(٨) المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١١٨ .

المدينة	مقدار ضمانها
١- فاس	١٥٠ ألف مثقال
٢- مراكش	١٥٠ ألف مثقال
٣- سجلماسة ودرعة	١٥٠ ألف مثقال
٤- مكناسة	٦٠ ألف مثقال
٥- سبته	٥٠ ألف مثقال
٦- أنفا	٤٠ ألف مثقال
٧- سلا	٤٠ ألف مثقال
٨- أسفى	٢٥ ألف مثقال
٩- أغمات	٢٥ ألف مثقال
١٠- أزمور	٢٠ ألف مثقال
١١- قصر عبد الكريم	٢٠ ألف مثقال

أما فى الأرياف والبوادى فقد أوكلت الدولة لقبيلة معينة جمع الضرائب من القبائل الأخرى [١] ، مثل قبيلتى هنتاته والمصامدة اللتين أنيطت إليهم مسئولية جباية الضرائب [٢] .

وقد سئل الفقهاء عن هذا النظام ، يقول الونشريسى على سبيل المثال " سئل فيها عن الذين يحضرون المغارم يطرحها السلطان على الناس ، هل يقدح فى الحاضرين حين رميهم بذلك ، فأجاب لا ؛ لأنها ضرورة ، ولم يحضر وغاب عن الناس ، وغاب غيره ، فربما جاء الأعوان يسجنونهم ، يحملون متاعهم . قيل معناه لا يدخل فى الوظيفة على أحد ، وإنما يحضر صامتًا حتى توظف الجماعة ذلك ، ويعين بعضهم بعضًا على المعدلة ، أما لو دخل فى التوظيف ، فلا ينبغى ؛ لأنه قد يخطئ فيه ظالمًا لمن أخطأ عليه " [٣] .

---

(١) ابن الأحمر : بيوتات فاس ، ص ٤٣ .
(٢) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ، ص ٤٤ ، هامش (١) .
(٣) المعيار المعرب ، ج٦ ، ص ١٥١ .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد تسبب هذا النظام فى ظلم فادح للرعايا ؛ لإجبار الولاة لهم على دفع مبالغ كبيرة من المال ؛ ليحققوا الأموال الضخمة من وراء ذلك ، وقد وصف ابن مرزوق هذا النظام بأنه كان شائعًا شنيعًا اكتراء الولاة للبلاد فإنهم كانوا يلتزمون مجابى البلاد التزامًا " [١] . ومن فرط الظلم الذى سببه هذا النظام عمل السلطان أبو الحسن المرينى على إلغائه [٢] .

كما تنوعت سياسة فرض الضرائب التى اتبعتها دولة بنى مرين ، على الرغم من أن المرينيين أنفسهم كانوا لا يؤدون ضرائب لذوى السلطان (دولة الموحدين) ، على حد تعبير ابن أبى زرع إذ يقول " ولا يؤدون لأمير درهمًا ولا دينارًا " [٣] .

ففى بعض الأحيان تلغى الدولة المكوس والقبالات عن الرعايا بسبب كثرةالشكاوى منها [٤] ، وتارة أخرى تفرض الدولة الكثير من الضرائب عليهم حتى تثقل كاهلهم [٥] ، وتعددت أسباب فرض الضرائب ومنها احتياج الدولة للمال بسبب كثرة الحروب التى خاضتها أو لضعف الحكام واستيلاء الوزراء على الحكم ، واتخذ سلاطين دولة بنى مرين سياسة إلغاء الضرائب عن الرعايا لكسب ثقتهم ، ونلاحظ أن أغلب السلاطين عند توليهم الشئ نفسه [٦] ، فحينما تولى السلطان أبو يوسف يعقوب (٦٨٥ هـ / ١٢٨٥ م) رفع المكوس وألغى الرتب [٧] ، كما عمل السلطان أبو سعيد عثمان العديد من الإصلاحات ، حتى أطلق عليه " ممهد الدولة المرينية " [٨] وخاصة فى نظام الضرائب ، فعمل على إلغاء المكوس والقبالات [٩] ، كما رفع عن أهل فاس ضريبة الرباع التى كانت تؤخذ على الممتلكات ، وكانت ضريبة

---

(١) المسند ، ص ٢٨٣ .

(٢) ابن مرزوق : نفس المصدر والصفحة .

(٣) الأنيس المطرب ، ص ٢٨٢ ، وانظر أيضًا إيهاب عزت عبد السلام الديب : الضرائب والمكوس فى المغرب الإسلامى [٤٥٤ – ٩٥٦ هـ / ١٠٦٢ – ١٥٤٩ م] ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ،٢٠٠٧ ، ص ٦٤ .

(4)Shatzmiller (Maya) : L'Historiographie Merinide Ibn khaldun et ses contemporains, London , 1982 , p 40 .

(٥) ابن خلدون : المقدمة ، ٢١٣ .

(٦) محمد القبلى : مراجعات ، ص ١٢٠ .

(٧) ابن خلدون : العبر، مج ٧ ، ج١٣ ، ص ٤٣٦ ، السلاوى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤٧ .

(٨) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج٣ ، ص ٣٣٦ .

(٩) ابن خلدون : المصدر السابق والمجلد والجزء ، ص ٥٠٣ ، السلاوى : المصدر السابق ، ج٢ ، ، ص ٨ .

سنوية، ويزداد قدرها تبعًا لمشيئة الجباة [١] ، وهذا يدل على الظلم الذى كان يعانى منه الرعايا من الجباة .

ويعد عهد السلطان أبى الحسن المرينى قمة الإصلاح الضرائبى [٢] ، حيث عمل عمل على إلغاء العديد من الضرائب المفروضة ، فألغى ضريبة البرنس والضيافة كان يؤديها سكان البوداى [٣] ، كما ألغى الكثير من المكوس التى كانت مفروضة على البضائع فى الأسواق [٤] ، وألغى أيضًا الضرائب التى كانت مفروضة على أهل أهل سجلماسة ، كضريبة الجمون التى كانت فرضت على النخل والحبوب [٥] ، كما ألغى ضريبة المصادرة التى كان الولاة يفرضونها على التجار الذين يحاولون إخفاء البضائع أو تهريبها ، حتى ترتفع أسعارها ، فكانوا يعاقبون بمصادرة البضائع ، كما يوقعون غرامة على التجار تقدر بخمسة أضعاف ثمن البضائع [٦] ، وكانت تقوم أيضا ضريبة المصادرة بدور العقاب ضد الموظفين الفاسدين فى الدولة ، ففى عهد السلطان أبى الحسن المرينى صودرت أموال خطيب جامع القرويين محمد بن أبى الحسن المزدعنى الذى استولى على أموال أوقاف جامع القرويين دون حق [٧] ، كما ألغى كثيرًا من الضرائب فى الأقاليم التى دخلت تحت النفوذ المرينى من جديد فى عهده ، فألغى فى تلمسان الكثير من الضرائب التى كانت مفروضة على السلع [٨] ، فضلاً عن وطأة الضرائب التى كان يعانى منها أهل تلمسان ، كانوا يقدمون الهدايا إلى سلاطين دولة بنى زيان ، حتى يسمحوا لهم ببيع بضائعهم فى الأسواق ، وخاصة أسواق مدينة تلمسان [٩] ، كما رفع المكوس وأسقط المغارم عن أهل إفريقية [١٠] .

---

[١] ابن خلدون : نفس المصدر والمجلد والجزء ، ص ٥٠٣ وانظر أيضًا دوزى : تكملة المعاجم العربية ، ج٥ ، ص ٧٤ ، عبد العزيز بن عبد الله : معطيات الحضارة العربية ، ج٢ ، ص ٩٤ .

[٢] ابن مرزوق : المسند ، ص ٢٨٢ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ج٢ ، ص٤٥١ وانظر أيضًا أيضًا عبد الأحد السبتى وحليمة فرحات : المرجع السابق ، ص ١١٨.

[٣] ابن مرزوق : المصدر السابق ، ٢٨٤ ، وانظر أيضًا محمد مقر : المرجع السابق ، ص ١٤٨. ١٤٨.

[٤] ابن مرزوق : المصدر نفسه ، ص٢٨٢ .

[٥] ابن مرزوق : نفسه ، ص ٢٨٥ .

[٦] ابن مرزوق : نفسه ، ص ٢٨٣ .

[٧] ابن مرزوق : نفسه ، ص ٢٣٣.

[٨] ابن مرزوق : المسند ، ص ٢٨٦ .

[٩] كربخال : المصدر السابق ، ج٢ ، ص٢٩٥، وانظر أيضًا مختار حسان: المرجع السابق ، ج٢، ج٢، ص ١١٦ .

[١٠] ابن مرزوق : المصدر السابق ، ص ٢٨٦ .

وانتهج السلطان أبو عنان فارس نهج والده فى إصلاح نظام الضرائب ، فعمل على إزالة الكثير منها ، كضريبة الرتب [١] ، كما رفع المكوس من فوق عاتق التجار فى الأسواق [٢] ، وألغى ضريبة الخفارة [٣] ، التى كانت تفرضها القبائل العربية على التجار فى الطرقات [٤] ، كما ألغى ربع ضرائب مدينة بجاية حينما دخلها (٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م) [٥] ، وقد ارتبط إلغاء بعض الضرائب بالمناسبات ، فألغى السلطان أبو سالم إبراهيم المرينى المغارم فى ليلة السابع والعشرين من رمضان من عام ٧٦٢ هـ / ١٣٦٢ م [٦] .

ولا شك أن السياسة التى اتبعتها الدولة المرينية فى إلغاء العديد من الضرائب كانت ناجحة ؛ لكسب ثقة الرعايا فى السلاطين ، بالإضافة إلى أنها عملت على نمو النشاط التجارى والاقتصادى عامة ؛ فعندما تزداد المغارم والمكوس ترتفع الأسعار ، لأن التجار يرفعون أسعار البضائع ؛ حتى يستطيعوا دفع تلك الضرائب المفروضة عليهم [٧] ، كما أن كثرة الضرائب شكلت عبئًا أثقلت به كاهل الرعايا ، وهو ما جعلهم يفكرون فى تخريب الجنان التى يملكونها ، حتى تسقط الضرائب من عليهم[٨]، عليهم[٨]، وبالطبع فإن هذه الأفعال تؤثر تأثيرًا سلبيًا ومباشرًا على حركة التجارة داخل المجتمع وخارجه .

ومع ازدياد الأضطرابات السياسية والفتن التى منيت بها دولة بنى مرين، مما أدى إلى فرض ضرائب كثيرة على الرعايا تتجاوز الإطار الشرعى ، كما ازداد تعسف جباة الضرائب ، حتى وصل إلى إراقة الدماء ؛ من أجل الحصول على الأموال [٩] ، فوصف الوزان سياسية جباة بنى مرين التى أثقلت كاهل الرعايا قائلاً : : " ولم يكتف الملوك باغتصاب هذه المواد كلها والتصرف فى إنفاقها بكامل الحرية ، وإنما أضافوا إليها مغارم أخرى جديدة ، وهكذا فأنت لا تكاد تجد بالبلاد الإفريقية

---

[١] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٨٤ .
[٢] المقرى : أزهار الرياض ، ج١ ، ص ٣٩ .
[٣] الخفازة : أى الحراسة تفرضها القبائل العربية على القوافل مقابل حراستها فى الطرق ، وتظهر وتظهر هذه الضريبة فى فترات ضعف الدولة التى لا تستطيع توفير الأمان للتجار المسافرين [هوبكنز : النظم الإسلامية ، ص ٩٦] .
[٤] ابن الحاج النميرى : فيض العباب، ص ٢٨٤ وانظر أيضًا على حامد الماجى : المرجع السابق، السابق، ص ١٠٢ .
[٥] ابن خلدون : العبر ، مج ٧ ، ج ١٣ ، ص ٥٥٩ .
[٦] ابن الخطيب : نفاضة الجراب ، ص ١٢٢ .
[٧] الونشريسى : المعيار المعرب ، ج٥ ، ص ٢٩٧ .
[٨] ابن مرزوق : المسند ، ص ٢٨٣ .
[٩] ابن الخطيب : نفاضة الجراب ، ص ٧٧ ، الإحاطة ، ج١ ، ص ٣٠٨ .

كلها من يستطيع أن يدخر ما لابد منه للمأكل والملبس فى أوساط الفلاحين ، ومما ترتب عن هذه الوضعية أنك لا تجد من بين أهل العلم والاستقامة رجلاً واحد يقبل أن يصاهر الملوك أو يؤاكلهم وبالأحرى لأن يأخذ منهم عطاء أو هدية ، إذ الواقع أن أموال هؤلاء الملوك مبغضة لديهم أكثر مما لو كانت مختلسة " [(١)] .

وقد أدى ذلك إلى استنكار العلماء والفقهاء لهذه التصرفات والأوضاع ، فعملوا على التصدى لهذا الفساد ، ويتضح ذلك من خلال مواقفهم التى اتخذوها تجاه السلاطين ، وعلى ما يبدو ففى أواخر عهد السلطان أبى الحسن المرينى ازدادت فيه المكوس والمغارم على الرعايا ، فيذكر أن الفقيه عبد العزيز بن محمد بن محمد القروى [(٢)] طلب منه السلطان أبو الحسن المرينى الخروج مع عامل الزكاة ، فقال له له : " أما تستحى من الله تعالى ؟ تأخذ لقبًا من ألقاب الشريعة وتصفه على مغرم من المغارم فضربه أبو الحسن بالسكين التى كان يحبسها بيده على عادته ، وقال له : هكذا تقول لى ، ... ثم خرج فقال رده علىَّ ، واعتذر إليه ، وقال طيب نفسك علىَّ ، فإنى علمت أنك ما قلت إلا الحقد ، فقال له : الله يغفر لى ولك " وظل الفقيه عبد العزيز لا يخرج أو يعود من باب المدينة إلا ودفع المغارم ، فكان يكره أن يمتاز عن الرعايا فى شئ [(٣)] .

كما فرض السلطان أبو سالم المرينى (٧٦٠ – ٧٦٢ هـ / ١٣٥٨ – ١٣٦٠م) العديد من الضرائب ، وفى ذلك يقول ابن الخطيب : " الرعايا استولت عليها المغارم وترفعها الحلب ؛ حتى عجزت عن الفلح وضعفت عن الإثارة والبذر ، يستصفى أموالها بعصاب الصنبق والإلحاح " [(٤)] ، كما تعسف السلاطين فى جمع الضرائب ونهب أموال بيت المال [(٥)] ، فوصفهم الفقهاء بالظلم ومستفرقى الذمة [(٦)] ، ، وألزموهم برد هذه الأموال ؛ لأنها ليست من حقهم [(٧)] ، حيث لا يوجد للمكوس

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .
(٢) عبد العزيز بن محمد بن محمد القروى : وكان من أكبر تلاميذه أبى الحسن المرينى ، وعرف بالتقى والصلاح وتوفى فى مدينة فاس سنة (٧٥٠ هـ / ١٣٥٠ م) (ابن فرحون : الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب وبهامشه نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتى ، دار الكتب العلمية، بيروت ، د . ت ، ص ١٧٩ ، ابن مخلوف : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٢١ .
(٣) ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ج٢ ، ص ٤٥١ ، الكتانى : سلوة الأنفاس ، ج٣ ، ص ١٩٤ .
(٤) نفاضة الجراب ، ص ٢٧٠ .
(٥) الونشريسى : المعيار المعرب ، ج٩ ، ص ٨٢ .
(٦) الونشريسى : المصدر السابق ، ج٧ ، ص ٢٩٤ وانظر أيضا : كمال أبو مصطفى : جوانب من من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية فى المغرب الإسلامى من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب الونشريسى ، مركز إسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٩٦ ، ص ٨٤ .
(٧) البادسى : المصدر السابق ، ص ٩٠، الونشريسى : المصدر السابق ، ج٦ ، ١٣٩.

حكم شرعى للجباية ، إلا أن الحكام والجباة ضربوا بفتواهم عرض الحائط واستمروا على أفعالهم من فرض المكوس والتعسف فى جبايتها [١] ، كما نرى فى عهد السلطان أبى فارس عبد العزيز المرينى (٧٦٧- ٧٧٤ هـ / ١٣٦٦- ١٣٧٢ م) ، الذى فرض على الرعايا العديد من الضرائب ، وتعسف الجباة كثيرًا فى جمعها ، فأرسل الفقيه ابن عبادى الرندى [٢] رسائل واعظة ينصح السلطان فيها ، ففى الرسالة الأولى شرح له ما يتعرض إليه المسافر والتجار من أذى ونهب أثناء سفرهم على أيدى الجباة ، حيث بلغوا حدًا لا يطاق فى ضريبة الرتب ، وطالبه بإلغائها اقتداء بالسلطان أبى الحسن المرينى وولده السلطان أبى عنان فارس اللذين ألغياها هى وكثيرًا من الضرائب ، كما طالب بمعاقبة الجباة الذين خالفوا الشرع فى معاملة الناس أثناء تحصيلهم الضرائب [٣] .

وعلى ما يبدو ، فأن السلطان أبا فارس عبد العزيز لم يصغ لرسالة ابن عباد الذى أرسل رسالة ثانية له يؤكد فيها ما طالبه به فى الرسالة الأولى ، وقد استند ابن عباد فى دعوته تلك على نصائح كثيرة تتعلق بالعدالة ومحدداتها وشروط تولية أعمال الولاة [٤] .ومع ضعف السلاطين المرينيين وسيطرة الوزراء على الحكم ، فرض الوزير هارون فى عهد السلطان عبد الحق بن سعيد (٨٢٣- ٨٦٩ هـ / ١٤٢٠- ١٤٦٤) كثيرًا من الضرائب أثقلت كاهل الرعايا ، هو ما أدى إلى قيام العديد من الثورات ضد السلطان [٥] .

---

[١] الونشريسى : المصدرنفسه ، ج٩ ، ٥٦٤ ، وانظر أيضًا : محمود إسماعيل سوسيولوجيا الفكر الإسلامى ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٠ ، ج٣ ، ص ٧٦ .

[٢] ابن عباد الرندى : هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن إبراهيم بن مالك بن عباد النقرى ، ولد بمدينة رندة بالأندلس عام ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م ، ونشأ فى أسرة عرفت بالصلاح والاشتغال بالعلوم الدينية ، اتخذ ابن عباد التصوف سلوكًا وعقيدة له فى حياته ، وتولى وظيفة خطيب وإمام مسجد القرويين بفاس لمدة خمسة عشر عام حتى توفى فى (٧٧٧هـ / ١٣٧٦ م) (الكتانى : سلوة الأنفاس ، ج٢ ، ص ١٣٣ وانظر أيضًا أبو الوفا الغنيمى : ابن عباد الرندى حياته ومؤلفاته ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مج٦ ، ع ١- ٢ ، ١٩٥٨ ، ص ٢٢١ – ٢٢٦) .

[٣] رشيد السلامى : رسائل سياسية غير منشورة لابن عباد الرندى ، ضمن كتاب متنوعات محمد حجى نشرت بمناسبة صدور موسوعة أعلام المغرب ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص ٥٠٣ .

[٤] رشيد السلامى : المرجع السابق ، ٥١٠ – ٥١٦ .

[٥] السلاوى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٦٨ ، وانظر أيضًا : إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص ٧٦ .

ثالثًا : العملة

تسهم السكة فى إعطائنا صورة للأوضاع الاقتصادية ، إذ توضح مدى التقدم والاستقرار الذى نعم به الشعب ، وذلك برسم صورة لطريقة التعامل بين أفراده ، وعن طريق قيمتها نستطيع أن ندرك مدى رواج النشاط التجارى أو تدهوره ، كما تعد السكة مظهرًا من مظاهر سيادة الدولة ، وتعد العملة من أهم مظاهر هيمنة الدولة على الأسواق والتجارة عامة [١] ، وذلك حسب قول ابن خلدون " وظيفة ضرورية للملك والسلطان " [٢] .

ومن ثم نلاحظ أنه مع بداية ظهور دولة بنى مرين على مسرح الأحداث السياسية اتبعت هذه السياسة ، التى تعد دليلاً ماديًا على وجود كيان سياسى آخر بدلاً من الدولة الموحدية أو على الأقل موجودًا بجوارها ، وينفرد صالح بن قربة بالقول : إن أول من قام بتنفيذ هذه السياسة فى أمراء الدولة المرينية هو الأمير أبو سعيد عثمان بن عبد الحق [٣] ، وذلك بعد أن استطاع أن يفرض سيطرته على جميع المدن والقبائل من وادى ملوية إلى رباط تاز [٤] ، فقام بضرب دينار ذهبى على طراز الدينار الموحدى [٥] ، وهو مربع لشكل ويزن ٤.٧٠ جرام [٦] .

---

[١] صالح بن قربة : المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامى الى سقوط دولة بنى حماد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، ١٩٨٦، ص ٥٢٢ .

[٢] المقدمة ، ص ٢١٢ .

[٣] المسكوكات المغربية على عهد الموحدين والحفصيين والمرينيين خلال القرون السادس والسابع والثامن الهجرى (١٢- ١٣- ١٤ هـ) رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر، ج٢ ، ١٩٩٥ ، ص ٧٥٩.

[٤] السلاوى : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٦٧ .

[٥] وقسمت الكتابات التى على تلك الدنانير إلى قسمين كتابات هامشية وكتابات مركزية

كتابات هامشية :

١- بسم الله الرحمن الرحيم . ٢- صلى الله سيد

٣- نا محمد وآله ٤- وسلم تسليمًا .

كتابات مركزية :

١- الحمد لله ٢- المنة لله

٣- ولا قوة إلا بالله .

صالح بن قربة : المرجع السابق ، ص٧٥٩ .

[٦] ابن يوسف الحكيم : المصدر السابق ، ص ٦٨ هامش (١) .

فى حين أن معظم الباحثين يرون أن أول من ضرب بعملة فى الدولة المرينية هو الأمير أبو يحيى أبو بكر يعقوب [١] ، فينتسب إليه ديناران ذهبيان ، كما ضرب نصف دينار ذهبى [٢] ، وذلك لقول ابن أبى زرع : " فهو أول ملك في بنى مرين جند الجنود ، وضرب الطبول ، نشر البنود ، وملك الحصون والبلاد " [٣] .

وبعد إعلان دولة بنى مرين سقوط دولة الموحدين على يد السلطان أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق الذى عمل على تنظيم السكة فى عام (٦٧٤ هـ / ١٢٧٥م) قال ابن يوسف الحكيم : " ولما اشتدت واستوثقت خلافة مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين أبى يوسف يعقوب سمت همته إلى ما يصلح ملكه ، ويعلى دينه ونسكه ، وإن نظر فيما ليس منه بد من تحقيق الدينار والدرهم "[٤]، ذلك لحدوث كثير من المشكلات فى المعاملات التجارية ؛ بسبب تعدد العملة المتداولة داخل أسواق الدولة ، فعمل أبو يوسف على إلغاء جميع العملات ومنع

---

(١) طاهر راغب : تاريخ نقود دول المغرب من (٤٤١ إلى ٩٨٢) دراسة فى التاريخ والحضارة، اصدرات جامعة عين شمس ،١٩٩٤، ص٣٦٣ ، رأفت محمد محمد النبراوى : النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٠ ، ص ٣٣٤ ؛ فرج الله أحمد يوسف : الآيات القرآنية على مسكوكات الإسلامية دراسة مقارنة ، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٣ ، ص ١٢٦ ، وكذلك
Hazard (Harry) : The Numismatic history of Late medieval north Africa , Numismatic studies no. 8 , The ANS , New York, 1952, p. 193 –194 .

(٢) وجاءت النصوص الكتابية على نقود الأمير أبى يحيى أبى بكر :

(الوجه)	(الظهر)
الواحد الله	الشكر الله
محمد رسول الله	شكل زهرة
القرآن كلام الله	والمنة لله
سجلماسة	ولا الحول والقوة بالله

هامش :

بسم الله الرحمن الرحيم – صلى الله	هو الأول والآخر
على سيدنا محمد – إلهكم إله واحد	والظاهر والباطن

وهو بكل شئ عليم

على معطى : تاريخ النقود العربية والإسلامية ، دار المنهل اللبنانى ، ط١ ، ٢٠٠٨ ، ص ١٤٨ ، نيرة رفيق جلال : نقود سجلماسة فى العصر الإسلامى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٣٢ .

(٣) الأنيس المطرب ، ص ٢٩١ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

تداولها ، واختار النقود المحمدية [١] ؛ ليضرب النقد المريني الجديد على العملة نفسها[٢] ، وبذلك يكون قد حافظ على القيمة النقدية للعملة المرينية .

وبذلك أصبحت العملة المرينية تتكون من الدينار الذهبى الكبير [٣] ، الذى يتجزأ إلى نصف دينار وربعه وثمنه [٤] ، كما تكونت من الدينار الفضى [٥] والدرهم الفضى الكبير [٦] ، وقد وجدت أيضًا عملات صغيرة سكت لتسهيل المعاملات التجارية بين الناس ؛ لأنه " لما كانت فى المبيعات محقرات تقل عن أن تباع بدرهم أو يجزأ منه ، احتاج الناس من أجل هذا فى القديم والحديث من الذهب والفضة ما يكون بإزاء تلك المحقرات " [٧] ويرى المقريزى أن هذه العملات غير منطبق عليها لفظ عملة [٨] ، كالدراهم الصغيرة [٩] التى يتجزأ واحدها إلى نصف درهم، وهو نفسه القيراط ، كما استخدم الفلس [١٠] ، وبعد تلك العملة أصدر أبو يعقوب قرارًا ينص على أنه " منع أن يجوز من النقود إلا ما كان على سكته " [١١] .

---

[١] النقود المحمدية : هى نقود منسوبة إلى الخليفة محمد الناصر الموحدى (٥٩٥ – ٦١٠ هـ / ١١٩٩- ١٢١٣ م) [ابن يوسف الحكيم : المصدر السابق ، ص ١٠٧] .

[٢] ابن يوسف الحكيم : المصدر نفسه ، ص ٦٤ وانظر أيضًا ألبرتو كانتو جارثيا : ابن خلدون والعملة ، ترجمة لمياء الأيوبى من خلال كتاب ابن خلدون البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ندوة عقدتها مكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٤٣ .

[٣] الدينار الذهبى : يزن أربعة وثمانين حبة من حبات الشعير ، يعادل ٤.٥٦ جرام (ابن يوسف الحكيم : نفس المصدر والصفحة ، انظر أيضًا محمد المنونى : ورقات ، ص ١٢٧) .

[٤] محمد المنونى : نفس المرجع السابق والصفحة .

[٥] الدينار الفضى : يتكون من عشرة دراهم صغيرة ، أى يعادل الدينار الكبير (العزفى السبتى : إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد ، تحقيق محمد الشريف ، المجمع الثقافى ، أبو ظبى ، ١٩٩٩ ، ص٤٦).

[٦] الدرهم الفضى الكبير : يزن أربعًا وعشرين حبة شعير ، يتكون من ثلاثة دراهم صغيرة تزن الواحدة منها ثمانى حبات (العزفى السبتى : المصدر السابق ، ص ٧٧ ، وانظر أيضًا دانيل أوستاس : تاريخ النقود العربية وما يتعلق بموازينها ومقاييسها ، ترجمة عبد اللطيف أحمد خالص ، مجلة البحث العلمى ، ع ١٤ – ١٥ ، ١٩٦٩ ، ص ٥٥ .

[٧] المقريزى : ثلاث رسائل فى الحسبة ، مطبعة الجوانب ، ١٢٩٨ ، ص ١٧ .

[٨] المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار الهلال ، القاهرة ، د.ت ، ص ١١١ .

[٩] الدرهم الصغير : يزن ست حبات شعير ، وزن نصف درهم هو نفسه وزن القيراط (ابن يوسف الحكيم ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ ، ابن زيات : المصدر السابق ، ص ٢٨٨) .

[١٠] الفلس : هو يزن حبا واحد ، يكون مربع الشكل معتدل الزوايا والأركان (محمد المنونى : ورقات ، ص ١٢٨) .

[١١] ابن يوسف الحكيم : المصدر السابق ، ص ١٠٥ .

وعملت هذه الإجراءات على تقوية النقد المرينى ، ويتضح هذا من خلال المقارنة بالنقود المصرية يقول العمرى : " المثقال الذهب بمائة وعشرين درهمًا من الدراهم الصغيرة ، وهى ستون درهمًا من الكبار ؛ لأن كل درهم من الكبار بدرهمين من الصغار ، وكل درهم من هذه الدراهم الكبار يكون نظير درهم أسود [١] فى مصطلح أهل مصر والدرهم الأسود بمصر هو ثلث درهم النقرة [٢] من معاملة مصر والشام " [٣] .

وعلى الرغم من التدابير التى اتخذها السلطان أبو يوسف يعقوب فى ضبط السكة ، وتقديم الدينار اليعقوبى فى المعاملات التجارية داخل البلاد ، فإنه يبدو أن المعاملات التجارية الخارجية ظلت تستخدم العملات القديمة فى الفترة الأولى من عهد بنى مرين ، وربما يرجع ذلك إلى أنها لم تأخذ الوقت الكافى لانتشارها ؛ لذلك ظلت العملات القديمة يعمل بها ، مثلما حدث فى عام (٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م) حينما قدم أبو يوسف يعقوب لملك قشتالة معونة مالية [٤] ، ولكن بالدينارالمرابطى [٥] ، بدلاً من الديناراليعقوبى [٦] ، وهذا دليل واضح على قوة النقد المغربى فى تلك الفترة وانتشاره ، ، كما كان التجار المغاربة حينما يسافرون إلى الدول الأجنبية يحملون معهم العملة المغربية ؛ للتعامل بها [٧] .

---

[١] الدرهم الأسود : يقدرونه على عهد الرسول (ص) بثمانية دوانق ، ويقال له أسود ؛ لجودة معدن الفضة فيه ولكثرة تداوله (المقريزى : إغاثة الأمة ، ص ١١١) .
[٢] الدرهم النقرة : وقيمته فى أن ثلثه من فضة والباقى من النحاس ، ويعادل ستة دراهم من دراهم المغرب ، وقد طبع على شكل الدنانير (الأب أنستاس الكرملى : النقود العربية وعلم النميات، نشر محمد أمين دمج ، بيروت ، د . س ، ص ١١٣) .
[٣] المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١١٩ .
[٤] عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسى ، ج٧ ، ص ٦٧ .
[٥] الدينار المرابطى : يزن اثنتين وسبعين حبة من شعير ، وأحيانًا يزن ستًا وسبعين حبة ، نقش عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وتحت ذلك (أمير المسلمين يوسف بن تاشفين) وكتب فى الدائرة [ومن يتبع غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين] وكتب على وجه الآخر (الأمير عبد الله العباسى) وفى الدائرة تاريخ الضرب وموضع السكة (ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ١٣٧ ، انظر أيضًا عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى ، ص ٢٩٨) .
[٦] عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسى ، ج٧ ، ص ٦٧ .
[٧] صالح بن قربة : انتشار المسكوكات المغربية وأثرها على تجارة الغرب المسيحى فى القرون الوسطى ، بحث ضمن كتاب الغرب الإسلامى والغرب المسيحى خلال القرون الوسطى رقم (٤٨)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ١٩٩٥ ، ص ١٩٢ .

وكل هذا ينفى ما قاله عز الدين موسى بأن التجار المغاربة يعيدون سك عملتهم فى الخارج لتعادل سكة الدولة الأجنبية [١] ، وهذا غير صحيح ؛ لحرص تجار الدول الأخرى أن يتقاضوا أثمان بضائعهم بالعملة المغربية [٢] التى نالت إعجابهم حتى ضربوا على شكل الدينار الموحدى عملة عرفت باسم المليار (Miliars) ، وهو مربع الشكل ، ولكنه ذو قيمة منخفضة عن الدينار الموحدى [٣] ، كما كان الجنود المرتزقة الذين كانت تستعين بهم الدولة المرينية أثناء حروبها ضد الدول الأجنبية يتقاضون مرتباتهم بالعملة المغربية ، فالدينار الذهبى يساوى ثمانية (Besants) (عملة أراجون) أى ثمانين درهمًا فضة [٤] ، وهذا دليل واضح على قوة النقد المغربى المغربى بالنسبة للنقد الأجنبى .

واستمرت قوة النقد المرينى وانعكست هذه القوة على القيمة الشرائية فى الأسواق المرينية [٥] داخليًا وخارجيًا مقارنة بالأسواق الخارجية ، يقول ابن بطوطة عن ذلك " ودراهم الغرب صغيرة وفوائدها كثيرة ، وإذا تأملت أسعاره مع أسعار ديار مصر والشام ، ظهر لك الحق فى ذلك ، ولاح فضل بلاد المغرب ، فأقول إن لحوم الأغنام بديار مصر تباع بحساب ثمانى عشرة أوقية [٦] بدرهم نفزة ، والدرهم النقرة ستة دراهم من دراهم المغرب ، وبالمغرب يباع اللحم إذا غلا سعره ثمانى عشرة أوقية بدرهمين ، وهما ثلث النقرة ، أما العنب فإذا كان رخيصًا ، يباع عندهم بثلاثة أرطال [٧] من أرطالهم بدرهم النقرة ، ورطلهم اثنتا عشرة أوقية ، وأما بلاد الشام فالفواكه بها كثيرة ، إلا أنها ببلاد المغرب أرخص منها ثمنًا ، فإن العنب يباع بها بحساب رطل من أرطالهم بدرهم نقرة ، ورطلهم ثلاثة أرطال مغربية ، وإذا رخص ثمنه ، يباع بحساب رطلين بدرهم نقرة ، والأجاص يباع بحساب عشرة أواقى بدرهم ، وأما الرمان والسفرجل فتباع الحبة منه بثمانية فلوس ، وهى درهم من دراهم المغرب ، أما اللحم

---

[١] النشاط الاقتصادى ، ص ٣٠٣ .

[٢] صالح بن قربة : المرجع السابق، ص ١٩٢ ، عاطف منصور محمود رمضان : النقود الإسلامية وأهميتها فى دراسة التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٨ ، ص ٣٨٠ .

[٣] جمال أحمد طه : دراسات فى التاريخ الاقتصادى ، ص ١٨ .

[4] Du Fourcq : Commerce du Maghreb , p. 166 .

[٥] إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص ١٥٠ .

[٦] أوقية : تقدر بتسعة وستين درهمًا ، تساوى ٣٣.٣٣ جرام (ابن يوسف الحكيم : المصدر السابق ، ص ١١١ وانظر أيضًا محمد المنونى : ورقات ، ١٣٧) .

[٧] الرطل : يساوى تسع عشرة أوقية ، أى ألف ومائة وربع درهم صغير ، ويعادل وزنه ٥٣٣.٢٨ جرام (ابن يوسف الحكيم : نفس المصدر والصفحة وانظر أيضًا محمد المنونى : المرجع السابق ، نفس الصفحة) .

فيباع فيها الرطل منه من أرطالهم بدرهمين ونصف درهم نقرة "[١] ، إلا أن العملة الهندية كانت قيمتها أعلى من المغربية ، حيث صرف الدينار الهندى بدينارين ونصف من الدينار الذهب المغربى[٢] .

كما ظهرت عملات أخر غير الدينار اليعقوبى أمر بسكها سلاطين بنى مرين ، ولكن اختلفت تلك النقود فى وزنها ، حيث كان وزنها يفوق وزن الدينار الذهبى العادى ، فوصل وزنها إلى مائة دينار من الذهب ، وهذه النقود ضربت للدعاية والصلة ، ولم يبق منها إلا القليل ؛ لأنها تقطع لكثرة مادتها حتى يستطيع المرء التعامل بها فى المعاملات التجارية ، وهذا ما يسمى بالقراضة[٣] .

وقد أصدر السلطان أبو الحسن المرينى دينارًا ذهبيًا يقدر بمائة دينار ضرب فى دار سكة الجزيرة الخضراء ، ويرجع سبب ضربه إلى مكافأة المجاهدين العائدين من الأندلس[٤] ، كما ضرب السلطان أبو عنان فارس دينارًا ذهبيًا يزن مائة دينارًا ذهبيًا فى دار سكة مراكش ، وذلك بمناسبة المولد النبوى الشريف[٥] ، كما ضرب دينارًا ذهبيًا بوزن دينارين[٦] ، وتميزت هذه الدنانير باتساع دائرتها عن الدنانير الأخرى وبأنها صفراء فاقعة اللون من كثرة الذهب المستخدم فى صناعتها[٧] .

وكانت النقود المرينية مستديرة الشكل وعلى وجهين معًا مربع وسط دائرة تحيط بها دائرة أخرى تتكون من نقط وبداخل المربعات ، وعلى جوانبها نقشت تهليلات وتحميدات بخط نسخى مشرقى ؛ ليعطيها جمالاً ، كما نقش عليها اسم الملك ودار السكة[٨] .

ولم يقتصر سك النقود فى عهد دولة بنى مرين على دار سكة واحدة ، بل تعددت وانتشرت دور السكة ، كمدينة فاس التى تعد دار السكة الرئيسية للدولة لكونها

---

[١] المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٣٤ – ٣٣٦ .
[٢] ابن بطوطة : المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٠٦ – ١٠٧ .
[٣] السيد ناصر النقشبندى : نقود الصلة والدعاية ، مجلة المسكوكات ، المؤسسة العامة للآثار والتراث ، بغداد ، ع٣ ، ١٩٧٢ ، ص ٧ .
[٤] كان دينارًا استثنائيًا يعطى للجنود ، ويزن على غير العادة مائة دينارًا من الذهب (ابن مرزوق : المسند ، ص ١٩٤) .
[٥] المقرى : أزهار الرياض ، ج١ ، ص ٣٩ .
[٦] محمد المنونى : ورقات ، ص ١٢٨ .
[٧] محمد المنونى : نفس المرجع السابق والصفحة ، على حامد الماجى : المرجع السابق ، ص١٩١ .
[٨] محمد المنونى : نفسه ، ص ١٣٠ ، طاهر راغب : المرجع السابق ، ص ٣٨٨ .

موجودة فى عاصمة الدولة ، فحظيت باهتمام سلاطين بنى مرين ، كذلك نجد أنها سجلت أكبر عدد مرات ضرب فيها النقد المرينى مقارنة بالمدن الأخرى [١] ، كما حظيت دار سكة سبتة بأهمية كبيرة ؛ لجودة السكة فيها ، حيث انتشرت العملة المضروبة فيها فى أوربا من خلال التجار ، وعرفت باسم Ceitil [٢] ، كما ضرب العديد من العملات النقدية والتذكارية فى دار سكة سجلماسة [٣] ، بالإضافة إلى دارى سكة أزمور ومكناس [٤] ، وفى عهد السلطان أبى عنان فارس ظهرت نقود مضروبة فى دارى سكة بجاية وتلمسان [٥] ، إلا أن تعدد دار السكة أدى إلى اختلاف أوزانها[٦]، أوزانها[٦]، وهو ما كان له أثر سلبى فى المعاملات التجارية .

ولأهمية النقود فى المعاملات التجارية عملت الدولة على إخضاع دار السكة للرقابة والإشراف الإدارى ، كما وضعت ضوابط للسكة ، يقول ابن خلدون فى ذلك " الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ، ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعير عيار النقد من ذلك الجنس فى خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصلح عليه فيكون التعامل بها عددًا وإن لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزنًا " [٧] .

---

(١) الوزان : المصدر السابق ، ص ٢٨٣ – ٢٨٤ ، وانظر أيضًا طاهر راغب : المرجع السابق ، ص ٣٦٠- ٣٦٢ .

(٢) محمد الشريف : سبتة الإسلامية ، ص ٥٥ .

(٣) نيرة رفيق جلال : المرجع السابق ، ص ٢٩٢ وكذلك

Sothety s Auctions : Ancient and Islamic Coins , 1986 , p. 353 .

(٤) حامد التريكى : النقود ودور السكة فى المغرب ، بحث ضمن كتاب المدينة فى تاريخ المغرب العربى ، أشغال الندوة المنظمة من ٢٤ إلى ٢٦ نوفمبر ١٩٨٨ ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، ص ١٦٥ .

(٥) محمد باقر الحسينى : نقود المغرب والأندلس دراسة تحليلية الكنى والألقاب ، مجلة المسكوكات، ع ١٢- ١٣ ، بغداد ، ١٩٨١ – ١٩٨٢ ، ص ١٢٢ ، سمية حسن محمد إبراهيم : ديناران من لدولة بنى مرين ، مجلة جامعة عين شمس مركز الدراسات البردية والنقوش ، القاهرة، ع ١٥ ، ١٩٩٨ ، ص ٨ .

(٦) محمد المنونى : ورقات ، ص ١٣٠ .

(٧) العبر ، ج١ ، ص ٢١٧ .

وكان لدار السكة ناظر يتصف بالأمانة ويقوم بالإشراف على أمورها وعلى كل العاملين فيها ، يوجد بها باستمرار منذ الصباح حتى ينتهى العمل فى مساء [١] ، ويحتفظ بالقوالب النقدية (الدمغة) معه فقط [٢] ، وكان أول من عين أمينًا وناظرًا لدار السكة فى عهد المرينيين ابن محمد الكومى المدينونى ، وعين فى عام (٦٧٤ هـ - ١٢٧٥ م) وظل شاغلاً هذا المنصب لمدة خمسة عشر عامًا [٣] ، ولأهمية دار السكة حظيت من الدولة بالحماية ، فكان يوجد بها حراسة بالليل والنهار ؛ لمنع دخول أى شخص مشكوك فى أمره [٤] ، وفضلاً عن لناظر السكة كان يعمل بها الشهود والفتاح والسكاكون [٥] .

وظلت النقود المرينية تتمتع بقوتها وازدهارها بفضل إصلاحات السلطان أبى يعقوب يوسف بن عبد الحق حتى عام (٧٣٦ هـ / ١٢٣٥ م) حينما اشتكى الناس للسلطان أبى الحسن المرينى من ما ظهر من فساد وتزيف للعملة ، وذلك بسبب تلاعب اليهود الذين يعملون فى دور الضرب أو يتقلدون بعض الوظائف الخاصة بالشئون المالية فى الدولة [٦] ، بالإضافة إلى انفرادهم بأعمال الصرافة والصياغة [٧] .

ومن حوادث الغش التى حدثت داخل دار السكة الحادثة التى حدثت فى سجلماسة ، إذ عمل اليهود على غش الدينار اليعقوبى ، واكتشف الأمر حينما قام ناظر دار السكة بوزن الدينار فوجده ناقصًا عن وزنه المحدد ، فأحضر اليهود الذين يسكون الدينار والدرهم وهددهم واستبد بهم ، فاعترف أحدهم بأنه أخذ عند السبك جزءًا من الفضة ، وجعله فى جوف قطعة الفحم التى سبكوه بها بعد ثقبها ووضعه فيها ، ونزع من الذهب بعد ذوبانه كمية الفضة وأتلفها فى فرن السبك ، ولما حقق فى ذلك عوقب الفاعل [٨] .

---

(١) ابن يوسف الحكيم : المصدر السابق ، ص ٦٩ وانظر أيضًا عاطف منصور محمد : المرجع السابق ، ص ٣٥٣ .

(٢) الوزان : المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

(٣) محمد عيسى الحريرى : المرجع السابق ، ص ٢٩٧ ، عبد الهادى التازى : العملة ودور السكة السكة فى المغرب ، مجلة الأكاديمية المملكة المغربية ، ع٤ ، ١٩٨٧ ، ص ٢٠٤ .

(٤) ابن يوسف الحكم : المصدر السابق ، ص ٨٣ .

(٥) لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين ، ص ٣٦ ، محمد المنونى : ورقات ، ص ١٣٢ .

(٦) ابن يوسف الحكيم : المصدر السابق ، ص ١٣٧ ، وانظر أيضًا على معطى : المرجع السابق ، ، ص ١١٤ .

(7) Du Fourcq : L'Espagne , p. 143 .

(٨) عطا على محمد شحاته ريه : المرجع السابق ، ص ١٤٢ ضيف الله بن يحيى الزهرانى : زيف زيف العملة ، دبى ، ط١ ، ١٩٩٣ ، ص٥٥.

ونتيجة لكل ما ارتكبه اليهود من فساد تسبب فى إحداث أزمة مالية فى البلاد ، اتخذ السلطان أبو الحسن المرينى بعض الإجراءات ؛ للقضاء على ظاهرة زيف العملة ؛ من خلال منع اليهود من الاشتغال بالصياغة والصرف [١] ، ولكن سرعان ما ظهرت هذه المشكلة مرة أخرى فى عهد السلطان أبى عنان فارس ، لذلك فى (٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م) أمر بمنع تداول السكة الزائفة والمقروضة [٢] ، ولا يباع شئ من المصوغات من الحلى وغيرها إلا بعد عرضها على ناظر السكة ، ولا يعين للصرف إلا من يوثق به ، ونجحت هذه الإجراءات فى إعادة الأمور إلى نصابها [٣] ، إلا مع الاضطرابات السياسية ، استغل اليهود تلك الفرصة ، وعادوا إلى تزيف العملة مرة أخرى فى عهد السلطان أبى فارس عبد العزيز ، وهو ما ترتب عليه اضطراب فى المعاملات التجارية وحدوث نزاع عنيف بين البائعين والمستهلكين ، يقول ابن الخطيب عن ذلك : " جعل الناس يتضاربون على الأثمان الزيوف (النقود الزائفة) بالسيوف"[٤] فأمر السلطان أبى فارس عبد العزيز بالضرب على أيدى المعتدين ، ومنع ومنع التعامل بالنقود الزائفة ، ولا تستخدم سوى النقود الصحيحة الوزن [٥] .

وفى أواخر دولة بنى مرين وانهيار الأحوال السياسية والاقتصادية بها انتشر الفساد فى أحوال السكة ، واختلفت الأوزان ، حيث أصبح من الممكن أن يكون فى المنطقة الواحدة أكثر من سكة مستخدمة [٦] ، فترتب على ذلك إفساد البيع والشراء ، وجعل الناس يتعاملون بوزن العملة قبل استخدامها ، وذلك بسبب عدم معرفة الأوزان الصحيحة للعملة [٧] .

وقد ترك الونشريسى العديد من القضايا التى نجمت عن فساد العملة ، فسئل عما يفعله الناس إذا وقع بأيديهم شئ من الدراهم الوازنة فصصها وردها على الدراهم الجارية ، فأجاب الفقيه : أن قص الدراهم الوازنة وتصيرها ناقصة ، فإن كان فى بلد لا يجوز فيه إلا الوازنة فلا يجوز ، وهو من باب الفساد فى الأرض ، وإن كانت حيث

---

(١) ابن يوسف الحكيم : المصدر السابق ، ١٣٨ ، وانظر أيضًا مصطفى نشاط : إطلالات ، ص٦٤.
(٢) كانت العملات تقرض (تبرد) بهدف تقليل وزنها (أبو يوسف الحكيم : المصدر السابق ، ص١٣٩) .
(٣) ابن يوسف الحكيم : نفس المصدر والصفحة .
(٤) معيار الاختيار : ص ١٥٩ .
(٥) ابن يوسف الحكيم : المصدر السابق ، ص ١٣٩ .
(٦) ابن الحاج الفاسى : المدخل ، ج٤ ، ص ١٦ .
(٧) الكرسيفى : رسالة فى توحيد السكك المغربية ، ضمن المؤلفات الفقهية الكاملة للعلامة الكرسيفى ، تحقيق عمر أفا ، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الرباط ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٢٤ .

تجوز الناقصة أو يتعامل بها وزنًا بالصنجة [1] ، فذلك جائز فقهًا ويستحب تركه ورعًا، كما سئل فى النازلة نفسها : هل يجوز لأحد أن يأخذ حليًا جيدًا مما مثله يتعامل به ويصوغه دنانيرًا ودراهم ويتعامل بها ؛ لأن سكة السلطان غير قائمة الآن أم إن هذا ممنوع وإن عدمت ؟ فأجاب الفقيه : أما مسألة الحلى وسبكه دراهم فإن كان عيار الحلى فى مثل جودة السكة الجارية الآن فى فاس أحسن جاز ذلك وإلا فلا [2] ، وهذا دليل واضح على توقف السلطة المرينية عن سكة العملة الشرعية للدولة .

وقد انتشر الفساد فى دار السكة ، فأورد الونشريسى نازلة ، إذ سئل عن جواز التعامل بالسكة المغشوشة ، فأجاب إن كان الجزء المشوب بالفضة من النحاس معلومًا لا يزاد فيه ، واشتهر ذلك عند الخاصة والعامة من أهل دار السكة والمتعاملين ، جاز طبعها على ذلك ، وجاز التعامل بها ؛ لأنا أمنا من التدليس بها [3] .

كما سئل رجل عن جواز التعامل بالدراهم الناقصة الوزن ، حيث كانت معه دراهم أكبر من تلك المتعامل بها فى البلد ، فأراد أن يقطعها ؛ لتتفق مع دراهم البلد الموجود بها ، فأجاب بأن ذلك مكروه مخافة أن يذهب بها إلى بلد لا يجوز أن يقطعها، على ألا يتعامل بها فى بلد لا تتعامل بها ؛ لأن ذلك غير جائز [4] .

ونتيجة لأزمة العملة واختلاف قيمتها حدثت مشكلات فى البيع ، فأورد الونشريسى نازلة تشير إلى ذلك ، حيث سئل عن رجل اشترى حنطة بدينار الوزان ، ثم إنه أعسر بالدينار الوزان ، فقال له الذى باعه الحنطة : خذ منى دينارًا ناقصًا شعيرة ، وأود فضل الحنطة ، فأجاب الفقيه : أنه إذا ثبت البيع بالوزان فلا يتبقى ذلك ؛ لأنه قد ثبت عليه دينار وازن ، فأعطى مكانه ناقصًا وزيادة حنطة ، فذلك دينار وحنطة ، وإن ثبت البيع بناقص فلا ينبغى له أن يعطى له وازنًا ويأخذ فضل شئ من الاشياء فإذا لم يثبت البيع إلا مراوضة منها فلا يأس [5] .

---

(1) أوقية الصنجة : أوقية الميزان ، وتقوم بوزن الحلى والنقود وتساوى ٨.٨٢ جرام (الكراسيفى : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ ، هامش (٥٦) .
(2) المعيار المعرب ، ج٥ ، ص ٢٧٢ ، ولمزيد من النوازل التى تخص ضرب سكك غير شرعية أى (ليس تصدرها الدولة) انظر نفس المصدر ، ج٦ ، ص ٦٠ .
(3) نفس المصدر السابق والجزء ، ص ١٢٩ .
(4) نفس المصدر السابق والجزء ، ص ٣٠٠ .
(5) الونشريسى : المعيار المعرب ، ج٦ ، ص ٣٠٢ .

وارتبطت العملة بالصرف [1] وعدّه العلماء ربا ، وقد انتقد الونشريسى كثرة الربا بين الصيارفة [2] ، ومن القضايا التى وردت عن الصرف ، سؤال مفاده هل يكتفى بضرب دار السكة عن مراطلة [3] الراهم بالقرطين أو لا ؟ فكانت الاجابة بنعم، كما سئل عن رجل يكون له على رجل دينار ناقص فيأتيه بدينار قائم فضلا عن الدينار الناقص من المقتضى بالدينار الناقص الذى كان له عليه وبدرهم ، فكان ذهب وفضة بذهب [4] ، كما سئل عن رجل يشترى من البياع بالدانق والدانقين والثلاثة حتى تكثر الدوانق فتكون درهمين أو ثلاثة فأجاب أنه من اقترض دراهم عددًا يجوز أن يردها أقل من عددها مثل وزنها [5] .

رابعًا : الأوزان والمكاييل

تعد الأوزان والمكاييل من الأمور المهمة المرتبطة بحركة البيع والشراء داخل الأسواق ، حيث يستعملها الناس فى معاملاتهم اليومية ؛ لذلك عمد السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق إلى ضبطها ، وأقر استخدام القنطار والرطل والأوقية والوسق [6] [6] والصاع والمد [7] .

ولأهمية الأوزان والمكاييل فى النشاط التجارى توالى اهتمام السلاطين بها ، ففى عام (٦٩٣ هـ / ١٢٩٣ م) أمر السلطان أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بتعديل الصاع المرينى ليعادل أربعة أمداد من المد النبوى [8] ، ليصبح سعته ٦,٩٢٤ لتر [9] [9] ، كما انتقل هذا المد فى بلاد الهند للعمل به [10] ، ثم أجرى السلطان أبو سعيد عثمان تعديلاً آخر ، حيث أضاف مدًا آخر على مد السلطان أبى يوسف يعقوب [11] ، وفى عام ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ قام السلطان أبو الحسن المرينى بتعديل المد فأضاف مدين

---

(1) الصرف : مأخوذ من التقلب ، ومنه تتقلب الدهور ، وصرف الأمور وتقلبها واختلافها ، وصرف الذهب والفضة قلب عين بأخرى وحقيقته شرعًا : بيع الذهب والفضة أو إحدهما بفلوس (البرزالى : المصدر السابق ، ج٣ ، ٣٠٨) .

(2) المراطلة : بيع الشئ بمثل ثمنه (البرزلى المصدر السابق ،ج٤ ، ص ٧) .

(3) الونشريسى : المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٣٠٠ .

(4) الونشريسى : المصدر نفسه والجزء ، ص ٣٠٠ .

(5) الونشريسى : المصدر نفسه ، والجزء ، ص ٣٠١ .

(6) الوسق : يقدر بستين صاعًا (٣٦.٥٥٤٤ لتر) ، والصاع أربعة أمداد بمد النبى (ص) ، والمد رطل وثلث (ابن يوسف الحكيم : المصدر السابق ، ص ١٠٣) .

(7) ابن يوسف الحكيم : المصدر نفسه ، ص ١٠٧ .

(8) الحضرمى : المصدر السابق ، ص ٤٤ ، ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ٣٨٤ .

(9) ابن يوسف الحكيم : المصدر السابق ، ص ١٠٣ هامش (٢) .

(10) الكتانى الفاسى : التراتيب الأدارية ، ج١ ، ص ٣٣٨ .

(11) محمد المنونى : ورقات ، ١٣٧ .

اثنين من الصفر [١] ، وفى عهد السلطان أبى محمد عبد الحق بن أبى سعيد الثانى اقترح عليه وزيره يحيى بن زيات بن عمر الوطاسى تحقيق المد النبوى ، فاجتمع العلماء وعملوا على تحقيق المد النبوى بالحساب واختباره وزنًا وعددًا وكيلا [٢] ، ومن ومن اهتمام المرينيين بالمكاييل والموازين ، عين " أمين القبابين " وهو يعمل على ضبط المكاييل ومراقبتها والعمل بها [٣] .

وارتبطت بعض المكاييل ببيع بضائع معينة ، فالصاع ليباع به الملح قال ابن أبى زرع " فالملح بمدينة فاس كثير جدًا يباع عشرة أصواع بدرهم " [٤] ، واستخدم أيضًا الحمل لبيع الملح [٥] ، كما استخدم الرطل الذى تعددت أوزانه على حسب نوع البضاعة التى يباع بها ، فكان الرطل العطارى يساوى تسع عشرة أوقية ، ورطل الخضارى يساوى ثمانى عشرة أوقية ، والرطل المستخدم للمواد الدسمة والفواكه يساوى أربعًا وعشرين أوقية [٦] ، كما استخدمت الصفحة التى تساوى ستين مدًا [٧] " " فكان القمح يباع فى بلاد المغرب بسبعة دراهم الصفحة الواحدة " [٨] كما استخدم الوسق ويساوى ستين صاعًا بالصاع النبوى [٩] ، وكل وسق قمح بأربعين درهمًا من الصغار " [١٠] ، وبعد فتح مدينة تلمسان انتقل إليها مكيال القمح " برشالة " [١١] ، ويقدر باثنى عشر رطلاً ، ويباع بمثقالين ونصف من الذهب [١٢] ، كما استخدم القفيز لكيل الزيت ، وقدر بستة عشر قدحًا وكل قدح يقدر بـ (١,٦٢ كجم) [١٣] .

---

(١) محمد المنونى : نفس المرجع السابق والصفحة .
(٢) السلاوى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٤٩ .
(٣) محمد المنونى : المرجع السابق ، ١٣٨ .
(٤) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ٣٨٤ .
(٥) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٣٩٣ .
(٦) مزاحم الشاهرى : المرجع السابق ، ص١٦٢ .
(٧) ابن أبى زرع : الذخيرة ، ص٨٩ هامش (١) .
(٨) ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ٩٤ .
(٩) ضياء الدين الريس : المرجع السابق ، ص ٣٤٤ ، محمد عيسى الحريرى : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ .
(١٠) العمرى : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٢٠ .
(١١) ابن مرزوق : المناقب ، ص ٤٦ .
(١٢) ابن خلدون : العبر ، مج٧ ، ج١٣ ، ١٩٨ .
(١٣) القاضى عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ج٤ ، ص ٥٠٢ ، الونشريسى : المعيار المعرب ، ج٦ ، ص ٢٨٣ ، وانظر أيضًا موسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٧٤ .

ومع ضعف الدولة المرينية ضعف الدور الرقابى لها على الأسواق ، فظهر العديد من حالات الغش ، وكان لليهود دور فى ذلك ، إذ عثر فى يد يهودى على حبات من الشعير أعدها ليزن بها ، فاتهمه أحد الأمراء ؛ لأنه شك فى وزنها فاختبرها ، فإذا فى جوفها أطراف من الحديد (أبره) ركزها فيها بعد أن رطبها بالماء ، ثم جففها ، فاشتدت على ذلك الحال ، فإن وزن لغيره ، وزن بالتى بها أطراف الإبرة ، وأن وزن لنفسه ، وزن بالتى ليس بها إبر [١] .

وقد أورد الونشريسى نازلة عن الوزن الناقص ذكر فيها أنه قد سئل عن الذى يشترى طعامًا من الرجل فأمر من يكيل له وحاسب المشترى حتى استكمل ثم قال له البائع قبضت حقك ؟ فقال : نعم ، فتوجه إلى بيته وادعى أنه عجزه من تمام حقه عشرة أكيال ، فأجاب : إن أقر المشترى أنه قال قد أخذت حقى ولم يدع غلطا أو كانت عليه بقوله بينة فلا يمين له على البائع ، وإن كان للمشترى بينة لم تفارقه حتى كان الطعام ، رجع بالنقصان على البائع ، وإن لم تكن له بينة ، حلف البائع بالله لقد قال لى أخذت حقى واستوفيته وسقط عنه ما ادعى المشترى من النقصان [٢] ، وسئل عن رجل اشترى حمل طعام أو كتان على أن فيه كذا وكذا قفيزًا ، فلما ذهب إلى منزله ، وجده ناقصًا ، فأجاب الفقيه : يرجع بما نقص ويحلف المشترى أنه ناقص [٣] ، وكانت توجه توجه الدولة عقابًا لمن أثبت عليه تهمة الغش ويؤمر بإخراجه من السوق [٤] والضرب والضرب وقد يصل إلى السجن [٥] .

خامسًا : المقاييس

امتدت أيدى اهتمام المرينيين إلى المقاييس التى تعد من الأدوات المهمة فى مجال التجارة ، حيث إنها كانت مصدرًا للخلافات فى المعاملات التجارية [٦] ، ولا توجد لدينا أى معلومات عن أى إصلاحات سبقت إصلاحات السلطان أبى عنان فارس الذى اهتم بضبط المقاييس ، وذلك من خلال إقامته لمقياسين على جدران مدينة فاس :

---

(١) ابن يوسف الحكيم : المصدر السابق ، ص ٨٢ .
(٢) الونشريسى : المعيار المعرب ، ج٥ ، ص ٢٥١ .
(٣) الونشريسى : نفس المصدر والجزء ، ص٢٥٣ .
(٤) الونشريسى : المصدر نفسه ، ج٦ ، ص ٤١٢ .
(٥) الونشريسى : نفسه والجزء ، ص ٤٢٤ .
(٦) موسى لقبال : المرجع السابق ، ص ٥٧ .

الأول :

يقع داخل المكتب القديم للمحتسب الذى يقع فى ساحة باعة الحناء على يمين مدخل مارستان سيدى فرج الواقع فى سوق العطارين ، وعمل هذه المقاييس فى حائط علوه من الأرض ٥٠ سم ، وقد رسمت هذه الذراع على رخامة بيضاء كتب عليها " الحمد لله أمر بعمل هذه القالة : مولانا أمير المؤمنين أبو عنان أيده الله ونصره وذلك عام خمسة وخمسين وسبعمائة " ، ويبلغ طول هذا المقياس ٤٦ سم ، وكانت هذه القالة قد خصصت لباعة الثياب الصوفية ؛ لذلك سميت " بالقالة الدرازية " ، كما أطلق عليها " القالة الإدريسية " نسبة لمدينة فاس التى هى من بناء الخليفة المولى إدريس الثانى .

الثانى :

تقع بشارع سوق العطارين قرب الأول [القالة الأولى] ألصق على الحائط ومرسوم على رخامة بيضاء كتب عليها " الحمد لله هذا قياس دراع قاله القيسارية : وذلك عن أمر مولانا أمير المؤمنين المتوكل (على رب العالمين) أبى عنان أيده الله ونصره وذلك عام خمسة وخمسين وسبعمائة " ، طول هذه القالة ٥٥ سم ، ويستعملها تجار الجوخ والنسيج والحرير والكتان ؛ لذلك أطلق عليها اسم (مقياس القطنيات) كما تسمى " القالة السوسية " [١] .

كما وجد فى سبتة مقياس طوله ٥٠ سم وأطلق عليه اسم (قالة الدنيقى) [٢] ، كما وجدت وحدات أخرى للمقياس كالذراع ، للمساحات ، وطوله ٥٤.٠٤ سم [٣] ، أما عن قياس الأراضى الزراعية ، فقد استخدم المرجع الذى قدر بعشر أقدام [٤] ، بالإضافة إلى استخدام المرجع السجلماسى واستعمل فى تقدير المساحات للمبانى وقدرت مساحته بألف متر تقريبًا [٥] .

---

[١] محمد المنونى : ورقات ، ص ١٤٣ ــ ١٤٥ نقلاً عن :
Bel (Alfred) : Inseriptions Arabes de Fes . Journal Asiatique , March , 1917 , p. 303 ; 3 n .

[٢] الأنصارى السبتى : المصدر السابق ، ص ٥٣ .

[٣] هنتس : المرجع السابق ، ص ٨٦ .

[٤] الونشريسى : المعيار المعرب ، ج٦ ، ص ٤٣٤ .

[٥] الجزنائى : المصدر السابق ،ص ٧٦ ، وانظر أيضًا مزاحم الشاهرى : المرجع السابق ، ص١٦٢ .

لما كان النشاط التجارى نتاجًا مشتركًا لعناصر سكان المجتمع الواحد ، كان علينا إبراز العلاقة الرابطة بين التجارة والمجتمع ، بداية من عناصر السكان لمجتمع التجار المرينى وإسهاماته فى مجال التجارة ، بالإضافة إلى توضيح كيفية ممارسة حياتهم الاجتماعية ، كما نشير إلى تأثر التجارة بالمتغيرات التى تطرأ على المجتمع من أزمات سياسية وكوارث طبيعية ، وارتباط التجارة بالنواحى الثقافية فى المجتمع .

أولاً : العناصر السكانية لتجار المجتمع المرينى

مارس النشاط التجارى جميع العناصر السكانية للمجتمع المرينى من قبائل عربية وبربرية وأهل الذمة (اليهود والنصارى) والأندلسيين ، وأدى كل عنصر من هؤلاء دورًا مهمًا فى مجال التجارة .

١- القبائل البربرية والقبائل العربية :

استكمالاً للدول البربرية التى قامت على الأراضى المغربية نشأت دولة بنى مرين البربرية الأصل على هذه الأرض [١]، لذلك نجد البربر يشكلون السواد الأعظم للمجتمع المرينى ، خاصة فى مدينة فاس [٢]، حيث أدت هذه القبائل دورًا بارزًا فى تجارة تلك المدينة العامرة بالأسواق التجارية التى حملت فى بعض الأحيان أسماء أسر القبائل البربرية ، مثل سوق ابن فذة ، كما كان لهذه الأسرة فندق يحمل اسمها [٣] ، واشتهرت بعض الأزقة فى المدينة كانت تحمل أسماء أسر بربرية دلالة على مكانتها التجارية فى المجتمع ، مثل أسرة بنى عزانة [٤] .

ولم يقتصر دور البربر على التجارة الداخلية فقط ، فقد كان لهم دور مهم فى التجارة الخارجية ، وكان أشهر تجار مدينة أغمات من قبائل مصمودة ذوى الصيت الواسع فى أوساط التجارة الخارجية ، خاصة مع بلاد السودان التى

---

(١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٢٧٨، وانظر أيضًا الحسن السائح : البربر والعروبة، مجلة دعوة الحق، الرباط، ع ٤، ١٩٦٠، ص ٤٠.

(٢) إبراهيم حركات : معالم من التاريخ الاجتماعى للمغرب على عهد بنى مرين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع٢، الرباط، ١٩٧٧، ص ٢١٨ .

(٣) ابن الأحمر : بيوتات فاس، ص٨ .

(٤) ابن الأحمر : المصدر السابق، ص ٣٥ .

كونوا من خلال أسفارهم إليها ثروات طائلة جعلتهم من أغنى التجار فى الدولة المرينية [1] .

وعلى الرغم من أن بنى مرين ينتمون إلى قبائل بربرية ، إلا أنهم عمدوا على إقامة العديد من المصاهرات بينهم وبين القبائل العربية ؛ من أجل تدعيم مكانتهم فى المغرب [2] ، وعمل مؤسس الدولة المرينية على تبنى هذه الفكرة، فتزوج الأمير عبد الحق بن محيو[3] من امرأة تدعى "سوط النساء"، وهى من بنى على الشرفاء الحسنيين[4] ، كما أثمرت هذه الزيجات قوادًا تولوا قيادة الحكم المرينى ، فقد تزوج أمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق من حرة ، وهى عائشة بنت أمير عرب الخلط [5]، وهو ابن عطية مهلهل بن يحيى الخلطى ، وأنجبت له الأمير أبا سعيد عثمان [6]، ومن بين زوجات السلطان أبى عنان فارس المرينى مولدة عربية تدعى غزالة ، وهى أم ولده الذى تولى الحكم بعده (محمد السعيد بن أبى عنان) [7] .

لجأ المرينيون إلى الزواج السياسى ، لتأمين حكمهم ، وذلك لأن القبائل العربية كانت تدين بالولاء للموحدين فى بداية قيام دولة بنى مرين

---

(1) الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص ٣٣٢، انظر ايضًا حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ج ٤، ص ٥٥٩ .

(2) مصطفى أبو ضيف : المرجع السابق، ص ١٦٢، محمد محمد أحمد إسماعيل : ثورات العرب والبربر واليهود فى عهد دولة بنى مرين، مكتبة الثقافية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨، ص ٥٢ .

(3) ابن الأحمر : النفحة النسرينية، ص ٣٣ .

(4) ابن الأحمر : روضة النسرين، ص ١٦ .

(5) عرب الخلط : بطن من المتفق بن عامر بن صعصعة من العدنانية، وقيل هم بنو عوف ومعاوية بن المنتفق، كانوا من شيعة القرامطة بالبحرين، ولما ضعف أمرهم، ارتحلوا مع بنى سليم إلى إفريقية (القلقشندى : نهاية الأرب، ص ١٣١ – ١٣٢، له أيضًا قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الإبيارى، طبعة دار الكتاب المصرى، ودار الكتاب اللبنانى، القاهرة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢، ص ١١٩ – ١٢٠) .

(6) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٣٩٥، ابن الأحمر : النفحة النسرينة، ص٢٣. ص٢٣.

(7) ابن الأحمر : النفحة النسرينة، ص ٢٩، أنظر ايضًا محمد عادل عبد العزيز إبراهيم: الحياة الثقافية والاجتماعية فى دولة بنى مرين (٦٦٨ – ٨٦٩ هـ / ١٢٦٩-١٤٦٥ م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ١٩٨٢، ص ١٨٦ .

وأثناء صراعها معهم [١] ، فأدرك المرينيون قوة هذه القبائل وتأثيرها المباشر على الجانبين السياسى والتجارى لدولتهم ؛ لذا عمدت سياستهم إلى هذه الزيجات ؛ لإذابة هذا الحاجز بينهما ، حتى تنعم بالهدوء والرواج التجارى داخل المجتمع .

ولم يكن الزواج السياسى السبيل الوحيد لكسب ثقة القبائل العربية وتدعيم الثقة بينهم وبين هذه القبائل [٢]، فأوكلت إليها جباية الضرائب التى فرضت عليها ، فكانت الدولة تختار قبيلة معينة لتمثل دور"قبيلة المخزن"، وذلك مقابل مزايا تمنح إليها[٣]، إلا أن هذا الأمر أدى فى بعض الأحيان إلى استفحال أمر القبائل ، حيث يبقى جزء كبير من أموال الضرائب المحصلة فى أيديها ، فزاد ذلك من قواتهم [٤]، فعملوا على فرض الإتاوات على القبائل القبائل الأخرى [٥] ، مثلما فعلت قبيلة أولاد حسين[٦]، التى استولت على مغارم درعة وبلاد تادلا [٧] ، وهو ما تسبب فى إذاعة الخوف والرعب فى نفوس القبائل الأخرى التى دفعت الإتاوات خوفًا من بطشهم ، حتى وصل الأمر إلى أن فرضوا إتاوات على بيع المحاصيل الزراعية ، بل تحكموا فى زراعة نوع المحصول [٨] ، ولم يستطع الرعايا التصدى لهم ؛ بسبب القوة المادية والعسكرية التى أصبحوا فيها ، كما كانت الدولة المرينية قد دب فيها الضعف، فلم تستطع التصدى لهم ، وهو ما كان له أثر سلبى على التجارة[٩].
التجارة[٩].

---

[١] ابن خلدون : العبر، مج٧، ج١٣، ص ٣٥٠، انظر أيضًا : شارل أندرى جوليان : المرجع السابق ج٢، ص ٢١٣، محمد عيسى الحريرى : المرجع السابق، ص ٣١٧ .

[٢] ابن خلدون : العبر، مج٧، ج١٣، ص ٩٧ – ١٠٢ .

[٣] ابن الأحمر : بيوتات فاس، ص ٤٣ وانظر ايضًا جورج مارسيه : بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامى فى العصور الوسطى، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩١، ص ٣٢٣.

[٤] جورج مارسيه : المرجع السابق، ص ٣٢٤ .

[٥] السلاوى : المصدر السابق، ج٢، ص ١١، الوزان : المصدر السابق، ص ١١٥ .

[٦] قبيلة أولاد حسين : هم فرع من قبيلة ذوى منصور الذين هم أهم وأكثر قبائل المعقل المعقل عددًا، فكانوا يسكنون ما بين سجلماسة وسوس [القلقشندى : نهاية الأرب، ص ٧٤، وانظر أيضًا عبد الوهاب بن منصور : القبائل المغربية، ج١، ص ٤٢٥] .

[٧] مصطفى أبو ضيف : المرجع السابق، ص ٢٢٦ .

[٨] ابن خلدون : المصدر السابق، مج٧، ج١٣، ص ٤٥٠، كربخال : المصدر السابق، ج٢، ص ٣٨ .

[٩] الونشريسى : المعيار المعرب، ج٥، ص ٢٣٧، كربخال : المصدر السابق، ج٢، ص ٣٣ .

ومن السبل الأخرى التى اتبعها بنو مرين لتدعيم علاقتهم مع القبائل ، أن أوكلت إليهم تأمين الطرق التجارية للتجار والمسافرين بين مدن المغرب[١]، وبرزت قبيلة عرب سليم [٢] فى محافظة على الطرق التجارية وحماية قوافل قوافل ركب الحجيج الذين كانوا يعانون أثناء سفرهم من المخاطر التى يواجهونها فى الطريق ، فاستطاع عرب دباب وهيب فرض سيطرتهم على الطرق ، فأمنت الطرق [٣] ، وهذا الأمان ساعد على انتعاش حركة التجارة ، ، فأقامت قوافل ركب الحجيج الأسواق على الطرق ، وكان من أشهرالأسواق سوق زاوية أولاد سنان بالقرب من تونس [٤] .

ونتيجة للتواصل التجارى لقبيلة صنهاجة مع دولة مالى [٥] ، فقد لعبت دورًا فى تعضيد العلاقات بين مملكة مالى والمغرب فى العهد المرينى وخاصةً فى عهد السطان أبى الحسن المرينى ، وذلك حينما لعبوا دور الوسيط بين الدولتين للتقريب بينهما [٦] ، وفضلاً عما سبق فقد منحت الدولة الإقطاعات للقبائل ؛ للمحافظة على الطرق التجارية ، ومنحتها أيضًا لتنمية الثروة الحيوانية والاستفادة من خبراتها فى هذا المجال ، خاصة تربية الخيول والمتاجرة فيها ، ويرجع اهتمام بنى مرين بالثروة الحيوانية لأن " جل أموالهم من الخيل والإبل والخول " [٧] ، واشتهر سكان جبل فازاز [٨] بإنتاج بإنتاج الخيل التى تعد من أفضل الخيول لصبرها [٩] ، كما لعب العرب دورًا دورًا بارزًا فى هذا المجال منذ الفتح العربى لبلاد المغرب ، حتى إن الدولة الموحدية اعتمدت عليهم فى إمدادها وتجهيز جيوشها من الخيول العربية

---

(١) ابن مرزوق : المسند، ص ٤٢٩، القلقشندى : صبح الأعشى، ج٥، ص ١٩٨ .
(٢) عرب بنى سليم : من أوسع بطون مضر وأكثرهم، وقد استقروا فى برقة وطرابلس حتى إفريقية، ولم يدخلوا المغرب إلا مع الهلاليين، ومن بطونهم دباب وزعب وعوف وهيب (القلقشندى : نهاية الأرب، ص ٢٧٢، وله أيضًا : قلائد الجمان، ١٢٥ ــ ١٢٨؛ عبد الوهاب بن منصور : القبائل المغربية، ج١، ص ٤٢٨) .
(٣) بثينة السيد عبد الرحمن أحمد الريس : أثر قبيلة سليم السياسى والحضارى فى مصر مصر وبلاد المغرب حتى أواخر القرن السابع الهجرى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٢، ص ١٦٨ .
(٤) التجانى : المصدر السابق، ص ٢١٤ .
(٥) ابن خلدون : العبر، مج٧، ج١٣، ص ١١٩ .
(٦) السلاوى : المصدر السابق، ج١، ص ٤٣٢ .
(٧) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٢٨٢.
(٨) جبل فازاز : جبل مشهور فى بلاد المغرب يقع بين نهر سلا ونهر سبو، وسكانه من من القبائل البربرية، ابن سعيد : الجغرافيا، ص ١٤١ .
(٩) مجهول : الاستبصار، ص ١٨٧، الحميرى : المصدر السابق، ص ٤٣٥.

الأصيلة ، فأمر عبد المؤمن الموحدى [٥٢٤- ٥٥٨ هـ / ١١٢٩- ١١٦٢ م] باستجلاب الخيل له من إفريقية [١] .

ولمعرفة المرينيين بقيمة الخيول العربية فقد حرصوا أشد الحرص على اقتنائها ، حتى إنهم فى الحروب التى خاضوها ضد القبائل العربية الثائرة عليهم كانوا يغتنمون هذه الخيول ويحافظون عليها دلالة على قيمتها وحرصًا على امتلاكها [٢] .

وقد اشتهرت العديد من القبائل بإنتاج أشهر أنواع الخيول ، مثل قبيلة سليم ، وأشهر خيولها الأحزم والأزور [٣] ، كما ساعدت القبائل العربية والبربرية فى تنمية إنتاج الخيول وتحسينها ، مثلما ما فعل عرب المعقل [٤] الذين اشتهروا بخيول الفازازية [٥] .

ونتيجة لهذا التميز الذى حظيت به الخيول المغربية ، فقد حرص بنو مرين على استخدامها هدايا إلى ملوك الدول الأخرى ، وأصبحت الهدية الرئيسية التى يحملها ركب الحجيج المرينى إلى مصر أثناء سفره للحج ، وصارت هذه السفارات سجلاً واضحًا لنا نرصد من خلاله مكانة الخيول المغربية ومدى استحسان سلاطين مصر لها [٦] ، حتى إنهم قد حرصوا على على الاستزادة منها ؛ لأنها على حسب قول ابن خلدون " فيها الشدة والصبر على المتاعب " فى حين أن خيل مصر " قصرت بها الراحة والتنعيم " [٧] ، ، فنرى الملك الظاهر برقوق يكلف يوسف بن على أمير أولاد حسين من

---

[١] ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق، السفر الثانى، ص ٢١٥.
[٢] مصطفى أبو ضيف : المرجع السابق، ص ٢٩٤ .
[٣] مصطفى أبو ضيف : المرجع نفسه، ص ٢٩٣ .
[٤] عرب معقل : يدعون أنهم هاشميون من ذرية جعفر بن أبى طالب، ويقال إنهم ينسبون إلى ولد معقل، واسمه ربيعة بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحارث، (القلقشندى : نهاية الأرب، ص ٧٤، عبد الوهاب بن منصور : القبائل المغربية، ج ١، ص ٤٢٤) .
[٥] ابن الخطيب : تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجرى ذلك من شئون الكلام، تحقيق أحمد مختار العبادى ومحمد إبراهيم الكتانى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤ م، ص ١٦٨ .
[٦] ابن مرزوق : المسند، ص ٤٥٣، السلاوى : المصدر السابق، ج١، ص ٤٢٣.
[٧] ابن خلدون : التعريف، ص ٣٣٩ .

عرب المعقل [١] أثناء عودته إلى المغرب بانتقاء الخيول وإرسالها ، ولكن الملك الظاهر عندما استبطأ وصول الخيل ، أمر مملوكه قطلوبغا [٢] أن يذهب إلى المغرب ويشترى الخيل منها بنفسه [٣] .

ولم يقتصر دور القبائل فى المشاركة فى الحياة التجارية على الخيول ، فنجد أنه قد ذاع صيت الأغنام المرينية فى أوربا حتى أطلق عليها لفظ Merinas نسبة إلى الدولة المرينية التى تنتج أجود الأصواف [٤] ، واشتهرت بذلك مدينة وجدة التى كانت مقرًا لعرب عبيد الله من عرب معقل، وكان لهم باع طويل فى تربية الأغنام ، وتنتج هذه الأغنام أجود أنواع الصوف الذى ليس له نظير ، وتصنع منه الأكياس التى كان يباع الواحد منها بخمسين دينارًا [٥] ، كما اشتهرت سجلماسة بإنتاجها لأجود الأصواف ، حتى بلغ ثمن الثوب الواحد منها بعشرين مثقالاً ، وكان يرعى مراعيها عرب قيس [٦] .

وعلى الرغم من الدور الإيجابى الذى أدته القبائل (البربرية والقبائل العربية) فى تدعيم حركة التجارة ، فقد كان لها دور سلبى على التجارة ، كالإغارة على الطرق التجارية ، ومن بعد سيطرة القبائل على الطرقات من أجل الحفاظ على التجارة ، تبدلت الأحوال ، فأصبحت تغير على القوافل التجارية ، وتفرض الإتاوات عليها [٧] ، وهو ما كان له أثر سلبى على

---

[١] هو يوسف بن على بن غانم أمير أولاد حسين من عرب معقل، هرب من المغرب من سخط السلطان أبى العباس أحمد بن أبى سالم إلى مصر، ولجأ إلى الملك الظاهر الذى استشفع له عند السطان أبى العباس، وأعاده إلى منزله مرة أخرى (ابن خلدون : التعريف، ص ٣٤٠) .

[٢] قطلوبغا بن عبد الله : ت ٨٢١ هـ/١٤١٩ م تولى نيابة الإسكندرية والحجابة أيام الظاهر ونيابة الإسكندرية أيام المؤيد (ابن خلدون : المصدر نفسه، ص ٣٤٠، ٣٤١ هامش (٥)) .

[٣] ابن خلدون : المصدر نفسه، ص ٣٤٠ – ٣٤١ وانظر ايضًا محمد المنونى : ورقات، ص ٢٢٢ .

[٤] مصطفى أبو ضيف : المرجع السابق، ص ٢٩٨، محمد عيسى الحريرى : المرجع السابق، ص ٢٩٤ ؛ رضوان البارودى : الحياة الحربية، ص ٢٤٣ .

[٥] مجهول : الاستبصار، ص ١٧٧، الحميرى : المصدر السابق، ص ٦٠٧ .

[٦] ابن الخطيب : معيار الاختيار، ص ١٨١ .

[٧] الوزان : المصدر السابق، ص ٢٠٥ وانظر أيضًا مصطفى أبو ضيف : المرجع السابق، ص ٢٢٦ .

أحوال التجار ، ومن أجل ذلك قامت العديد من الثورات ضد الدولة ؛ لعجزها عن حماية القوافل [١] .

مثلما فعل عرب معقل ، حينما كانوا يقطعون الطرق على القوافل التجارية ، ويضرون بالعمران فى منطقتى درعة وسجلماسة ، وخرج السلطان أبو يوسف يعقوب لمحاربتهم ٦٨٦ هـ / ١٢٨٥ م [٢] وكما أدت الغارات التى كانت تقوم بها القبائل على الطرق التجارية إلى هجرة الطريق الرابط بين فاس وتلمسان عبر تازة [٣] .

ووقفت القبائل أيضًا موقفًا سلبيًا تجاه المجتمع حينما مر ببعض الأزمات ، ففى عام (٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م) حينما هاجم الجراد المغرب ، وحدثت أزمة اقتصادية فى ذلك الوقت بسبب هذا الأمر ، أسهم عرب خلط وعاصم وبنى جابر فى تفاقم تلك الأزمة ، من خلال العدوان الذى قاموا به تجاه أهالى منطقة تامسنا فألحقوا بهم أضرارًا كثيرة ، وهو ما جعل السلطان أبو ثابت عامر يتخذ إجراءات ضدهم ،" فسجن منهم ستين شيخًا بسجن أنفا ، وضرب أعناق عشرين رجلاً من أشرارهم الذين كانوا يقطعون الطريق بتلك الجهات وصلبهم على أسوار أنفا " [٤] .

كما أسهمت القبائل العربية فى نكبة السلطان أبى الحسن المرينى فى إفريقية ، فبعد ما كانوا مؤيدين له ، انقلبوا عليه ؛ بسبب الإجراءات التى اتخذها السلطان أبو الحسن بعد دخوله إفريقية ، حيث أعاد النظر فى توزيع الإقطاعات للعرب ، فترك لهم ما كان فى حدود المعقول ، أما إقطاعات الأمصار والضواحى والتى تؤدى إلى الاستقلال الذاتى ومنافسة الدولة فقد عوضهم عنها برواتب من ديوان الجند ، وأنقض جبايتهم ، وألغى الإتاوات (الخفارة) التى كانت تؤخذ من الطرق التجارية [٥] ، وأدت هذه الإجراءات إلى تذمر القبائل وقيام حروب ضده وهزيمة جيشه [٦] .

---

[١] محمد إسماعيل : المرجع السابق، ص ١٦١ .

[٢] ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٣٣٨ .

[٣] التجانى : المصدر السابق، ص ٤ – ٥، وانظر أيضًا عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى، ص ٣١٣ .

[٤] ابن أبى زرع : المصدر السابق، ص ٣٩١ .

[٥] ابن خلدون : العبر، مج٧، ج١٣، ص ٥٧٥ وانظر أيضًا مصطفى أبو ضيف : المرجع السابق، ص ١٨٠ .

[٦] السلاوى : المصدر السابق، ج٢، ص ٥١، وانظر أيضًا إبراهيم حركات : معالم من من التاريخ الاجتماعى لبنى مرين، ص ٢٢٥ .

وفى أواخر عهد الدولة المرينية كثرت ثورات القبائل ضدها ، واستفحل أمرها ، وأشاعت الفساد فى المجتمع ، وهو ما ترتب عليه الفساد فى الزراعة والصناعة والتجارة وانهيار اقتصاد الدولة بأكمله [١] .

٢- أهل الذمة :

تميزت الدول الإسلامية عن أوربا فى العصور الوسطى بروح التسامح الدينى الذى ساد المجتمع فى ذلك الوقت ؛ بسبب مبادئ الدين الإسلامى المتسامحة التى أدت إلى تعايش أهل الذمة [اليهود والنصارى] مع المسلمين دون أى اضطهاد دينى ، وهو ما مكنهم من ممارسة النشاط التجارى بكل حرية [٢] .

أ- اليهود :

شهدت الأراضى المغربية العديد من هجرات اليهود منذ عهد الرومان[٣]، فاعتنقت بعض القبائل المغربية الديانة اليهودية ، وحافظت على معتقداتها [٤] ، ويبدو أنهم اندمجوا فى المجتمع الإسلامى وتأثروا بالحياة الإسلامية [٥] .

وتمركز اليهود فى العديد من المدن المغربية ، وخاصة المدن التى كانت تحمل صبغة تجارية ، ومنها فاس التى استقر فيها أعداد كبيرة من اليهود ، حتى قيل عنها " فاس بلد بلا ناس " وذلك لكثرة اليهود فيها [٦] وتمركزوا فيها لكونها مركزًا تجاريًا مهمًا ، واستقروا بها وكان لهم أحياء سكانية خاصة بهم [٧] ، وفى مدينة مراكش الذى كان بها حى خاص لليهود

---

(١) محمد إسماعيل : المرجع السابق، ص ٣١٩ .

(٢) آدم متز : المرجع السابق، مج١، ص ٧٥ .

(٣) محمود إسماعيل : الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى، الدار الثقافية، الدار البيضاء، ص ٢١، ١٩٨٥، ص ٢٨٦ ؛ عبد الرحمن بشير : اليهود فى المغرب العربى [٢٢- ٤٦٢هـ / ٦٤٢- ١٠٧٢م]، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ٢٠٠١، ص ٤ .

(٤) ابن سعيد : الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨، ص ٩٨ انظر أيضًا عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى، ص ١٠٤.

(٥) هوبكز : النظم الإسلامية، ص ١٨ .

(٦) البكرى : المصدر السابق، ص ١١٥، ياقوت الحموى : المصدر السابق، مج٤، ص ٢٣٠ .

(٧) الجزنائى : المصدر السابق، ص ١٣ .

يحتوى على أكثر من ثلاثة آلاف أسرة يهودية [١] ، وأغمات سكانها اليهود احتكروا النشاط التجارى بها خاصة الخارجى مع السودان [٢] ، وفى سجلماسة أقاموا فيها وعملوا على تجارة الذهب مع بلاد السودان [٣] ، بتلمسان سكانها اليهود وكان لهم حى خاص بهم فيها كان يضم قرابة خمسمائة بيت لليهود وكلهم من أغنياء التجار [٤] ، وإقليم تادلا وسكنه عدد كبير من اليهود الذين اشتغلوا بالتجارة والصناعة وعملوا بدور الوسيط بين تجار المغرب وأوربا [٥] ، وإقليم السوس وكان من أشهر مدن هذا الإقليم مدينة تيوت التى كانت محط للتجار لشراء سكر تيوت وبها أكثر من مائتى تاجر وصانع يهودى [٦] ، وإقليم درعة ومحط للقوافل التجارية التى تحمل التبر من نفازه إلى درعة ، والتى (درعه) بها بلد صبيح التى يقطنها أولياء اليهود ، لذلك محط لزيارة اليهود إليها [٧] .

ولم تكن الاختلافات الدينية عائقًا أمام اليهود فى إسهامهم فى المجال الاقتصادى ، خاصة فى مجال التجارة ، فكان التجار اليهود يجوبون مختلف بقاع العالم ناقلين معهم البضائع التجارية لبيعها ، حتى أطلق عليهم تجار الرذانية [٨] ، وساعدهم على ذلك قدرتهم على التحدث باللغات المختلفة [٩] ، ، حتى استخدموا كسفراء للدول الأجنبية فى عهد دولة بنى مرين [١٠] ،

---

[١] الوزان : المصدر السابق، ص ١١٣، كربخال : المصدر السابق، ج٢، ص ٥٥.

[٢] إبراهيم حركات : الحياة الدينية فى العهد المرينى، مجلة البحث العلمى، الرباط، س ١٦، ع٢٩ – ٣٠، ١٩٧٩، ص ٢٣٥، وله أيضًا طبيعة العلاقات المغربية مع إفريقيا الغربية فى العصر الوسيط، مجلة دعوة الحق، الرباط، ع ٢٦٩، ١٩٨٨، ص ١٨٧ .

[٣] البكرى : المصدر السابق، ص ١٥٠، مجهول : الاستبصار، ص ٢٠٢ .

[٤] ابن سعيد : الغصون اليانعة، ص ٣٣، الوزان : المصدر السابق، ص ٣٩٠ .

[٥] الوزان : المصدر نفسه، ص ١٨٣، وانظر أيضًا عطا على شحاته : المرجع السابق، ص ٦٩، عصمت دندش : المرأة فى تادلا، ص ٣١٠ .

[٦] الوزان : المصدر نفسه، ص ١٢٤ – ١٢٩، كربخال : المصدر السابق، ج٢، ص٢٧ .

[٧] المغيلى : المصدر السابق، ص ٤٤، الوزان : المصدر نفسه، ٤٩٠، كربخال : المصدر نفسه، ج٣، ص ١٥٠ .

[٨] التجار الرذانية : وهى كلمة فارسية بمعنى الطريقة، نعيم زكى فهمى : دور اليهود فى تجارة العصور الوسطى بين الشرق والمغرب، مطابع سجل العرب، الإسكندرية، ١٩٧١، ص ١١ .

[٩] ابن خرداذبة : المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٩، ص ١٥٣، انظر أيضًا : نعيم زكى فهمى : المرجع السابق، ص ١١، إبراهيم حركات : النشاط الاقتصادى، ١٣٥ .

[10] Du Fourcq : l' Espagne , p. 140 .

بالإضافة إلى ذلك هيأ لهم فرصة التجارة مع الدول الأجنبية بشكل واسع ، مثل اليهودى المغربى سليمان كوهن الذى كان يتاجر مع مملكة أراجون وكانت له تجارة واسعة [١] ، بل استطاع الحصول على امتيازات من مملكة أراجون بالإبحار منها وإليها بكل حرية [٢] .

كما كان هناك بعض اليهود يترددون بين فاس وميورقة ، وذلك لأعمالهم التجارية ، مثل إسحاق ليفى وصمويل بن شولوت وحيون ومردخاى بن هارون بكرى وإبرهام ويحيى بن نجار [٣]،كما عملت دولة بنى مرين على تدعيم العلاقات التجارية الخارجية ، وذلك من خلال منح التجار اليهود الأجانب كثيرًا من الامتيازات عند دخولهم المغرب ، مثل تقليل نسبة الضرائب عليهم [٤] ، أيضًا سجل اليهود نشاطًا ملحوظًا فى التجارة ، خاصة خاصة فى تجارتى الرقيق [٥] الذهب [٦] ، فامتهنوا صناعة الذهب فى الداخل بعد عزوف المسلمين عن العمل فيها لما فيها ، من تدليس وربا [٧] ، بيد أن اليهود عملوا بها بالرغم من تحذير أمير المؤمنين عمر بن الخطاب [رضى الله عنه] من عمل أهل الذمة بها [٨] .

وكانت الحرية التى تمتع بها اليهود داخل المجتمع دليلاً واضحًا على العلاقات الطيبة بين اليهود والمسلمين [٩] ، وكان ذلك نتيجة للسياسة التى اتبعها بنو مرين تجاه اليهود والتى تنم على مدى التسامح الدينى ، وخير دليل على هذا محافظة المرينيين على حياة اليهود وسلامتهم ، وذلك حينما ثار العامة ضدهم فى الثانى من شوال عام ٦٧٤ هـ / ١٢٧٥ م ، فتدخل السلطان

---

(١) مصطفى نشاط : إطلالات، ص ٦٩ .
(٢) مصطفى نشاط : المرجع نفسه، ص ٧٠ .
(٣) مصطفى نشاط : المرجع نفسه، ص ٧٠ .
(٤) محمد إسماعيل : المرجع السابق، ص ١٦٥، عمر محمد البارونى : المرجع السابق، ص ٣٢٦ .
(٥) ابن خرداذبة : المصدر السابق، ص ١٥٣ ؛ انظر أيضًا : عطا على شحاته : اليهود اليهود فى بلاد المغرب الأقصى فى عهد المرينيين والوساطيين، ص ١٦٣، عبد الرحمن بشير : اليهود فى المغرب العربى، ١١٠، سعاد زكريا محمود عبد الجواد : المرجع السابق، ص ٦٢ – ٦٣ .
(6) Dufourcq : Ibid, p .143 .
(٧) ابن يوسف الحكيم : المصدر السابق، ص ١٣٧، الوزان : المصدر السابق، ص٢٨٤ .
(٨) ابن الحاج الفاسى : المدخل، ج ١، ص ٧٨، المغيلى : المصدر السابق، ص ٤٣ .
(٩) ابن القاضى : جذوة الاقتباس، ج١، ٣٠٤ .

يعقوب بن عبد الحق وردع العامة عنهم ، وأمر بعدم التعرض إليهم (١) ، بالإضافة الى ذلك ما وصل إليه بنو وقاصة من مكانة خاصة فى عهد السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق [٦٨٥- ٧٠٦ هـ / ١٢٨٦- ١٣٠٦م] (٢) كما اهتم السلطان أبى عنان فارس بهم فعمل على إنشاء المارستان فى حارة اليهود فى مدينة سلا ، لتقديم الخدمات الطبية لهم التى اشتملت على عدد كبير من البيوت لاستقرار المرضى والعمل على راحتهم(٣) ، كما استعان بطبيب يهودى أثناء مرضه (٤) .

ولم تقف مكانة اليهود فى عهد دولة بنى مرين عند هذا الحد ، بل وصلوا إلى كرسى الوزارة ، فعين السلطان عبد الحق بن سعيد [٨٢٣- ٨٦٩ هـ / ١٤٢٠- ١٤٦٤ م] اليهوديين هارون وشاويل فى الوزراة (٥) ، وبالرغم من سياسة التسامح الدينى التى اتبعها المرينيون مع اليهود ، فإن أسلافهم قد اتبعوا سياسة مغايرة تقوم على الاضطهاد (٦) ، فمنع الأمير على على بن يوسف بن تاشفين [٥٠٠- ٥٣٧هـ / ١١٠٦- ١١٤٣ م] دخول اليهود مراكش إلا فى النهار ، لقضاء حوائجهم فيها وخروجهم منها قبل الليل ، خوفًا من أن يكون لهم نشاط تجسسى (٧) ، ولما دخل أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على [٥٢٤ ــ ٥٥٨ هـ / ١١٢٩- ١١٦٢ م] مدينة مراكش فى [٥٤٢ هـ / ١١٤٨ م] أمر بخروجهم منها وإلا تعرضوا للقتل (٨) ، وبعد وفاته بدأ اليهود يعودون مرة أخرى إلى مراكش بادعائهم الإسلام وممارسة شعائره ؛ لذلك عمد الأمير أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدى [٥٨٠ ــ

---

(١) ابن أبى زرع : الذخيرة، ص ١٦١، وله أيضًا الأنيس المطرب، ص ٣٢٢، السلاوى : المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٣ .
(٢) ابن خلدون، العبر، مج ٧، ج ١٣، ٤٨٣، السلاوى : المصدر السابق، ج١، ص٤٢١- ٤٢٢ .
(٣) على حامد الماجى : المرجع السابق، ص ٢٣٦، حمدى عبد المنعم : المرجع السابق، ص ٧١٠ .
(٤) على حامد الماجى : المرجع نفسه، ص٢٣٧ .
(٥) ابن خليل : المصدر السابق، ص ٤٦، السلاوى : المصدر السابق، ج٢، ص ١٦٨ ؛ انظر أيضًا إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ، ص ٧٦ .
(٦) الفرد بيل : الفرق الإسلامية فى الشمال الإفريقى من الفتح العربى حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمن بدوى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨١، ٣٢٦ .
(٧) الإدريسى : المصدر السابق، ج ١، ص٢٣٥، انظر أيضًا : حاييم زعفرانى : ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة أحمد شحلان، عبد الغنى أبو العذام، الدار البيضاء، ١٩٨٧، مجدى ياسين عبد العال : المرجع السابق، ص ٢٧٩ .
(٨) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة، ج٥، ص ٢٧١ .

٥٩٥ هـ / ١١٨٤- ١١٩٨] إلى تحديد ملابس خاصة بهم لتميزهم عن غيرهم خوفًا على المسلمين منهم ، كما أخذوا منهم أموالاً كثيرة [١] .

وعلى ما يبدو لنا أن الدولة الموحدية كانت قاسية معهم ودولة بنى مرين أكثر تسامحًا منهم ، إلا أن هذا التسامح لم تجن الدولة منه إلا الفتن والثورات الذى أدى إلى سقوطها فيما بعد [٢] ، فازداد تغلغل اليهود فى المجتمع المرينى بسبب الأعمال الإدارية والسياسية التى حصلوا عليها إلا أنهم أساءوا معاملة الناس ، مثلما أساءوا معاملة التجار القادمين فى القوافل التجارية حيث أنهم كانوا يعملون جباة للضرائب على أبواب مدينة تلمسان[٣].
تلمسان[٣].

وزاد النفوذ السياسى خاصة حينما تولى الوزراة ، فأساءوا إلى المسلمين [٤] ، كما قاموا بارتداء ملابس المسلمين ، كما عملوا على إعطاء اليهود امتيازات تفوق المسلمين حيث قاموا برفع الضرائب من عليهم وتخفيض نسبة الجمارك [٥] ، مما أثار الناس فقامت الثورات والفتن فى البلاد .

ب- المسيحيون :

المسيحيون فى الدولة المرينية منهم مغاربة الأصل اعتنقوا الدين المسيحى وأصبحوا جزءًا من المجتمع المغربى المرينى وكانوا يعاملون معاملة أهل الذمة [٦] ، ويمارسون التجارة الداخلية بكل حرية دون أى ضغوط من الدولة عليهم بعكس اليهود [٧] ، إلا أنه تزايد عدادهم فيما بعد .

---

[١] عبد الواحد المراكشى : المعجب، ص ١٥٩، وانظر أيضًا مصطفى أبو ضيف : المرجع السابق، ص ١٥٩ .

[٢] المغيلى : المصدر السابق، ص ٥٧

[٣] ابن مرزوق : المسند، ص ٢٨٣ .

[٤] السلاوى : المصدر السابق، ج٢، ص ١٦٨ .

[٥] الوزان : المصدر السابق، ص ١١١ ؛ وانظر أيضًا محمد إسماعيل : المرجع السابق، ص ٢٠٢ .

[٦] ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب، تحقيق على محمد عمر، مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢١٠ وانظر أيضًا محمد محمد مرسى الشيخ : تاريخ مصر البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ١٣٥، نريمان عبد الكريم أحمد : مجتمع إفريقية فى عصر الولاة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٢٦ .

[٧] الدباغ : معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان، الطبعة العربية التونسية، تونس، ١٩٠٢، ج١، ص ٢٠٠، وانظر أيضًا : رضوان البارودى : أضواء على المسيحية والمسيحيين فى المغرب فى العصر الإسلامى، بحث ضمن كتاب دراسات وبحوث

ومن بداية عصر المرابطين استقدم على بن يوسف بن تاشفين [٥٠٠- ٥٣٧ هـ / ١١٠٦- ١١٤٣ م] الجنود المرتزقة المسيحيين ، واستخدمهم فى جباية الضرائب وحراسة الطرق التجارية بعد رفض القبائل أداء ما عليهم من ضرائب ، فكان عليهم استخدام عنصر لا يتحيز إليهم ، فكان عنصر الجنود المرتزقة النصارى هو الأنسب [١] ، فى حين كانت سياسة الموحدين على النقيض ، فأمر عبد المؤمن عند دخوله المهدية [٢] بإخلاء النصارى منها [٣] ، ولم يكن لهم شأن ذو بال حتى جاء المأمون الموحدى [٦٢٤- ٦٣٠ هـ / ١٢٢٧ – ١٢٣٢ م] حينما احتاج إلى إمدادات من الجنود المرتزقة ، اشترط عليه فرناندو الثالث ملك قشتالة السماح لهؤلاء الجنود ببناء كنيسة لهم وسط مدينة مراكش [٤] .

وكان أول استخدام للمرتزقة فى دولة بنى مرين فى عهد الأمير أبى بكر بن عبد الحق [٥] ، وتزايد عدد الجنود المرتزقة فى عهد بنى مرين ، فيذكر ابن مرزوق أنه قد وصل " عدد النصارى إلى ثلاثة آلاف فارس "[٦]، فى حين يذكر العمرى أنهم " أربعة آلاف فارس أو أزيد " [٧] ، وشهد العصر المرينى تسامحًا دينيًا حتى مع الجنود المرتزقة النصارى ، فقد كانوا يمارسون بعض الأعمال التجارية ، مثلما فعل القائد برناط سالادن Bernat Salan الذى كان قنصل التجار المسيحيين لجيش أبى يعقوب المرينى ، وكان له دور ملحوظ فى شراء البضائع وبيعها أثناء حصار مدينة

تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ١٨٧ .

(١) مجهول : الحلل الموشية، ص ٨٥، مصطفى نشاط : إطلالات، ص ٢٨ .

(٢) مدينة المهدية : هى على ساحل إفريقية بناها عبيد الله الشيعى الخارج على بنى الأغلب، وسماها المهدية نسبها لنفسه، والبحر يحيط بها من جهاتها الثلاث ومن الجانب الغربى، ربضها يعرف بزويلة، وهى مقصد للسفن الواردة من المشرق والمغرب وبلاد الروم، الحميرى : المصدر السابق، ص ٥٦١ – ٥٦٢ .

(٣) الزركشى : تاريخ الدولتين الموحدية الحفصية، تحقيق محمد ماضود، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٦، ص ١١ .

(٤) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٢٥٣، انظر أيضًا رضوان البارودى : المرجع السابق، ص ٢١٠ .

(٥) الزركشى : المصدر السابق، ص ٣١، انظر أيضًا : رضوان البارودى : الحياة الحربية، ص ١٨٣ – ١٨٤ .

(٦) ابن مرزوق : المسند، ص ٢٨٢.

(٧) العمرى : المصدر السابق، ج٤، ص ١٠٩ .

تلمسان وبناء مدينة المنصورة [١] ، وهذا التسامح الدينى جعل من المغرب المرينى مكان انجذاب لكل التجار الأجانب النصارى ، وقد نصت العديد من الاتفاقيات الخارجية على حرية التجارة وسلامة التجار الأجانب أو المسلمين فى الأراضى المغربية [٢] .

وقد لعب التجار الأجانب دورًا فى هذه الاتفاقيات ، حيث كان يختار بعض هؤلاء التجار النصارى للتفاوض مع ملوك المغرب ، مثلما حدث من اختيار ملك أراجون Aragon بيدرو الرابع Pedro IV Pedro للتاجر الأراجونى أرناء دوقادش للتفاوض مع السلطان أبى الحسن المرينى فى العديد من القضايا [٣] ، كما منحهم السلطان أبو الحسن المرينى بعض الامتيازات ، حيث قام بإلغاء ضريبة المروس التى كانت تفرض على الجنود النصارى [٤] .

وكان التجار الأجانب يسكنون الفنادق التى وجدت بأحياء المدينة أو خارجها، وكان لكل جالية أجنبية الفندق الخاص بها ، ويحتوى كل فندق على كنيسة بداخله لأداء صلواتهم بها [٥] ، ولكل جالية أجنبية " قنصل " خاص بها يعد يعد ممثلاً للسلطة الحكومية للبلد التى منها ، ويقوم على رعاية كل التجار الذين يحملون جنسيته ، ويدافع عن مصالحهم وحقوقهم ، ويفصل فى مشاكلهم ، ويسمى المقر الخاص به Scribania [٦] .

٣- الأندلسيون :

ارتبطت الأندلس والمغرب بصلات تاريخية وحضارية منذ العصر الفينيقى [٧] ، فتوالت هجرات الأندلسيين إلى المغرب [١] ، وكان من أهم

---

(١) ابن خلدون : العبر، مج٧، ج١٣، ص ٤٥٨، انظر أيضًا : مصطفى نشاط : إطلالات، ص ٤٦، رضوان البارودى : الحياة الحربية، ص ١٨٨ وكذلك Doufourcq : L' Espagne , p. 371 .

(٢) السلاوى : المصدر السابق، ج١، ص ٤٠٧ – ٤٠٨، انظر أيضًا : أندرى جوليان : المرجع السابق، ج٢، ص ٢٢٣ .

(3) Alarcon y linares : Los documentos , p. 70 .

(٤) ابن مرزوق : المسند، ص ٢٨٢ .

(5) Doufourcq : L' Espagne , p. 70 .

(٦) محمد الشريف : سبتة الإسلامية، ص ١٤٠ وكذلك : Doufourcq : Ibid , p . 49 .

(٧) أحمد مختار العبادى : فى تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٥٠، السيد عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٥، ص ٧ – ٨ .

أسباب توجه الأندلسيين إلى المغرب حركة الاسترداد المسيحى التى حدثت فى الأندلس وسقوط بلاد الأندلس مدينة تلو الأخرى[٢] ، كما أسهم التواصل الجغرافى الذى جمع بين العدوتين على تزايد تردد التجار الأندلسيين والاستقرار فى الموانئ المغربية على طول سواحلها [٣] ، فنجد أنهم قد تمركزوا فى العديد من المدن الساحلية ذات الطابع التجارى مثل مدينة سبتة، وهى من أهم المدن التجارية التى استوطنها الأندلسيون ، فلم يكن ارتباط سبتة بالأندلس تجاريًا فقط ، بل كان سياسيًا أيضًا ، فظل حكمها يتأرجح بين الأندلسيين والمغاربة [٤] .

وهناك مدينة سلا التى كانت محطًا لسفن أهل الأندلس ، خاصة أهل إشبيلية ، فكانوا يحملون معهم الزيت الإشبيلى الشهير ، ومنها يجهز العديد من سفن الطعام إلى سائر بلاد الأندلس ، كما عمل الأندلسيون على تطوير ميناء سلا التجارى ، وذلك حينما استعان السلطان يعقوب المنصور بن عبد الحق المرينى بالعريف محمد على ابن الحاج الإشبيلى (ت ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م) ، وكان عالمًا بالهندسة ، فعمل على بناء دار الصنعة فى سلا [٥]، واستقر بعضهم فى مدينة فاس عاصمة دولة بنى مرين التى تتمتع بموقع متميز جعلها محطًا لأحمال التجار الأندلسيين [٦] .

فكان الأندلسيون على هذا عاملاً مؤثرًا فى الحياة الاقتصادية المغربية بجميع فروعها ، يقول المقرى عن ابن غالب : " لما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها فى الفتنة المبيرة تفرقوا فى

---

(١) ابن عذارى : المصدر السابق، ج٢، ص ٣٨، وانظر أيضًا : كمال أبو مصطفى : الأندلسيون وإسهاماتهم الحضارية، مجلة كلية التربية، جامعة الإسكندرية، مج٥، ع١، ص ٣٤١، منى حسن أحمد : هجرات الأندلسيين إلى شرق البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين الثانى والثالث الهجريين، مجلة المؤرخ المصرى، ع٥، ١٩٩٠، ص ٦١.
(٢) ابن أبى زرع : الذخيرة، ص ٤٩ – ٦١، وله أيضًا الأنيس المطرب، ص ٢٦٩ .
(٣) الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ٢٣٩ – ٢٤٠، انظر أيضًا : محمد رزوق : الجالية الأندلسية بالمغرب العربى، مجلة المناهل، ع٣٤، الرباط، ١٩٨٦، ص ٨٥ .
(٤) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة، السفر الأول، ص ٩٣، انظر أيضًا : رضوان البارودى : الحياة الحربية، ص ٧٩ - ٨٩ – ٩٥ .
(٥) ابن القاضى : جذوة الاقتباس، ج١، ص ٢٨٨، ابن الخطيب : الإحاطة، ج٢، ص ٨١، الحميرى : المصدر السابق، ص ٣١٩ ؛ وانظر أيضًا : حمدى عبد المنعم حسين : المرجع السابق، ص ٧٠ .
(٦) الزهرى : المصدر السابق، ص ١١٤،أنظر ايضًا أوليفا ريمى كونسيل : المرجع السابق، ص ٧٥ .

بلاد المغرب الأقصى من بر العدوة مع بلاد إفريقية ، فأما أهل البادية ، فمالوا فى البوادى إلى ما اعتادوا وداخلوا أهلها وشاركوهم فيها فاستنبطوا المياه ، وغرسوا الأشجار وأحدثوا الأراحى الطاحنة بالماء وغير ذلك ، وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها ولا رأوها ، أما أهل الحواضر فمالوا إلى الحواضر استوطنوها " (١) .

فاستعان المرينيون بخبرة الأندلسيين فى مواجهة الكوارث الطبيعية التى كانت تحل بمجتمع مثل كارثة انحباس المطر وما يتبعه من غلاء الأسعار ، فقد ابتدع المهندسون الأندلسيون الخطارات (٢) ، وانتشرت هذه الخفارات فى مراكش ، حتى أصبحت تعتمد عليها فى سقاية بساتينها (٣) ، كما استعان السلطان أبو يعقوب يوسف المرينى بالمهندس محمد بن على بن عبد الله المعروف بابن الحاج فى أثناء الناعورة الكبرى فى فاس ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م (٤) .

ففى مجال الزراعة أدخلوا السماد البلدى لتخصيب الأراضى الزراعية (٥) ، كما أدخلوا المنسوجات الحريرية التى اشتهرت بها العديد من مدن الأندلس ، مثل المرية (٦) ومرسية ، وغيرهما من مدن الأندلس

---

(١) المقرى : نفح الطيب، ج٣، ص ١٥٢ .
(٢) الخطارات : وهى عبارة عن مجرى يمتد فى جوف الأرض، ويعمل على صرف المياه التى بداخل الآبار الجوفية، ثم يقود هذا المجرى المياه إلى سطح الأرض، ويرتبط هذا المجرى بسلسلة من الآبار ثم يتحول إلى قناة أو ساقية بسيطة، ولتخفيف توزيع المياه حسب احتياجات المدينة، يتم وضع مسار المياه بعد ذلك فى مجارى من الطوب المحروق، وتتكون من سلسلة من الأنابيب الفخارية التى تدور على سطح الأرض، تحميها قبة من الطوب، ويتراوح طول الخفارة من أربعة إلى خمسة كم، [إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ، ج١، ص ٢٣٣] .
(٣) الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ص ١١٢ .
(٤) مجهول : الحلل الموشية، ص ١٧٧ .
(٥) ابن بصال : المصدر السابق، ص ٤٩ ــ ٥٠ .
(٦) ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب، تحقيق شوقى ضيف، دار المعارف، المعارف، القاهرة، ط٤، ج٢، ١٩٩٥، ص ١٩٣ ــ ١٩٤ ؛ الحميرى : المصدر السابق، ص ٥١٧ ــ ٥١٨، ؛ وانظر أيضًا السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤، ص ١٥٦ ــ ١٥٧ .

الأخرى [١] ، فاحترفها الحرفيون فى الحواضر الكبرى ، كفاس وسبتة [٢] .

ثانيًا : الحياة الاجتماعية لطبقة التجار

وتبعًا لرصد أوضاع التجار الاجتماعية سوف تقوم بعرض المظاهر الاجتماعية لهم داخل المجتمع المرينى .

١- المسكن:

ليس لدينا نموذج واضح عن المساكن التى كان يقطنها التجار ، إلا أننا سوف نتلمس هذا النموذج عن طريق المعلومات التى وردت إلينا فى المصادر ، وتحدثت عن المدن التى تحمل طابعًا تجاريًا ، وقد اتصفت منازل هذه المدن بأنها تقوم على مساحة مربعة أو مستطيلة ، وتتكون من طابقين أو ثلاثة على الأكثر ، مبنية من الآجر ، وتميزت بالأناقة والدقة [٣] ، كما جاء التأثير الأندلسى واضحًا على المنازل باستخدام الزليج [٤] ، بالإضافة إلى أنها كانت رحبة [٥] .

كان أكثر ما يميز منازل كبار التجار عن غيرهم أنها كانت انعكاسًا واضحًا على ضخامة ثرواتهم ، فاتخذت المنازل أشكال المدارس ، من حيث زخرفتها من كل جهة والرقى فى ذوقها [٦] ، أما عن المنازل من الداخل ، فقد تميزت بجودة الأدوات المنزلية التى لم يكن بعضها موجودًا إلا فى

---

[١] ابن غالب : فرحة الأنفس، تحقيق لطفى عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١، ١٩٥٥،ج٢، ص ٢٨٤ – ٢٨٥، انظر أيضًا كمال السيد أبو مصطفى : تاريخ الأندلس الاقتصادى، ص ٢٣٢، ٢٣٣، جهاد غالب مصطفى الزغول : المرجع السابق، ص ٢٣٨ .

[٢] ابن الأحمر : بيوتات فاس، ص ٢٣، أنظر ايضًا عبد العزيز العلوى : صناعة النسيج، ص ٥٧ .

[٣] العمرى : المصدر السابق، ج٤، ص ١٣، الوزان : المصدر السابق، ص ٢٨٨، أنظر ايضًا لوتورنو : فاس عصر بنى مرين، ص ٩١ – ٩٢ .

[٤] الزليج : هو بالإسبانى Los Azulejos وهو نوع من الترصيع الخزفى ذو ألوان عجيبة يستخدمونه مقام الرخام الملون الذى يستعمل عن أهل المشرق فى زخرفة منازلهم، وقد نقله الأندلسيون إلى المغرب، (العمرى : نفس المصدر والجزء، ج٤، ص ١١٧، انظر أيضًا : أمل إسماعيل : المرجع السابق، ص ٨٥) .

[٥] وصف ابن خلدون منازل مدينة المنصورة التى بناها أبو يعقوب المرينى واستقدم لبنائها الصناع والبنائين، وكانت مركزًا تجاريًا مهمًا ومحطًا لرحال التجار فى مختلف بقاع الأرض، (ابن خلدون : العبر، مج٧، ج١٣، ص ٤٥٨) .

[٦] زليجة بن رمضان : التخطيط المادى لمدينة سبته الإسلامية محاولة فى إعادة بناء التركيبة الحضرية، مجلة كلية الآداب، تطوان، ج٣، ١٩٨٩ .

منازلهم ، مثل المنشار [١] ، وقد تميزت هذه المنازل أيضًا بوجود القناديل الزجاجية فيها ، بعكس منازل العامة التى استخدمت فيها الشموع [٢] ، أما عن أبواب هذه المنازل ، ففى سبتة كانت قصيرة وضيقة ، وأغلبها من الحديد [٣] ، كما تميزت منازلهم بوجود خادمات ، كانت حجراتهن فى الطابق السفلى للمنزل [٤] ، وفى صورة أخرى لتميز منازل التجار ، نجد فى فى مدينة أغمات حرص التجار على عادة المباهاة بثرواتهم ، وذلك بقيام كل واحد منهم بوضع عرصات خارج منزله تدل على مقدار ثروته ، وبذلك يسهل على المار معرفة مقدار ثروة هذا التاجر [٥] .

ولم تذكر المصادر هل كانت توجد أحياء خاصة بالتجار يقطنون فيها أو لا ؟ إلا ما ورد إلينا من إطلاق أسماء على بعض الأحياء تسمى باسم حرفة معينة ، مثل حى الدباغين وحى الصاغة [٦] ، وتميزت هذه المنازل بالبساطة فى كل شئ ، حتى أن مفروشاتها اقتصرت على الحصير وسليخه[٧] .

وكان للتجار من أهل الذمة حى خاص بهم أطلق عليه "حى الملاح" و"ربض اليهود" [٨] ، وعلى الرغم من ذلك لم يمنعوا أهل الذمة أن يسكنوا

---

[١] المنشار : أى الخزانة أو الدولاب يحفظ بداخله النقود أو الملابس (القاضى عياض وولده محمد : مذاهب الحكام، ص ٢٤٧) .

[٢] البادسى : المصدر السابق، ص ١٠١ .

[٣] محمد الشريف : سبتة الإسلامية، ص ١٧١ .

[٤] القاضى عياض ولده محمد : المصدر السابق، ص ٢٤٧، انظر أيضًا لوتورنو : المرجع السابق، ص ٩٥ .

[٥] العرصة : معناها اللغوى يقولون لبناء قائمة كالسارية، وكانت تقدر هذه العرصة بأربعة آلاف دينار قيل من يمتلك أربعة آلاف دينار وينفق على تجارته مثلهم يضع أمام منذ عرضتين، الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ٢٣٢، عبد العزيز الأهوانى : المرجع السابق، مج٣، ج١، ص ٢٩٧، الحسن بولقطيب : المصامدة والنشاط التجارى إلى حدود قيام الدولة الموحدية، نشر ضمن أعمال ندوة التجارة فى علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، جامعة الحسن الثانى، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، ق٢، ١٩٨٩، ص ٨٥ .

[٦] ابن القطان : المصدر السابق، ص ١٥٩، انظر أيضًا : حسين مراد : المرجع السابق، ص ٥٥ .

[٧] ابن المؤقت : المصدر السابق،ج١، ص ١٢٥ .

[٨] حى الملاح أو ربض اليهود : رأى الدكتور أحمد مختار العبادى أن الجنود الإسبان النصارى كانوا يسكنون حيًا خاصًا بهم، أطلق عليه " حى الملاح " وأن " الملاح " أطلق فى بادئ الأمر على حى النصارى من الجنود وغيرهم بمدينة فاس، ثم انفردت

الدروب التى يسكن فيها المسلمون ، وهذا دليل على التسامح الدينى ، فيذكر الونشريسى نازلة " سئل عن يهودى اشترى دارًا من مسلم فى درب ليس فيه إلا مسلمون من أهل العافية والخير فسكن اليهودى الدار وأذى الجيران بشرب الخمر وفعل ما لا يجوز وللدروب بئر بإزاء هذه الدار يملأ معهم بدلوه وحلب ، قلته فاقتنع أهل الدرب من الامتلاء منها هل يجوز إبقاؤه أم تباع عليه ؟ وإذا بقى هل يملأ معهم أم لا ؟ فأجاب الفقيه : يمنع من أذاهم بما وصف من شرب الخمر وفعل ما لايجوز فإن انتهى وإلا أكريت عليه وأما الاستسقاء من البئر فخفيف " [١] .

وقد عرف نوع آخر من المنازل بأنه بيوت للراحة أطلق عليها اسم " المنية " وهى خاصة بالطبقة الأرستنقراطية فى الدولة التى منها أغنياء التجار ، وكانت توجد بقرية بيليوتش القريبة من سبتة كان يخرج إليها الناس لقضاء أوقات الراحة والمتعة [٢] .

٢- اللباس :

يعد اللباس من المظاهر الاجتماعية التى تظهر الفوارق الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع الواحد ، ففى عهد الموحدين كان اللباس يظهر التفاوت الاجتماعى فقط ، وذلك عن طريق شئ واحد ، وهو صغر العمائم وضيق القماش [٣] ، كما كان يظهر اختلاف الأشخاص الذين ينتمون للمدن

به بعد ذلك أحياء اليهود بفاس وغيرها من مدن المغرب الأقصى، فى حين رأى المستشرق ليفى بروفنسال أن حى الملاح اسم المكان الذى خصص لليهود فى آخر أيام عهد دولة بنى مرين، وبمعنى النبع المالح . ابن الخطيب : نقاضة الجراب، ص ٣٤، أما عن الدكتور محمد المنونى : فيرى أنه كان يوجد حى خاص باليهود يطلق عليه " ربض اليهود " وحى آخر خاص بالجنود النصارى أطلق عليه " ربض النصارى أو الملاح "، المنونى : ورقات، ص ٤٧ – ٥٠ . ولكن المؤكد أنه يوجد العديد من الأحياء، الخاصة بالطائفة اليهودية دون غيرهم، وذلك من مصادرنا : ابن القاضى، جذوة الاقتباس، ج١، ص ٥١، كربخال : المصدر السابق، ج٢، ص ١٠ .

(١) المعيار المعرب، ج٨، ص ٤٣٧ .

(٢) القاضى عياض ولده محمد : مذاهب الحكام، ٢٤٧ ؛ المقرى : أزهار، ج١، ص ٣٣ -٣٧ ؛ الأنصارى السبتى، المصدر السابق، ص ٥٦، ٥٧ .

(٣) العمائم : هى تيجان العرب كان يلبسها رؤساء القبائل العربية، تعرف بالعصابة تلبس على الرأس، القلقشندى : صبح الأعشى، ج٥، ص ١٣٨ ؛ أبو ضيف : المرجع السابق، ص ٢٣٨، سحر السيد عبد العزيز سالم : ملابس الرجال فى الأندلس فى العصر الإسلامى، مقال من ندوة الأندلس (الدرس والتاريخ)، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ورابطة الجامعات الإسلامية، ودار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤، ص ٢٥١ .

عن المنتمين للبادية ، فيذكر لنا ابن سعيد حينما دخل عليه رجل وصفه بأن " عليه زى البادية " [١] .

أما عن أشكال الفوارق المادية فهى كثيرة ، حيث ذكر البادسى أنه " كان يستتر بلباس العامة من البربر " [٢] ، ومعنى ذلك أن عامة البربر كانوا يرتدون زيًا معينًا ، ويرتدى أغنيائهم أزياء أخرى ، فكان زى البربر فى عهد بنى مرين يتكون من عمائم طوال قليلة العرض من كتان ، يعمل فوقها إحرامات يلفونها على أكتافهم ، وكان استخدام المادة الخاصة لصنع الملابس مقياسًا يستدل به على الوضع الاقتصادى لمن يرتديها ، وقد اتخذ العامة منهم هذا اللباس ، ولكن من القطن أو الصوف ، أما الأغنياء والحكام فقد اتخذوه من الصوف التلمسانى أو الحرير ، كما ذهبت هذه الطبقة إلى الخياطين والطرازين ، أما الفقراء فكانت نساؤهم تصنع لهم الملابس فى المنازل [٣] .

وقد كان الذوق فى اللباس متفاوتًا ، فيذكر الوزان " أن تجار تلمسان ذوو هندام جيد ، أفضل من أهل فاس " [٤] ، كذلك تجار مدينة أنفا كانوا يتميزون بحسن الهندام بسبب علاقتهم مع التجار الأجانب [٥] ، وأيضًا سكان مدينة هسكورة القريبة من مراكش كانوا يتصفون بحسن المعاملة والهندام لتجارتهم مع أهل السودان [٦] .

وترك لنا الوزان ولوتورنو وصفًا للباس طبقة التجار ، إذ تكون من سترة قصيرة مطابقة للجسم وفوقها رداء مخيط من الأمام [٧] ، ثم يرتدون البرانس [٨] فوقها ، وقد اتخذها العامة من الصناع وصغار التجار

---

(١) المقرى : المصدر السابق، ج٧، ص ٩ .
(٢) البادسى : المصدر السابق، ص ٥٩ .
(٣) العمرى : المصدر السابق، ج٤، ص ١٣٠، ابن مرزوق : المسند، ص ١٢٩، انظر أيضًا لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٣٤ .
(٤) الوزان : المصدر السابق، ص ٣٩٢ .
(٥) الوزان : المصدر نفسه، ص ٢٠٢ .
(٦) الوزان : نفسه، ص ١٧٧ .
(٧) الوزان : نفسه، ص ٢٥٥، أنظر ايضًا لوتورنو : المرجع السابق، ص ٩٩ .
(٨) البرانس : يطلق عليه غفارة هو كل ثوب رأسه ملتصق به يرتديه الرجال، الأهوانى: المرجع السابق، ص ٣٠٠، كما عرفه الوزان بأنه " معطف أسود ينسج قطعة واحدة بغطاء الرأس " وكانت مدينة تغرة حاضرة تادلا مشهورة بصناعته وكان سكانها من الأثرياء وأغلبهم تجار وصناع تميزوا بمظهرهم الحسن . (الوزان : المصدر السابق، ص ١٨٤) .

من الصوف أو الكتان ، أما الأغنياء [كبار التجار] فقد اتخذوها من الحرير والديباج [١] ، كما ارتدوا السروال [٢] ، أما عن رداء الرأس ، فهو العمائم والقلنسوة [٣] ، وكان لعلماء ملابس خاصة بهم تميزهم ، ومن المعروف أنهم أنهم زاولوا النشاط الحرفى ، فاتخذوا البرانس الملونة أو البيض والجبة والجلاليب وغطاء الرأس القلنسوة ، وقد ذكر الوزان أن العلماء فى مراكش يرتدون " قلنسوة مزدوجة ومستديرة " ، وتميزوا عامة بالبساطة والتواضع [٤] ، وفى الشتاء ظهر الملف [٥] الذى كان يجلب من الأندلس ، وكان بنو نصر يصنعونه لباسًا للشتاء ، وانتشر فى عهد بنى مرين وتراجعت أمامه الجبة [٦] ، كما اتخذوا القبطية [٧] وفراء القلنية لباسًا لهم [٨] .

أما كربخال فقد ذكر لنا زى طبقة التجار قائلاً : " يرتدون ملابس سوداء وزرقاء أو ملونة أو بلون آخر طويلة من نسيج الصوف ، تصل إلى منتصف الساق بأكمام نصفية ضيقة جدًا ، يلبس بعضهم قمصانًا من الصوف

---

[١] ابن عشون : الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تحقيق زهراء النظام، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، ١٩٩٧، ص ٢٩٩، انظر أيضًا محمد مقر : المرجع السابق، ص ١٤٨ .

[٢] السروال : ثوب يلبس من السرة إلى الأسفل، وكان مشتركًا بين الرجال والنساء، وقد أنكر ابن الحاج على النساء اتخاذهن السراويل الشفافة، ابن الحاج الفاسى : المدخل، ج١، ص ٢٤١ و كذلك

Dozy : Supplement aux Dictionair , p . 26 .

[٣] القلنسوة : غطاء الرأس مستدق فى الأعلى خاص بالرجال، وظهر التأثير الأندلسى فى القلنسوة، فكانت الحواضر المغربية، مثل فاس والرباط، يلبسها أهل محاطة بعمامة تتوسطها " شوشه " زرقاء مثل الأندلسيين، كربخال : المصدر السابق، ج٢، ص ٧٥،أنظر ايضًا لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٣٥، عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية، دار السلمى، الدار البيضاء، ط١، ١٩٥٧، ٤٠ – ٤١.

[٤] القلقشندى : صبح الأعشى، ج٥، ص ١٩٨، الوزان : المصدر السابق، ص ١٠٨ ؛ ؛ انظر أيضًا : محمد عيسى الحريرى : المرجع السابق، ص ٣٣٦ .

[٥] الملف : الجوخ المنسوج من الصوف (ابن الخطيب : اللمحة البدرية فى الدولة النصرية، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧ هـ، ص ٤٧، انظر أيضًا : محمد الشريف : سبتة الإسلامية، ص ١٧٣.

[٦] ابن الخطيب : المصدر السابق، ص ٤٧ وانظر أيضًا إبراهيم حركات : معالم من التاريخ الاجتماعى على عهد بنى مرين، ص ٢٣٣ .

[٧] القبطية : ثياب كتان بيض رقاق (ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق، سفر ٢، ص ٢١٥- ٢٤٨، ص ٣٦٠، انظر أيضًا : محمد مقر : المرجع السابق، ص ١٧٠) .

[٨] القلينة : شبيه الأرنب سمى بالإيطالية Coniglio (المقرى : نفح الطيب، ج١، ص ص ١٩٨) .

أو الحرير بدلاً من المعاطف ، أما الصناع فيلبسون أردية قصيرة ذات أربعة أذيال تصل إلى الركبة ، وفوقها سترات من الجوخ ، وأكمام عريضة مفتوحة من الأسفل مبطنة بقطيفة قرمزية [١] .

أما عن لباس القدمين فهناك العديد من الأشكال فارتدوا القرق الذى كان منتشرًا بين الرجال والنساء ، وكان له سوق فى فاس سمى سوق القراقين [٢] ، إذ ارتدوا القباب [٣] ، ولبس الأحذية ، فكان تجار تلمسان يلبسونها حتى أواسط سيقانهم [٤] .

أما عن تجار أهل الذمة فكان لهم لباس خاص بهم يميزهم عن المسلمين ، وألزمهم الفقهاء به ، حتى عوقب أهل الذمة إذا لم يلتزموا الملابس المخصصة لهم ، وصلت العقوبة إلى الحبس والضرب عشرين سوطًا [٥] ، فكانت منذ عهد الموحدين تتكون من " ثياب كحيلة وأكمام مفرطة السعة تصل إلى قرب أقدامهم ، بدلاً من العمائم كانوا أكلوتات على أشنع صورة كأنها البرداع تبلغ تحت آذانهم " ، ثم أصبحت " ثيابًا صفرًا وعمائم صفرًا " [٦] .

٣- عادات الطعام :

كان هناك أطعمة يجتمع فيها الأغنياء والفقراء من طبقة التجار كالخبز الذى هو غذاء الجميع سكان المغرب ، وكان أفضل أنواع الخبز وأغلاها هو خبز الحنطة " أى القمح " ، لذلك نجده أكثر طلبًا من الشعير ، وكان أغلى بعض الشئ منه ، حيث كان يدخل كعنصر أساسى فى الوجبات الغذائية [٧] .

كان التجار فى عهد بنى مرين يتناولون ثلاثة وجبات يوميًا ، ففى الصباح يتناولون وجبة خفيفة جدًا تتألف من الخبز والثمار والحساء

---

[١] كربخال : المصدر السابق، ج٢، ص ١٧٥ .
[٢] ابن عشون : المصدر السابق، ص ١٨١ .
[٣] لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٣٤ .
[٤] الوزان : المصدر السابق، ص ٣٩٢، كربخال : المصدر السابق، ج٢، ص ١٧٥.
[٥] الونشريسى : المعيار المعرب، ج٢، ص ٢٥٤ – ٢٥٩، ج٦، ص ٦٩ .
[٦] عبد الواحد المراكشى : المعجب، ص ٣٨٣ .
[٧] إحسان صدقى : الخبز فى الحضارة الإسلامية، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ع١، ١٩٩٢، ص ١٩ .

المصنوع من الدقيق ، وفى الشتاء يتناولون بدلاً من الحساء شوربة القمح مع اللحم ، أما عند الظهيرة فيتناولون أطعمة خفيفة ، كالخبز والسلطة والجبن [١] ، أما فى المساء فيأكلون اللحم المسلوق مع الكسكسى [٢] ، وهى وجبة مشهورة جدًا فى المغرب والأندلس [٣] .

وهناك وجبة تؤكل بين الغذاء والعشاء أطلق عليها " مرندة " وبالإسبانية Merinda [٤] ، أما عن اللحم فلم يكن الفقراء يتناولونه يوميًا ، إلا أن التجار كانوا أفضل حالاً منهم ، إذ نعموا به بقدر وافر ، وكان من الضأن أو الماعز أو الطيور ، وتعددت طرق طهيه [٥] .

وكان للأسماك نصيب وافر من طعامهم ، خاصة فى المدن الساحلية التى تمتعت بثروة سمكية هائلة ، حتى كان أهل مدينة سبته يحصلون عليها فى بعض أيام الأسبوع مجانًا [٦] ، وكانت من الوجبات المفضلة لدى أهل المغرب ، حتى بيعت الحيتان [نوع من أنواع السمك] بثلاثين درهمًا [٧] .

أما عن الحلويات ، فقد تأثر المغاربة بالأندلسيين فى صنعها ، وظهرت العديد من أنواعها ، فمنها الذلابية (الإسفانج) [٨] التى كانت تقدم فى الأفراح [٩] ، والعصيدة [١٠] وهى أشهر الحلويات فى المغرب [١١] ، كما

---

[١] الوزان : المصدر السابق، ص ٢٥٦، انظر أيضًا لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ٩٧، على حامد الماجى : المرجع السابق، ص ٢٥٥ ــ ٢٥٦ .
[٢] الكسكسى : يصنع من عجينة تحول إلى حبيبات فى حجم حبة الكزبرة، ثم تطبخ هذه الحبيبات فى قدر مثقوب يتلقى البخر من قدر آخر فى أسفله (مجهول : كتاب الطبيخ، ص ١٨١، الوزان : المصدر السابق، ص ٢٥٦، انظر ايضًا حسن السائح : الحضارة المغربية، ص ٣٢) .
[٣] مجهول : الاستبصار، ص ١٨٢، الوزان : المصدر نفسه، ص ٢٥٧.
[٤] عبد العزيز الأهوانى : المرجع السابق، ص ٣١٣، محمد الشريف : سبتة الإسلامية، ص ١٦٨ .
[٥] ابن رزين التجيبى : المصدر السابق، ص١٨٠ .
[٦] المقرى : أزهار، ج١، ص ٤٣ .
[٧] مجهول : الاستبصار، ص ١٧٤ ــ ١٧٨ وانظر أيضًا الشريف : سبتة الإسلامية، الإسلامية، ص ١٦٥ .
[٨] الزلابية أو الأسفانج : عجينة من الدقيق والماء وتغلى فى الزيت على النار (ابن رزين التجيبى : المصدر السابق، ص ٢١٦، الوزان : المصدر السابق، ص ٢٥٦، انظر أيضًا أحمد الطوخى : المرجع السابق، ص ٩٢) .
[٩] الوزان : نفس المصدر والصفحة .
[١٠] العصيدة : تتكون من العسل والزيت والسمن ولباب الخبز ولالوز المقشر المدقوق مع البيض (ابن رزين التجيبى : المصدر السابق، ص ١٩٤، البادسى : المصدر السابق، ص ٧١) .
[١١] البادسى : نفس المصدر والصفحة .

صنعوا النصبة [1] التى كانت تباع فى عيد النيروز ، حتى بلغ ثمنها سبعين دينارًا [2] .

أما عن العادات فى أشكال تناول الطعام ، فيحدثنا عنها لوتورنو قائلاً : " كان الناس يتناولون الطعام فى الوعاء بأيديهم اليمنى ، وكانت تغسل قبل الأكل وبعده ، وكان الرجال يتناول الطعام فى كل بيت معًا ، فى حين يتناوله النساء فى غرفة أخرى " [3] .

<u>٤- الأفراح والأعياد والمآتم :</u>

يمر المجتمع بالعديد من المناسبات ، منها السعيدة ومنها الحزينة ، وكان الزواج من العادات السعيدة ، حيث يختار العريس الذى أطلق عليه " أسلى " العروس ، وبعد موافقة أبيها يعقد القران فى المسجد ، يسجل كاتب العدل العقد ، وفى بعض الأحيان يشترط فى العقد عدم اتخاذ الزوج زوجة أخرى على الرغم من أن ذلك لم يكن منتشرًا كثيرًا إلا فى الأوساط الفقيرة العاملة ، ويقدم العريس المهر ، ويقدر بحوالى ثلاثين درهمًا أو أكثر ، ويقدم أيضًا جهازًا للعروس بنفس قيمة المهر وأمه سوداء تقدر قيمتها بخمسة عشر دينارًا أو أساور من الذهب ، وكان عدد الأساور عند اليهود سبع أساور بعدد أيام الأسبوع ، وتقام الولائم بحضور الأهل والأصدقاء [4] .

وكانت الأسواق جزءًا لا يتجزأ من احتفالات المجتمع الخاصة منهم والعامة فنرى أن موكب العروس حينما يخرج من بيت والدها متجهًا إلى منزل زوجها كان يمر بالسوق الكبير [5] ، كما شركتهم فى الاحتفالات العامة العامة مثل [العيدين – احتفال القديس يوحنا وعيد النيروز] فيها يخرج أهل كل سوق حاملين راية تميزهم عن السوق الآخر حاملين معهم قوسًا طويلاً

---

(١) النصبة : تصنع من السكر والفاندة والفواكه والتمر والزبيب والتين والجوز واللوز الشريف (محمد الشريف : سبتة الإسلامية، ص ١٦٧) .

(٢) محمد الشريف : نفس المرجع والصفحة .

(٣) لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ٩٨ .

(٤) المقرى : نفح الطيب، ج٥، ص ٢٥٧، الوزان : المصدر السابق، ص ٢٥٧، انظر أيضًا : لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ١٠٢، عصمت دندش : المرجع السابق، ص ٣١٢، إبراهيم حركات : معالم من التاريخ الاجتماعى للمغرب على عهد بنى مرين، ص ٢٣٠ .

(٥) العمرى : المصدر السابق، ج٤، ص ١٣٤، القلقشندى : صبح الأعشى، ج٥، ص ٢٠١ ؛ لوتورنو : المرجع السابق، ص ١٠٦ .

أو سلاح آخر ، ويحتفلون طوال النهار ويقضوا الليل خارج المدينة [١] ، أما عن العادات المتبعة فى الجنائز فكان الحزن يعم بيت المتوفى ويغسل الميت ويكفن ويحمل إلى المسجد للصلاة عليه وكان محظور على النساء الذهاب إلى الجنائز ، أما الرجال فكانوا يرددون أدعية دينية ، كما كان أهل الميت يستعينون بندابات مأجورات [٢] .

ثالثًا : أثر الأزمات على التجارة

تأثرت التجارة بالأحداث التى يمر بها المجتمع سلبًا أو إيجابًا ، فقد مر المجتمع المرينى بالعديد من الأزمات ، سواء أكانت سياسية أم كوارث طبيعية التى أطلق عليها النوازل تلك الظواهر الطبيعية التى ليس للإنسان دخل فيها ، وهذه الكوارث قد نتج عنها أزمات اقتصادية داخل المجتمع ، وهو ما كان له أثر سلبى على النشاط التجارى [٣] ، وذلك نتيجة لتقلص الإنتاج الاقتصادى للمجتمع خلال تلك الفترات الذى نجم عنه غلاء فى الأسعار ، النشأ عن استغلال التجار لتلك الظروف ، وهذا ما يعرف " باحتكار البضائع " ، وقد تحدث عن ذلك ابن خلدون فذكر " أن احتكار الزرع لتحين أوقات الغلاء مشؤوم وأنه يعود على فائدته بالتلف والحشرات ، وسببه - والله أعلم - أن الناس لحاجتهم إلى الأقوات مضطرون إلى ما يبذلون فيها من المال اضطرارًا يأخذه مجانًا ، ولعله الذى عدّه الشارع فى أخذ أموال الناس بالباطل ، وهذا وإن لم يكن مجانًا فالنفوس متعلقة به ؛ لإعطائه ضرورة من غير سعة فى القدر ، فهو كالمكره " [٤] .

ويذكر ابن مرزوق عن حوادث الاحتكار ، أنه فى عهد السلطان أبى الحسن المرينى طالب أبو الحسن المزدعنى خطيب جامع القرويين بأن يرد إلى بيت المال ثلاثين ألف دينار ذهبية قد أخذها من أموال الأحباس ، فقال له: " كان عندى زرع كثير معولاً على إدخاره إلى سنة يرتفع فيها

---

(١) الوزان : المصدر السابق، ص ٢٦١ ؛ انظر أيضًا لوتورنو : المرجع نفسه، ص ١٠٣، محمد عيسى الحريرى : المرجع السابق، ص ٣٣٥ .
(٢) العبدرى : المصدر السابق، ص ١١، انظر أيضًا : محمد حسانى : المرجع السابق، ج١، ص ٨٩ .
(٣) رضوان البارودى : الكوارث الطبيعية فى الأندلس، بحث ضمن كتاب دراسات وبحوث فى تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ٣٩٥.
(٤) المقدمة، ص ٣٢١ .

السعر"[١]، وكان سلوك الاحتكار غير مقبول ، لأنهم يستغلون المستهلك أسوأ استغلال ، لذلك نرى الفقهاء ينددون بتلك الأفعال ويرفضونها ، يقول الونشريسى عن ذلك " فيما عند الناس من فضل الطعام إذا احتيج وفيمن يريد أن يبيع من غير السوق ، وفيمن يريد أن يشترى فى الغلاء قوت سنة ، قال " المحتكر إذا احتكر الطعام وكان ذلك مضرًا بالناس فى السوق أن يباع عليهم ويكون لهم رأس مالهم ، والربح يتصرف به أدبًا ، وينهوا عن ذلك ، فمن عاد ضرب وطيف به وسجن " [٢] ، واتخذت الدولة العديد من الوسائل لمساعدة الناس أثناء الأزمات ، حتى لا يكونوا فريسة للتجار ، وسوف نعرضها مع حديثنا عن الأزمات .

١- انحباس المطر :

تناوب على المغرب حدوث العديد من القحوط وترتب عليها حدوث مجاعات ، نتيجة لانحباس المطر ، وألقت تلك الكارثة بظلها على حركة التجارة فى الأسواق ، قادت إلى نفاد البضائع الضرورية للاستهلاك من الأسواق ، ووقع المجتمع فريسة للتجار المحتكرين ، فيذكر أنه قد حدثت مجاعة فى مدينة سبتة عام (٦٣٤ هـ / ١٢٣٤ م) كانت شديدة ، وأثرت على المجتمع حتى وصفت بأنها " كان الغلاء المفرط والمجاعة العظيمة بمدينة سبتة حتى عدم فيها الطعام بالكلية فى هذا العام " [٣] .

وتركت هذه المجاعة أثرًا سلبيًا على المجتمع السبتى الذى أصبح عنده هاجس نفاد المواد الأساسية من الأسواق ووقوعه فريسة لغلاء الأسعار؛ لذلك نجد أن السبتيين عملوا على تدعيم تجارتهم الداخلية والخارجية ؛ لتوفير المواد الغذائية للمدينة ، حتى لا يتكرر ما حدث فى هذه المجاعة مرة أخرى ، كما عملوا على بناء العديد من المطامير لتخزين الحبوب ؛ من أجل مواجهة تلك الأزمات [٤] .

وفى عام ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م انحبس المطر وترتب عليه حدوث قحط شديد عانى منه الناس [٥] ، وامتدت هذه الأزمة حتى عام ٦٨٧ هـ / ١٢٨٨ م " حتى كانت الريح الشرقية المتوالية والقحط الشديد ، وتوالى ذلك

---

[١] المسند، ص ٢٣٠ .
[٢] المعيار المعرب، ج٦، ص ٤٢٥ .
[٣] ابن عذارى : المصدر السابق، ق الموحدين، ص ٣٥١ .
[٤] الأنصارى السبتى : المصدر السابق، ص ٤٢ .
[٥] عبد الواحد الملزوزى : المصدر السابق، ص ١٣٩ .

إلى آخر عام تسعين ، فحرث الناس عند ذلك وحصدوا ما حرثوه من زرع عن أربعين يومًا " [1] وهو ما ترتب عليه عودة أسعار البضائع إلى سابق عهدها .

كما اجتاح المغرب عام ٦٩٣ هـ / ١٢٩٤ م مجاعة شديدة وترتب عليها وباء عظيم مات فيه خلق كثير حتى قيل " كان الناس يحملون من الموتى أربعة وثلاثة واثنين على نعش واحد " [2] ، ونتج عن هذه الأزمة غلاء في الأسعار ، حتى بلغ سعر مد القمح عشرة دراهم والدقيق ست أواق بدرهم [3] ، وتصدى السلطان أبو يعقوب يوسف بن يعقوب لحل هذه الأزمة، وذلك عن طريق تبديل صيعان الكيل فجعلها على مد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرخصت الأسعار ، فبيع القمح بعشرين درهمًا للصفحة ، وبيع الشعير بثمانية دراهم [4] .

وفى عام ٧١١ هـ / ١٣١١ م انحبس المطر ، وهو ما أدى إلى حدوث قحط شديد فتضرر الناس كثيرًا ، حتى " استسقى الناس وخرج الأمير المسلم (السلطان أبو سعيد عثمان) إلى إقامة سنة الاستسقاء فنزل المطر وانتهت الأزمة " [5] .

وفى عام ٧٢٢ هـ / ١٣٢٣ م هبت رياح شديدة أطاحت بعدة مدن ، كفاس ومكناس ورباط تازة ، واستمرت لمدة يومين ، وهو ما أدى إلى خراب المحاصيل الزراعية ، كما تأخرت القوافل التجارية لسوء الأحوال الجوية [6] ، كما انهالت الأمطار على مدينة فاس فى أوائل عام ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ ، حتى عدم البياض (الفحم) والحطب فى الأسواق ، واستغل التجار ذلك ، فبيع البياض بدرهمين للرطل [7] .

وفى أواخر عام ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م انحبس المطر وعدمت الأقوات وعجز الناس عن مقاومته ، وأضحت حياتهم مهددة بشبح المجاعة وفى ذلك

(١) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ٤٠٨ .
(٢) ابن أبى زرع : المصدر السابق، ٣٨٤ .
(٣) ابن أبى زرع : المصدر نفسه، ص ٤٠٩ .
(٤) ابن أبى زرع : نفسه، ص ٣٨٤ – ٣٨٥ .
(٥) السلاوى : المصدر السابق، ج٢، ص ٥٥ .
(٦) ابن أبى زرع : المصدر السابق، ص ٤١٢ .
(٧) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٤١٢ .

يقول ابن أبى زرع " كان القحط الشديد بالمغرب فاستسقا الناس وخرج أيضًا الأمير السلطان أبو سعيد عثمان إلى إقامة سنة الاستسقاء " (١) واستمرت هذه الشدة إلى أول عام ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م ، وكان قد ترتب على هذه الأزمة ارتفاع فى أسعار البضائع ، فيذكر ابن أبى زرع أنه " فى سنة أربع وعشرين وسبعمائة وصدر فى سنة خمسة وعشرين كانت المجاعة بالمغرب ارتفع السعر فى جميع البلاد ، وغلت الأسعار فى جميع الأمصار ، فحصلت صفحة القمح بتسعين دينارًا ، ومد القمح بخمسة عشر درهمًا ، والدقيق أربع أواق بدرهم ، واللحم خمس أواقى بدرهم ، والزيت أوقيتان بدرهم ، والعسل كذلك ، وعدمت الخضر بأسرها " (٢) ، وقد عمل السلطان أبو سعيد عثمان على تخطى هذه الأزمة والقضاء على غلاء الأسعار وجشع التجار ، حيث فتح مخازن الدولة من زرع إلى الرعايا " فبيع أربعة دراهم لمد القمح ، وأمر بالصدقات ، فلم يزل يفرقها بطول أيام الشدة ، يمر بها الثقات على حارات المدينة ، فيعطونها أهل التستر والبيوتات وذوى الفاقات والحاجات كل على قدر حاله وضعفه ، فكانوا يأخذونها من دينار ذهب إلى ربع دينار " (٣) .

كما ابتليت المغرب بمجاعة فى عام ٧٦٣ هـ / ١٣٦٢ واشتدت الأزمة، وهو ما ترتب عليه حدوث وباء الطاعون الذى تفشى بين السكان بسرعة فحصد أرواح ناس كثيرة (٤) ، كما عصفت بالمغرب مجاعة عام ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م ، حتى قيل عنها " فى هذه السنة كانت المجاعة العظيمة فى المغرب وعم الخراب " (٥) كما أثرت تلك المجاعة على التجارة الخارجية ، فإن شدة الجوع دفعت الناس للسرقة والهجوم على القوافل التجارية ، فجعل ذلك الطرق غير آمنة لسير القوافل التجارية (٦) ، يقول ابن قنفذ عن هذه المجاعة " كانت مجاعة عظيمة بالمغرب وعم الخراب به ، فوردت تلمسان والحالة هذه وأقمت بها قرب شهر غير واجد للطريق ، وكان وزيرها إذا استشرته فى الخروج ، منعنى وتبرأ منى ، فكثرت على النفقة ، وبلغت المعينة منها ما لابد منه لعيالنا ، وتعلق بنا أربعة دنانير ذهبًا فى صبح كل يوم دون المزية العظمى واليد الكبرى التى يجمل علينا من يبيع لنا

---

(١) ابن أبى زرع : المصدر نفسه، ص ٤٠١ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) نفسه والصفحة .
(٤) ابن الخطيب : نفاضة الجراب، ص ٩٠ .
(٥) ابن قنفذ : أنس الفقير، ص ١٠٥ .
(٦) عبد الهادى البياض : المرجع السابق، ص ٩٧ .

الطعام ، وارتحلت بعد أيام يسيرة ، وكان أمر الطريق فى الخوف والجوع ما مقتضاه أن كل من يقع قدومنا عليه يتعجب من وصولنا سالمين ، ثم يتأسف علينا عند ارتحالنا ، حتى إن منهم ضرب الأكف تحسرًا علينا " [١] .

ويتضح من هذا غياب سلطة الدولة فى ذلك الوقت وعدم قدرتها على توفير الأمان فى الطرقات ؛ بسبب حدوث المجاعة ، حيث لم تقدم الدولة المرينية أى حلول لتلك الأزمة الكبرى .

وفى عام (٨١٦ هـ / ١٤١٦ م) حدثت مجاعة مات فيها خلق كثير من شدة الجوع [٢] .

٢- الجراد :

يعد الجراد من الحشرات والآفات التى تشكل خطرًا كبيرًا على اقتصاد الدولة ، فهو يجعل الأخضر يابسًا ، فتعم المجاعة ، وتنتشر الأمراض والأوبئة ، وترتفع الأسعار ، وقد عانى المغرب منه كثيرًا ، ويرجع ذلك لانتشاره بسرعة فى المناطق الصحراوية التى تعد بيئة مناسبة لاستيطانه [٣] ، ومن كثرة موجات الجراد التى مر بها المغرب حدد علماء الفلاحة موعدًا لظهوره ، حيث يبدأ من شهر مارس ، فيؤمر بعقره [٤] .

وقد ارتبط ظهور الجراد بحدوث المجاعات وغلاء الأسعار ، ففى عام ٦٧٩ هـ / ١٢٨٠ م اجتاح الجراد المغرب ، والتهم كل المزروع فى الأراضى ، فنتج عن ذلك حدوث مجاعة وغلاء فى الأسعار ، حتى بلغ سعر القمح عشرة دراهم للصاع الواحد [٥] .

وفى عام ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م تعرض المغرب إلى هجوم الجراد والمجاعة معًا ، فاشتدت الأزمة سوءًا وغلاء فى الأسعار [٦] ، واشتد البلاء

---

[١] ابن قنفذ : أنس الفقير، ص ١٠٥ .
[٢] ابن القاضى : جذوة الاقتباس، ج١، ص ٣٤٨ .
[٣] عبد الهادى البياض : المرجع السابق، ص ٦٣ .
[٤] ابن بصال : المصدر السابق، ص ٥٥، وانظر أيضًا رضوان البارودى : الكوارث الطبيعية، ص ٤٤٩ .
[٥] ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٤٠٥ .
[٦] السلاوى : المصدر السابق، ج١، ص ٤٨٣ .

الذى أحدثه الجراد ، وأطلق على هذا العام " عام الجراد " [١] ، وكثرت الأضرار التى أحدثها ، ورأى بعض الفقهاء أنه لو أتى الجراد عند الحرث ، فعلم الناس أنهم إن زرعوا شيئًا أكله الجراد ، فعليهم الامتناع عن الزراعة[٢].

ونتيجة للمجاعات التى تنتج من وجود الجراد عمل بعض الناس على الاستفادة ، لذا نجد أن بعض الناس يأكلون الجراد ، حتى أإنه وجدت أسواق فى مراكش لبيعه ، عرفت باسم " سوق الجراد " وكان يباع منه أحمال كثيرة كل يوم [٣] .

كما اشتهر أهل السوس بأكله ، حتى إنهم ابتكروا فى طبخه ، سواء أكان مقليًا أم مملحًا [٤] ، كما اتخذت الدولة بعض التدابير ؛ للتصدى لشبح المجاعات التى تحدث نتيجة لانحباس المطر أو هجوم الجراد ، وذلك من خلال العمل على تنظيم الرى وتوزيع المياه بين المزارعين بانتظام [٥] ، وعملت أيضًا على إقامة السدود لحجز المياه والاحتفاظ بها أطول مدة [٦] ، أما فى المناطق الصحراوية فقد لجأ الأهالى إلى استخدام الوسائل التى اتخذها التجار أثناء سفرهم إلى السودان أو المشرق للحصول على الماء ، فكانوا يأخذون معهم جمالاً لا تستعمل إلا لحمل الماء ، وذلك لأن الإبل عندما تشرب الماء تأخذ ما يكفيها لمدة اثنى عشر يومًا أو خمسة عشر يومًا ، فإذا احتاجوا الماء شقوا بطونها ، وبذلك أصبحت الإبل بديلاً للآبار [٧] .

وقد تكاتف المجتمع المرينى ؛ من أجل التصدى لهذه الأزمات ، مثل العمل الذى قام به الشيخ عبد الملك بن جبون الأندلسى الذى ترك وصيته عن توزيع مدخراته للأوقاف كما يلى : " الثلثان للأسارى ، والثلث الباقى للمساكين فى غلاء الأسعار " [٨] ، كما كان أبناء المجتمع يقرض بعضهم

---

[١] الكتانى : سلوة الأنفاس، ج٣، ص ١٤٦ .
[٢] الونشريسى : المعيار المعرب، ج٨، ص ١٦٤ .
[٣] الحميرى : المصدر السابق، ص ٥٤١ .
[٤] الإدريسى : المصدر السابق، ج١، ٢٢٨ .
[٥] الونشريسى : المصدر السابق، ج٨، ص ٥ – ٢٠ ولمزيد من التفاصيل عن نوازل توزيع المياه . انظر المصدر والجزء نفسيهما، ص ٣٧٩ .
[٦] الوزان : المصدر السابق، ص ٥٠٩ .
[٧] كربخال : المصدر السابق، ج٢، ص ٤٩ وانظر أيضًا عبد الهادى البياض : المرجع السابق، ص ١٧٢ .
[٨] محمد المنونى : دورالأوقاف، ص ٣٢، عبد الهادى التازى : جامع القرويين، ج١، ص ١٣٤ .

بعضًا المواد الغذائية أثناء الشدائد [١] ، كما أجاز الفقهاء السلف من غلات الأحباس أثناء المجاعات ، على أن ترد بعد انتهاء الأزمة [٢] ، وكل هذا دليل دليل واضح على التكافل الاجتماعى بين أفراد المجتمع ؛ للتصدى لجشع التجار فى تلك الفترات .

٣- العواصف والسيول :

تعرضت المغرب فى عام ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م إلى سيل عارم اجتاح مدينة فاس ، فهدم الأسوار والأسواق وقلع الأشجار ، وهلك كثير من الناس فيه [٣] ، وعمل السلطان أبو سعيد عثمان على إصلاح كل ما أفسده السيل [٤]، وفى عام ٧٦٣ هـ / ١٣٦٢ م هبت رياح قوية أعقبها رعد وأمطار شديدة نتج عنها وباء مات فيه خلق كثير [٥] ، وفى عام ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م عصفت بالمغرب أمطار قوية أدت إلى فساد التربة ؛ لكثرة تشبعها بالمياه ، ومن ثم فسدت المحاصيل الزراعية ، وحدث غلاء فى الأسعار [٦] ، واتخذ السلطان أبو عنان فارس بعض الإجراءات ؛ للتصدى لهذه الأزمات ، فقد "بنى السور بما يخرج منه من الثرى ، ويصون الأطباق المعدة للاختزان عن أضرار السماء ، ويكون سطح الأرض على خمس قامات من منبع الماء"[٧].

٤- الحريق :

كانت الأسواق المرينية عرضة للحرائق ، كغيرها من الأسواق ، ففى عام ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م اندلع حريق فى أسواق فاس ، وتسبب هذا فى خسائر فادحة للتجار ، وذلك لعظم الحريق واتساع مداه " فأحرقت النار أسواقًا متعددة " ، فاحترقت أسواق فاس من قنطرة الصباغين بقرب باب السلسلة ، حتى وصلت إلى باب الجنائز من جامع القرويين " [٨] وكان الأمير أبو بكر بن عبد الحق منشغلاً فى حروبه ضد الموحدين فى ذلك

---

(١) الونشريسى : المعيار المعرب، ج٦، ص ٤٢ .
(٢) الونشريسى : المصدر السابق، ج٧، ص ٤٥ .
(٣) السلاوى : المصدر السابق، ج٢، ص ٦٨ .
(٤) ابن مرزوق : المسند، ص ١٢٢ .
(٥) ابن قنفذ : شرف الطالب فى أسنى المطالب، نشر ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات، الوفيات، تحقيق محمد حجى، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط،١٩٧٦، ص ٨٣، أنظر ايضًا عبد الهادى البياض : المرجع السابق، ص ٥٨ .
(٦) السلاوى : المصدر السابق، ج٢، ص ٨١ .
(٧) ابن الخطيب : نفاضة الجراب، ص ٧٥ .
(٨) ابن أبى زرع : الذخيرة، ص ٧٣.

الوقت ، لذا فلم يول اهتمامًا بهذه الكارثة ، وخير دليل على ذلك قول الشيخ عبد الله الفشتالى (ت ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م) " أيتها النار إلى أين ؟ هذا حدك فارجعى بإذن الله " فوقفت النار عند هذا الحد [(١)] ؛ وعلى الرغم من أن هذه الرواية تسبغ رداء الكرامة على الشيخ ، إلا أنها توضح مدى بشاعة النيران وشدة اشتعالها .

وفى عام ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م اندلع حريق فى سوق العطارين بمدينة فاس ، فتسبب هذا الحريق فى خسائر فادحة للتجار من تلف فى الحوانيت والبضائع ، فأمر السلطان أبو سعيد عثمان ببناء السوق وتجديدها مرة أخرى، كما أمر ببناء باب مصفح بالحديد داخل السوق ، وأسكن التجار عنده؛ لحمايتهم من الحرائق [(٢)] .

ويرجع حدوث الحرائق فى ذلك العصر إلى أن معظم البيوت كانت تبنى من الأخشاب ، فضلاً عن أن مواقد الفحم والحطب كانت تفتح فى المطابخ ، فتهب الرياح فتساعد على انتشار الحريق بسرعة [(٣)] ؛ لذلك كان المحتسب يطالب بوضع ماء أمام الحوانيت ؛ لإطفاء النار فى هذه الحالات[(٤)]، كما عملت الدولة على جعل العسس يقومون فى الليل بالأسواق ؛ ؛ لمنع اندلاع أى حريق والسيطرة عليه فور حدوثه [(٥)] .

وقد نجم عن احتراق الأسواق أحيانًا بعض المنازعات ، فيذكر الونشريسى نازلة مفادها أنه " سئل رجل عن النار تقع فى السوق ، فيدعى الصناع احتراق ما بأيديهم ، فأجاب الفقيه : قول الصناع مع إيمانهم فيما زعموا أنه احترق من أمتعة الناس عندهم ، إذ المعلوم أن الصناع يمسكون الأشياء فى حوانيتهم ولم يضموها ، إذا ثبت الاحتراق ، فإن ثبت أن ذلك الثوب فيما احترق صدق ، وأتى ببعضه محروق أم لا ؟ وإن لم يثبت ذلك فإن أتى ببعضه محروقًا صدق إن كان فى حانوته الذى أحرق ، وإذا لم يأت بشئ منه وادعى احتراق جميعه بها ، فظاهر المدونة أنه غير مصدق ، وعندى أنه إن كان مما جرت العادة برفعه فى الحوانيت حتى يكون متعديًا بنقله عنه ، كأهل الحوانيت التجار الذين تلك عادتهم لا يكادون ينقلون شيئًا

---

(١) ابن أبى زرع : الذخيرة، ص ٧٣ .
(٢) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب، ص ٤١٣ .
(٣) لوتورنو : فاس فى عصر بنى مرين، ص ٧٤ ــ ٧٥
(٤) إبراهيم القادرى بوتشيش : إضاءات، ص ١٠٨ .
(٥) لوتورنو : المرجع السابق، ص ٧٥ .

من ذلك عن حوانيتهم ، فأرى أن يصرف فيها ومن عرف احتراق حانوته[١].

٥- الأوبئة :

أصيبت الدولة المرينية ببعض الأوبئة وهو ما أثر على المجتمع التجارى لها ، ومن أشهر هذه الأوبئة التى أصيبت بها وباء الطاعون ، ولم تكن هى وحدها التى أصيبت به ، بل العالم بأثره قد أصيب بهذا الوباء ، حتى أطلق عليه " الطاعون الأسود " [٢] وكان ذلك فى عام ٧٤٩ هـ / ١٣٥٠ م ، وأدى التجار دورًا سلبيًا فى هذا ، حيث انتشر هذا الوباء وتفشى فى العالم بأسره عن طريق هؤلاء التجار ، فكان أول ظهوره فى مدينة كافا ، وهى مدينة تقع على شبه جزيرة القرم شرق البحر المتوسط وانتقل منها الطاعون عبر تجار جنوة فيها ، وكان ذلك فى عام (٧٤٦ هـ / ١٣٤٧ م) وقد حملوا معهم هذا الوباء الفتاك إلى أوربا الذى انتشر فيها بسرعة [٣] ، ثم انتقل إلى مدينة الإسكندرية عن طريق التجار الأوربيين ، وتفشى هذا الوباء فى مصر كلها ، ثم انتقل إلى المغرب عبر التجار القادمين من المشرق [٤] ، ومات فى هذا الوباء كثير من الناس ، وتقدر الدراسات عدد الخسائر البشرية التى خلفها الطاعون الأسود ما بين ثلث سكان المغرب الإسلامى أو نصفه [٥] ، وكان لهذا أثر سلبى على التركيبة السكانية للمجتمع ، خاصة طبقة التجار التى كانت أكثر المتأثرين بهذا المرض [٦] ، ومن الملاحظ أن أكثر

---

(١) المعيار المعرب، ج٨، ص ٣٢٨ .

(٢) ابن بطوطة : المصدر السابق، ج٤، ص ٣١٩ .

(٣) خوليو فالديون باروك : الوباء الأسود فى عالم القرن الرابع عشر، بحث ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات، ندوة عقدتها مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧، ص ٢٥٤ .

(٤) محمد الأمين البزاز : الطاعون الأسود بالمغرب فى القرن ال ١٤ م، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع ١٦، ص ١٩٩١، ص ١١٢ .

(٥) ابن مرزوق : المناقب، ص ٤٩ .

(٦) ابن مرزوق : المصدر نفسه، ص ٥٠ وانظر أيضًا مصطفى نشاط : إطلالات، ص ص ١٢٩ .

المدن وفيات هى المدن ذات الطابع التجارى ، كمدن فاس وطنجة وسلا وسبتة ومراكش ، حيث تعد هذه المدن محط رحال العديد من التجار [١] .

ويصف ابن خلدون تأثير الطاعون على المغرب قائلاً : " هذا إلى ما نزل بالعمران شرقًا وغربًا فى منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف الذى تحيق الأمم ، وذهب بأهل الجبل ، وطوى كثيرًا من محاسن العمران ومحاها ، وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها ، فقلص من ظلالها وقل من حدها وأوهن من سلطانها ، وتداعت إلى التلاشى واضمحلال أموالها ، وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر ، وخربت الأمصار والمصانع ودرست السبا والمعالم ، وخلت الديار والمنازل ، وضعفت الدول والقبائل ، وتبدل الساكن ، وكأنه بالمشرق ، قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب ، لكن على سبتة ومقدار عمرانه ، وكأنما نادى لسكان الكون فى العالم بالخمول والانقباض ، فبادر بالإجابة " [٢] .

وتوضح كلمات ابن خلدون أحوال المغرب بعد الطاعون والخراب الاقتصادى والعمرانى للبلاد ، نتيجة لنقصان البشر ، وهو ما ترتب عليه غلاء فى الأسعار ، فيذكر ابن عباد الرندى أن سعر الباكور [٣] ، قبل الطاعون الأسود كان يباع أربعون من الباكور بدرهم ، أما بعد حدوث الطاعون فأصبح يباع العشرون من الباكور بدرهم [٤] ، كما ترك هذا الطاعون أثره البالغ بحدوث أزمة اقتصادية فى عهد السلطان أبى عنان فارس [٥] .

أما عن الناحية السياسية فقد هاجم هذا الطاعون بلاد المغرب أثناء حملة السلطان أبى الحسن المرينى على تونس ، حيث أصيب بعض الجيش المرينى بهذا الوباء وأودى بحياتهم ، وكان من ضمن أسباب فشل الحملة

---

(١) ابن مرزوق : المصدر نفسه، ص ٣٧٦، ابن القاضى : جذوة الاقتباس، ج٢، ص ٥٣٩ .
(٢) المقدمة، ص ٤٠٤ .
(٣) الباكور : هو أول ما يدرك من الثمر أو المعجَّل من كل شئ [المعجم الوسيط : ص ٤٩] .
(٤) الرسائل الكبرى، طبعة حجرية، فاس، ص ١٩٦ .
(٥) عبد العزيز بن عبد الله : معطيات الحضارة، ج٢، ص ٥٨ .

السلطان أبو الحسن [١] ، كما أصيب المغرب فى عام ٨٤٦ هـ / ١٤٤٣ م بوباء عظيم مات فيه خلق كثير [٢] .

٦- الأحوال السياسية :

مما لا شك فيه أن استقرار الأحوال السياسية كان له أثر كبير على التجارة وعلى أسعار البضائع ، ففى عهد السلطان أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق تحقق الاستقرار السياسى والإصلاح ، وانعكس ذلك على أسعار البضائع فى الأسواق " فكان القمح يباع فى بلاد المغرب سبعة دراهم للصفحة الواحدة ، والشعير ثلاثة دراهم للصفحة ، والفول وجميع القطانى ما لها سوق ولا يوجد من يشتريها ، والدقيق الطيب بمدينة فاس وغيرها ربع بدرهم ، والعسل ثلاثة أرطال بدرهم ، والزيت أربعة أرطال بدرهم ، والسمن رطل ونصف بدرهم ، ولحم البقر مئة أوقية بدرهم ، والكبش بستة دراهم ، والشابل الطرى بقيراط وثلاث بدرهم ، وكذلك المالح ، والملح حمل بدرهم ، والزيت درهم ونصف للربع ، والتمر ستة أرطال بدرهم " [٣] .

ونعمت الدولة المرينية فى عهد السلطان أبى يعقوب يوسف بالرخاء الذى عم فى البلاد ، حتى رخصت الأسعار فى جميع الأنحاء ، فبيعت صفحة القمح بعشرين درهمًا [٤] ، كما أن سوء الأحوال السياسية والصراع الحربى قد أثر تأثيرًا مباشرًا على التجارة الداخلية خاصة فيما بين المدن ، وتقلص حجمها ، فيذكر ابن مرزوق عن ذلك " أن الموضع المعروف بمسجد إيلان وهو اليوم داخل الربض ، كان يطلع منه كل يوم حمل للبضع ، ومن عمل الصوف ، وهذا موضع من آحاد المواضع ، فانظر هل يجد اليوم فى ذلك المواضع ، أو ما يجاورهم ، عمازا أو فى البلد كلما يشترى به بأقل عدد " [٥] ، وهذا دليل على تقلص التجارة الداخلية .

ولا شك أن الحملات العسكرية لها تأثير سلبى على التجارة الخارجية ، حيث يستولى كل طرف من الطرفين المتحاربين على السفن

---

[١] ابن القاضى : جذوة الاقتباس، ج٢، ص ٤٤٥، محمد الأمين البزاز : المرجع السابق، ص ١١٩ .
[٢] السلاوى : المصدر السابق، ج٢، ص ٧٠، ابن القاضى : نفس المصدر السابق والجزء، ص ٥٣٥ .
[٣] ابن أبى زرع : الذخيرة، ص ٩٤ – ٩٥ .
[٤] السلاوى : المصدر السابق، ج١، ص ٤٢٩ .
[٥] المناقب، ص ١٩٠ .

التجارية للطرف الآخر [1] ، كما كان الحصار العسكرى للمدن له تأثير سلبى على سكان المدينة ، ذلك لأن هذا الحصار يحدث غلاء فى الأسعار ، ولكن بعد فك الحصار تنخفض الأسعار مثلما حدث بعد دخول المرينيين الجزيرة الخضراء فى عام (٦٧٩ هـ / ١٢٧٩ م) وفك الحصار عنها انخفضت الأسعار " فبيع الدقيق القرطبى بالجزيرة فى عشى ذلك اليوم ، ربع بدرهم ، بعد أن كان فى غدوته معدومًا بالكيلة ، ولا يوجد غاليًا ولا رخيصًا " [2] .

---

[1] ابن ابى زرع : الأنيس المطرب، ص ٣٣٣ .
[2] ابن أبى زرع : المصدر السابق، ص ٣٣٤ .

كما عانت مدينة تلمسان من الحصار العسكرى الذى فرضه المرينيون عليها لمدة ثمانى سنوات [٦٩٨ - ٧٠٦ هـ / ١٢٩٩- ١٣٠٧ م] [١] ، وكان لهذا الحصار أثر سلبى على التجارة الداخلية والخارجية [٢] ، فتأثرت التجارة الخارجية ، حيث تعطلت القوافل التجارية المارة بتلمسان التى كانت تعد من أهم المراكز التجارية ، وهو ما ترتب عليه خسائر للتجار وتحول القوافل التجارية منها إلى مدينة المنصورة التى بناها المرينيون ، وأفقدها هذا مكانتها التجارية [٣] ، وكان بالإضافة إلى الخراب الداخلى الذى حدث للمدينة [٤] ، وانعكس كل هذا على أسعار البضائع أثناء تلك العثرة ، فكان ثمن مكيال القمح الذى يسمونه البرشالة ، ويقدر باثنى عشر رطلاً ، نصف مثقالين ونصف من الذهب العين ، وثمن البقرة الواحدة بستين مثقالاً ، والضأن سبعة مثاقيل ونصف [٥] ، كما بلغ ثمن الدجاجة عشرة دنانير من الذهب [٦] .

ولا ريب أن الاضطرابات السياسية والحروب وما يترتب عليها من حصار وأزمات اقتصادية وارتفاع فى الأسعار ، دفعت الناس لاتباع سلوكيات غير مقبولة ، فهاجموا مخازن الدولة والتجار [٧] .

رابعًا : ارتباط التجارة بالثقافة

ارتبطت التجارة بالثقافة ارتباطًا وثيقًا ، حيث إن معظم المراكز التجارية كانت مراكز ثقافية مهمة فى المجتمعات ، وساعدت القوافل التجارية على انتقال الحضارات بين المجتمعات ، ومن تلك المراكز مدن فاس وتلمسان وتونس والإسكندرية وتومبكتو وغيرها . وقد تعرضنا لها فى الفصول السابقة .

---

(١) ابن الأحمر : تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق هانى سلامة، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠١ م، ابن خلدون : العبر، مج ٧، ج١٣، ص ١٩٥ .

(٢) ابن مرزوق : المناقب، ص ٤٣ .

(٣) يحيى بن خلدون : المصدر السابق، ج١، ص ٢١١ .

(٤) يحيى بن خلدون : نفس المصدر والصفحة .

(٥) ابن خلدون : العبر، مج ٧، ج١٣، ص ١٩٨ .

(٦) ابن قنفذ : أنس الفقير، ص ٧٠ وانظر أيضًا يحيى بن عزيز: المرجع السابق، ص ٥٥ .

(٧) ابن خلدون : المصدر السابق، مج٧، ج١٣، ص ٣٠١ .

وكان عدد كبير من العلماء يعملون فى حقل التجارة ، واتخذوها مهنة لهم ، حيث كانت لهم حوانيت فى قيساريات المدن [١] ، فعمل بعضهم تجارًا للبز (الحرير) [٢] ، واشتغل آخرون فى العديد من المهن التجارية ، مثل تسفير الكتب وصناعة الورق [٣] والخياطة [٤] وصيد الأسماك [٥] .

وقد لعب العلماء والفقهاء دورًا مهمًا فى تدعيم التجار حيث إنهم تصدوا لسلاطين الدولة المرينية ؛ من أجل تخفيف الضرائب التى أثقلت كاهلهم [٦] .

وأسهم أيضًا التطور العلمى الذى حدث فى عهد الدولة المرينية فى خدمة التجارة إسهامًا مباشرًا ، فقدم البحث العلمى لمجال التجارة الخارجية العديد من الاختراعات التى ساعدتها على التطور ، كرسوم الخرائط التى سهلت خوض عباب البحر [٧] ، وكذلك الخرائط التى رسمت الطرق المؤدية المؤدية إلى السودان الغربى والتى عملت على تسيير حركة التجارة ، فضلاً عن أن أوربا عرفت بفضلها ثروات السودان الغربى [٨] ، كما أن اختراع البوصلة أسهم فى التيسير على التجار فى معرفة الاتجاهات والطريق الصواب والتقليل من الخطأ فى الطرق ، وهو ما ترتب عليه منع وقوع السفن فى أيدى القراصنة [٩] ، بالإضافة إلى اختراع الأسطرلاب الذى أسهم أسهم فى حل العديد من المشكلات ، مثل تحديد الساعة وظهور النجوم [١٠] .

---

(١) عبد العزيز بن عبدالله : معطيات الحضارة، ج٢، ص ٨٤ .
(٢) البادسى : المصدر السابق، ص١١٩.
(٣) ابن قنفذ : أنس الفقير، ص ١٢.
(٤) البادسى : المصدر السابق، ص٧٢.
(٥) مجهول : بلغة الأمنية،ص ٣٢.
(٦) رشيد السلامى : المرجع السابق، ص ٥١٧.
(٧) مرثى كوميز : الخرائط فى أواخر العصور الوسطى، ترجمة حاتم الطحاوى، بحث من خلال كتاب ابن خلدون البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر قيام وسقوط امبراطوريات، ندوة عقدتها مكتبة الاسكندرية،٢٠٠٧، ص٢١٦.
(٨) إبراهيم طرخان : مملكة مالى، ص٨٨، محمد عبدالعال : المرجع السابق، ص ٥٣ .
(٩) ميرثى كوميز : المرجع السابق، ص٢٢٠.
(١٠) ابن القاضى : جذوة الأقتباس، ج٢، ص٤٠٤ وانظر أيضًا جون كلود هوكت : العلاقات البحرية والملاحية فى البحرالمتوسط فى القرن الرابع عشر،ترجمة لمياء الأيوبى، بحث من خلال كتاب ابن خلدون البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر قيام وسقوط امبراطورايات، ندوة عقدتها مكتبة الاسكندرية، ٢٠٠٧، ص٢١٥ .

وارتبطت أيضًا بعض الصناعات التجارية بالنواحى الثقافية ، كالصناعة الخشبية والعمرانية وصناعة النحاس ، وهذا يتضح من خلال المدارس والمساجد التى بنيت خلال العصر المرينى والتى تبين مدى الازدهار والتطور الذى حدث فى تلك الفترة [(١)] ، ومما لا شك فيه أن الازدهار الاقتصادى وخاصة التجارى يساعد على تطوير المنشآت الثقافية فى المجتمع [(٢)] ، كما أن هذا الازدهار كان سببًا فى نشاط الحركة الثقافية ، وعلى خلاف ذلك فإن تدهور أحوال التجارة أسهم إسهامًا مباشرًا فى تدهور المنشآت الثقافية ، ويرجع ذلك إلى أن معظم أموال الأحباس المخصصة للمنشآت كانت من أرباح المنشآت التجارية ، فحينما حدث الكساد التجارى ، لم يستطع التجار دفع الإيجارات للفنادق والأراضى الزراعية وغيرها ، ويتضح هذا فى أحوال المنشآت الثقافية ، حيث انعدمت قدرة الدولة على توصيل المياه والإضاءة داخل المساجد وغيرها من المنشآت [(٣)] .

كما أسهمت القوافل التجارية والتجار فى نشر الدين الإسلامى واللغة العربية فى المجتمعات الأخرى [(٤)] ، وذلك عن طريق التواصل بين التجار المغاربة وتجار الدول المختلفة ، مثلما حدث فى السودان الغربى [(٥)] ، وقد ذكرنا سلفًا أن الفقهاء والعلماء احترفوا مهنة التجارة ليس فقط فى مجال التجارة الداخلية بل التجارة الخارجية أيضًا ، ومن خلال تنقلهم فى البلدان غير الإسلامية مثل الصين [(٦)] والهند [(٧)] والسودان [(١)] نقلوا معهم تعاليم الدين

---

(١) السلاوى : المصدر السابق،ج١،ص٤٢ وانظر ايضًا محمد المنونى :منشأت مرينية، مرينية، ص٢٤٢، عزالدين موسى : النشاط الاقتصادى، ص٢٣٤ .

(٢) حسين مراد : المرجع السابق، ص٤٢، محمد عادل عبدالعزيز إبراهيم : المرجع السابق، ص٢٤٧.

(٣) الونشريسى : المعيار المعرب، ج٧، ص٧ - ١١ وانظر أيضًا محمد بن تاويت : الوافى فى الأدب، ص٥٦٥ .

(٤) الهادى الدالى : مملكة مالى، ص ٤٢، أحمد سيد حسين درويش : دور المرأة السياسى الحضارى فى دولتى مالى وصنغى، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ٢٠٠٧، ص ٨٣، مفتاح يونس الريس : العلاقات بين بلاد المغرب ودولة الكانم والبرنو (من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين / الثالث – السادس عشر الميلاديين)، جامعة القاهرة، معهد البحوث و الدراسات الإفريقية، ٢٠٠٥، ص ١٦٢

(٥) الشيخ الأمين عوض الله : المرجع السابق، ص ٩٥، مصطفى أبو ضيف : المرجع السابق، ص ٢٩٧، شوقى الجمل : المرجع السابق، ص ٤٠٠ .

(٦) ابن بطوطة : المصدر السابق، ج٤، ص ٢٨١ .

(٧) ابن بطوطة : نفس المصدر والجزء، ص ٢٨٥ .

الدين الإسلامى إليها ، وساعد ذلك على استقرار هؤلاء فى المجتمع وهو ما أدى إلى ثبات الدين الإسلامى وانتشار اللغة العربية ، وقد أسهم أيضًا التجار فى نقل العديد من مظاهر الحضارة المغربية وخاصة فى مجال التجارة إلى الدول التى ذهبوا إليها ، كنقل طرق الزراعة وبعض الصناعات (٢) ، وبعض المكاييل والمقاييس (٣)

---

(١) Peter B . Clarke : West Africa and Islam , London , 1982 , p. 34

(٢) أمطير سعد غيث : المرجع السابق، ص ١١٦ .

(٣) أمطير سعد غيث : المرجع نفسه، ١٥١ – ١٥٣ .

تمخضت دراستنا هذه لموضوع " التجارة الداخلية والخارجية لدولة بنى مرين " [٦٦٨ – ٨٧٦ هـ / ١٢٦٩ – ١٤٧٢ م) عن عدة نتائج نوجزها فى عدة نقاط ، وهى :

أولاً : لما قامت دولة بنى مرين عقب انهيار دولة الموحدين ، علق فى أذهان المرينيين إعادة مجد دولة الموحدين على أيديهم فى سيطرتهم على المغرب وإعادة أملاكهم فى الأندلس ؛ لذلك عملوا على تدعيم أركان دولتهم اقتصاديًا ؛ لتحقيق هذا الحلم ، لذا نجدهم قد أولوا اهتمامًا كبيرًا لنشاطهم التجارى ، سواء أكان داخليًا أم خارجيًا ، ويرجع ذلك إلى كون النشاط التجارى هو النتيجة الواضحة المعبرة عن أى اقتصاد لأى دولة .

ثانيًا : عملت دولة بنى مرين على تدعيم النشاط التجارى الداخلى لها ، وذلك من خلال توسيع الرقعة الزراعية لها من خلال إقامة العديد من مشاريع الرى ، حتى إنهم استعانوا بخبرة الأندلسيين المقيمين فى الدولة فى هذا الأمر ، حيث ساعدوهم بإقامة مشاريع الرى والسماد الزراعى ، وذلك لرفع إنتاج المحاصيل الزراعية للدولة وتوفيرها فى الأسواق الداخلية للمدن المرينية ، كما عملت على تنشيط حركة التجارة الداخلية فيما بين المدن ، من خلال تأمين الطرق الداخلية الرابطة بين المدن والقضاء على قطّاع الطرق الذين يشيعون الخوف والذعر بين التجار ، بالإضافة إلى تكبدهم خسائر فادحة ، وهو ما أسهم فى تنشيط حركة التجارة الداخلية .

ثالثًا : لا شك أن الاستقرار السياسى للدولة له أثر إيجابى على حركة أسعار البضائع داخل الأسواق ، ففترات الاستقرار يتبعها رخاء ورخص فى الأسعار ، وقد عملت دولة بنى مرين على وضع نظام رقابة للسوق الذى يتمثل فى المحتسب والأمين اللذين عملا على مراقبة حركة التجارة والتجار فى الأسواق ، كما عملت الدولة على ضبط النظام النقدى لها ، من خلال وضع أوزان معروفة موحدة للعملة المرينية ومنع حالات الغش وفساد اليهود فى تزييف العملة الذى ألحق أضرارًا بالنشاط التجارى، كما عمل المرينيون على توحيد المكاييل والموازين والمقاييس بأوزان معروفة لدى البائعين ؛ لمنع أى فساد ، ومن يخالف هذه النظم ، كان يعاقب .

رابعًا : ومن الملاحظ أن كل الإجراءات التى اتخذتها الدولة المرينية ؛ لتدعيم حركة التجارة الداخلية قد جاءت بثمرها من خلال مراقبة نشاط حركة التجارة داخل الأسواق وتزايد عدد المنشآت الصناعية التجارية

داخل الأسواق ، ومن ثم تزايد الإنتاج وحدث رخاء مادى للتجار ، ويتضح ذلك من خلال حياتهم الاجتماعية ، بالإضافة إلى ظهور الرخاء على الجوانب الثقافية وتزايد عدد المؤسسات الثقافية ، مثل المساجد والمدارس داخل الدولة وتزايد أموال الأحباس العائدة من منشآت التجارة ، كالحوانيت والأراضى الزراعية .

خامسًا : يلاحظ على صعيد التجارة الخارجية ، تجارة دولة بنى مرين الخارجية فى العهد المرينى الأول كانت مزدهرة جدًا ، ويرجع ذلك للعديد من الأسباب ، منها اتكاؤها على إنتاج اقتصادى داخلى مزدهر ، بالإضافة إلى جرأة وذكاء التجار المرينيين الذين استطاعوا الوصول بتجارة بنى مرين إلى مختلف الدول ، كما أسسوا شركات تجارية لتنظيم تجارتهم ، واتخذوا أيضًا من تلك البلدان المختلفة مدنًا أقاموا فيها وحققوا ثروات ضخمة ، كما عملت دولة بنى مرين على تدعيمهم ، وذلك من خلال عقد العديد من الاتفاقيات مع مختلف البلدان الأخرى ؛ لضمان حقوقهم من حرية تنقل وسلامة لأرواحهم وتجارتهم ، كما أمدت جسور الصلة والمودة مع بلدان أخرى ؛ لضمان رعاية تجارهم ، وعملت أيضًا على تأمين الطرق الخارجية ، سواء أكانت برية أم بحرية ؛ لسلامة وصول الرحلات التجارية .

سادسًا : عملت دولة بنى مرين على توازن التجارة وحماية رعاياها من جشع التجار ، وذلك من خلال تحديد أسعار البضائع داخل الأسواق ووضع ضرائب عليهم يلتزمون بدفعها ، كما حاربت احتكار التجارة الذى يظهر فى أبشع صوره أثناء فترات الأزمات ، فترفع الأسعار، فعملت الدولة على فتح أبواب مخازنها أمام الرعايا حتى تحصنهم من جشع التجار فى تلك الأوقات العصيبة .

سابعًا : لم يستمر هذا الازدهار التجارى لدولة بنى مرين طويلاً ، ففى العصر المرينى الثانى بعد وفاة السلطان أبى عنان فارس (٧٥٩ هـ / ١٣٥٩ م) بدأ الضعف يدب فى كيان الدولة ، فبدأ الصراع الداخلى للبيت المرينى الحاكم على من يتولى مقاليد الحكم ، وخاض أمراؤها حروبًا عديدة بعضهم ضد بعض ، وقد أسهمت هذه الاضطرابات فى التدخل الخارجى من الدول الأجنبية فى شئونها الداخلية ، خاصة من جانب غرناطة التى أصبحت المسيطرة على مجريات الأحداث ، وتعمل على اختيار من يتولى مقاليد الحكم المرينى ، وانعكس كل هذا على النشاط

التجارى ، فضعف الإنتاج الداخلى للدولة ، وضعف نشاطها الداخلى ، كما أن هذه الاضطرابات والحروب أسهمت فى تفكك أوصال دولة بنى مرين ، وهو ما أدى إلى ضعف جيشها وأسطولها البحرى ، فاستغلت ذلك الدول الأجنبية ، فشنت هجومها على العديد من الثغور البحرية التجارية ، التى سقطت فى أيدى هذه الدول ، بداية من ثغر سبتة على أيدى البرتغاليين (٨١٨ هـ / ١٤١٥ م) ثم توالى سقوط الثغور التجارية الواحد تلو الآخر ، فضلاً عن ممارسة القرصنة ضد السفن التابعة للمرينيين ، فأدى ذلك إلى فقد التجارة الخارجية لدولة بنى مرين مكانتها .

ثامنًا : وكان لهذه الاضطرابات السياسية أثرها البالغ على التجارة الداخلية لبنى مرين ، فعملت الدولة على زيادة الضرائب على التجار ، وهو ما أثقل كاهلهم ، وأدى ذلك إلى غلق العديد من الحوانيت التجارية ؛ لعدم قدرة التجار على دفع إيجاراتها ، كما لجأ العديد من أصحاب الأراضى الزراعية لتخريب الأراضى أو هجرتها ؛ للتهرب من دفع الضرائب ، وهو ما أدى إلى كساد النشاط التجارى الداخلى ، كما أدى انشغال السلاطين المرينيين بصراعهم السياسى إلى فقدانهم دورهم الرقابى على النظم التجارية ، فتزايدت حوادث غش اليهود فى العملة المرينية ، ففقد النقد المرينى قيمته ، كما تزايد التلاعب فى المكاييل والموازين داخل الأسواق ، وهو ما أدى إلى تفاقم المشكلات داخل الأسواق .

تاسعًا : أدى غياب سلطة الدولة إلى فقدانها الرقابة على طرق التجارة وجعلها تؤول إلى القبائل التى صارت تحمى الطرق التجارية ، فأدى ذلك إلى سيطرتها على الطرق التجارية وفرض إتاوات متزايدة على القوافل وسوء معاملة التجار ونهب تجارتهم .

عاشرًا : أدى هذا الضعف إلى انهيار النشاط التجارى الداخلى والخارجى للدولة ، وفقدت دولة بنى مرين مكانتها التجارية واضمحلت ، وهو ما أدى إلى انهيارها وسقوطها فى النهاية على أيدى الوطاسيين .

ترجمة نص المعاهدة المغربية لاسترجاع سبتة

عقد سلم وتحالف بين ملك المغرب وفاس وبين دون خايمى الأول ملك أراغون ، عقد ببرشلونة حيث أتى الأمير المسلم بنفسه للمفاوضة تاريخه ١٨ نونبر سنة ١٢٧٤ = ١٧ جمادى الأولى ٦٧٣ .

ليكن معلوما لدى الجميع : نحن أبو يوسف يعقوب الأول أمير المؤمنين، سيد المغرب وفاس وسجلماسة وما يليها وسيد بنى مرين نعقد صلحًا وصداقة دائمين معكم أيها النبيل دون خايمى ملك أراغون وميورقة وبلنسية ، كوندى برشلونة وأورخيل ، نحن معكم وأنتم معنا .

١- وبعد ذلك سيستمر هذا السلم والصداقة بين أبنائكم وأبنائنا ، وبموجب هذا تساعدنا على استرجاع سبتة بعشرة مراكب مسلحة وعشر سفن ومراكب أخرى إلى أن يصل العدد خمسين وبخمسمائة ما بين فرسان ونبلاء ، ونحن نعاهدكم على أن نبعث إليكم بمائة ألف بيزنطة سبتية تليق بهذا الأسطول ومائة ألف بيزنطة لإعداد سفر الفرسان والنبلاء .

٢- وإذا قضى الفرسان أكثر من سنة لفتح سبتة سنعطيكم ما تستحقون بحسب المدة اللازمة له . وإذا قضوا عامًا بأكمله دفعنا لكم مائة ألف بيزنطة كما هو معلوم . وبعد احتلال سبتة ستدفع لكم مائة ألف أخرى فى كل عام .

٣- وسنعطى لرئيس الفرسان الذين سترسلونهم مائة بيزنطة يوميًا وجيادًا له ولمن جاء معه لإعانتنا. ولكل فارس جمل إن كان عليه أن يسير إلى أية جهة ، وللرئيس ما يحتاج من الدواب إن كان لزاما عليه أن يصحبنا .

٤- ونعاهدكم على أنه عندما ينقضى العام للرئيس والفرسان السبيل للرجوع مع كل ما غنموه هنا مع العلم بأنكم ستوجهون لنا من يقوم مقامكم إلى أن تفتح سبتة ، ولهم أيضًا كنيسة ومعهد كما هو المتبع عند المسيحيين وستجعل لكل فارس بيزنطتين يوميا تدفع له عند ظهور هلال كل شهر .

٥- كل هذه الأشياء أعنى الصداقة والإعانة نعاهدكم بشريعة الله وشريعتنا بحسن نية وإخلاص على أن نراعيها ونعمل بها .

ونحن خايمى الأول بفضل الله ملك أراغون وميورقة وبلنسية ، كوندى برشلونة وأورخيل وسيد مونبوليى نعاهد أبا يوسف يعقوب الأول أمير المؤمنين صاحب المغرب وفاس وسجلماسة وملحقاتها وسيد بنى مرين بالإيمان الذى من الله به علينا نمدكم بالخمسمائة فارس ونبيل والعشرة مراكب إلى أن يصل تعدادها الخمسين ومع كل هذا سنوافيكم بوثيقتنا مختومة بختامنا وأنتم وثيقتكم مختومة وممضاة بأسلوبكم حرر ببرشلونة يوم ١٤ ديسمبر سنة ١٢٧٤ .

اتفاقية عقدها السلطان أبى عنان فارس مع بيزة
(٧٥٨ هـ / ١٣٥٨ م)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا . يعلم من يقف على هذا الكتاب من أشياخ الكمون بيجة وغيرهم من جميع الناس أننا السلطان عبد الله المتوكل على الله فارس أمير المؤمنين المجاهد فى سبيل رب العالمين أبى الحسن ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين أبى سعيد ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين أبى يوسف بن عبد الحق سلطان فاس ومكناسة وسلا ومراكش وبلاد السوس وسجلماسة وبلاد القبلة وتازة وتلمسان والجزائر وبجاية وقسنطينة وبلد العناب وبسكرة وبلاد الزاب وبلاد إفريقية وقابس وبلاد الجريد ولطرابلس وطنجة وسبتة وجبل الفتح ورندة وما إلى ذلك من البلاد الغربية والشرقية والأندلسية وصل الله علاءه ونصر لواءه .

لما وصلنا النصرانى البيجانى بطره من باربه رسولا عن أشياخ الكمون بيجة بعقد مفوض له فيه أن ينوب عنهم فى طلب الصلح والرغبة فى المهادنة أسعفنا رغبتهم فى ذلك وأنعمنا به ليكون كل من تردد إلى بلادنا حاطها الله تعالى منهم سالمين مطمئنين فى نفوسهم وأموالهم وجميع أحوالهم فى البر والبحر وفى أى الأجفان كانوا من سفرى أو غزوى وعقدنا لهم بذلك على الشروط التى تذكر بعد ..

فمنها وهو الفصل الأول مما طلبوه أنه متى حدث شر أو نزاع بين أحد من بيجة وبين مسلم فيعاقب الظالم ويبقى الصلح ثابتًا لا يتغير له حكم ، فعملنا لهم ذلك ..

ومنها وهو الفصل الثانى مما طلبوه أنه إذا ادعى مسلم بدعوى على نصرانى منهم فإن انسجن النصرانى فننظر نحن فى أمره ، فعملنا لهم ذلك..

ومنها وهو الفصل الثالث مما طلبوه أنه إذا أذنب تاجر من تجارهم ذنبًا واستوجب العقوبة فيعاقب فى نفسه ولا يعاقب فى ماله فإن مات التاجر فلا يتعرض لماله الذى يكون بيده ، فعملنا لهم ذلك .

ومنها وهو الفصل الرابع مما طلبوه أن كل تاجر يموت فى بلادنا حرسها الله تعالى من تجارهم ولا يترك وارثًا ولا يكون فى البلد الذى يموت فيه تاجر غيره ولا قنصول فيقيد ماله بالشهادة ويبقى مودعا بخلال ما ينفذ من بيجة من يقبضه فعملنا لهم ذلك .

ومنها وهو الفصل السادس مما طلبوه أنه متى انكسر جفن من أجفان البجانيين بمرسى من مراسى بلادنا أو بساحل من سواحله فيباح التصرف لأهل الجفن المذكور فيما يكون فيه من المال والعدة ذلك بما يظهر لهم من بيع أو رد إلى بلادهم ولا يغرمون على ذلك شيئا ، فعملنا لهم ذلك وشرطنا عليهم مثله أن اتفق أن يكون ذلك .

ومنها وهو الفصل الثامن مما طلبوه أنه إن ساق أحد منهم تجارة برسم الباب العلي أسماه الله تعالى فلا يكون لأحد سبيل إلى حلها ولا نظرها حتى تبلغ الباب العلي أسماه الله تعالى فإن اشتريت منه بالباب العلي فلا يغرم عليها شيئا وإن لم تشتر فيغرم عليها المغرم المعتاد فعملنا لهم ذلك .

ومنها وهو الفصل التاسع مما طلبوه أنهم حيثما حلوا من بلادنا حاطها الله تعالى فيسكنون فى فندق خاص بهم أو دار إن لم يكن بالبلد فندق منحازين دون غيرهم من طوائف الروم فعملنا لهم ذلك .

ومنها وهو الفصل العاشر مما طلبوه أنه إذا أخذ أسير من البيجانيين فى بلد من بلادنا فيسرح حسبما اقتضاه الصلح والمهادنة ، فعملنا لهم ذلك وسرحنا من ببلادنا منهم وشرطنا عليهم مثل ذلك فى أسرى المسلمين الذين يتحصلون ببلادهم .

ومنها وهو الفصل الحادى عشر مما طلبوه أنه إن تخاصم تاجر من البيجانيين مع غيره من النصارى فيكون خصامهم عند قنصولهم إلا إن كانت الخصومة شرعية فيكون خصامهم عند قاضى البلد فإن لم يكن فى الموضع الذى يحدث فيه ذلك قنصول فيحكم بينهم الوالى أو صاحب القصبة فعملنا لهم ذلك .

وإن كان الخصام بين مسلم ونصرانى منهم فالحكم فيه لحكام المسلمين وقضاتهم .

ومنها وهو الفصل الثانى عشر أنه متى اكترى منهم جفن من أجفانهم برسم الوسق إلى الجانب العلى : الزرع أو الخيل أو العدة أو غير ذلك فيعطى صاحب الجفن سلفته على حسب اختياره من غير إكراه على الكراء ولا على السلفة ، فعملنا لهم ذلك .

ومنها وهو الفصل الثالث عشر أنه متى قصد جفن كبير أو صغير من أجفانهم مرسى من مراسى بلادنا أمام عدو يطرده أو مخافة من هول البحر فإن الجهة التى يلجأ إليها يعينهم أهلها بالعشاريات والقوارب ليفرغوا كلما يكون عندهم على حسب اختيارهم ، فعملنا لهم ذلك وشرطنا عليهم مثله إن أمكن وقوعه .

ومنها وهو الفصل الرابع عشر مما طلبوه أنه متى توفى فى بلادنا تاجر منهم فلا يؤخذ من تركته مغرم فعملنا لهم ذلك إلا أن تكون التركة سلعًا أرادوا بيعها فيغرمون عليها مغرم البيع على العادة .

ومنها وهو الفصل الآخر من الفصول التى ذكروها أنهم التزموا أن يكون العمل مع تجار المسلمين وغيرهم من المسافرين إلى بيجة وغيرها من بلاد البيجانيين بمثل الشروط المذكورة سواء فى جميع ما ذكر وفسِّر ، فوقفنا على ذلك وشرطناه عليهم حسبما التزموه وشرطنا عليهم أن يكون عشرهم ومخزنهم على نحو ما يعطيه النصارى القطلانيون فى بلادنا حرسها الله تعالى سواء من غير زيادة ولا نقص ، وشرطنا أيضا عليهم عادة أجفان التجار النصارى التى تصل إلى بلادنا حاطها الله تعالى وهى أن يعطى كل جفن سرياقا أو مخطافا من

الحديد فى كل مرة يصل بالتجارة إلى بلادنا حرسها الله تعالى ، وشرطنا عليهم أيضًا أنه إن وقعت من واحد منهم خيانة للمسلمين أو غدر فى نفس أو مال فيثقف جميع من يكون ببلادنا حرسها الله تعالى من تجارهم ويكونون محوطين محفوظين فى نفوسهم وأموالهم إلى أن يقع الخلاص فى ذلك ويحصل الإنصاف منهم .

(نقلاً عن عبد الهادى التازى : التاريخ الدبلوماسى للمغرب ، ص ١٧٥ – ١٧٨) .

نص الرسالة الأولى لابن عباد

بسم الله الرحمان الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا . نسخة كتاب مبارك بعثه الشيخ الإمام العارف الأوحد الخطيب المرحوم أبو عبد الله محمد بن عباد رضى الله عنه ونفع به ، إلى الإمام الخليفة الهمام العادل الصالح أمير المؤمنين وناصر الدين أبى فارس عبد العزيز بن الخلفاء الراشدين تغمدهم الله برحمته أجمعين .

الحمد لله والعاقبة للمتقين ، من محمد بن عباد إلى أمير المسلمين عبد العزيز أعزه الله تعالى فى الدنيا والآخرة وأسبغ عليه نعمه الباطنة والظاهرة ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد فإن الطالب المبارك الصالح أبا العباس أحمد بن قاسم السلوى الذى كتب إليكم فى شأنه أخونا سليمان ، المراد منكم أن تحرروا له من الشمع ما لازمه ثمانية دنانير من الذهب فى كل سنة من مكناسة يعظم الله بذلك أجركم . والمراد منكم أيضا بلغ الله آمالكم أن ترفعوا مظلمة الرتب التى أحدثها أمراء الجور فى طرقات المسافرين ، وتفعلوا ما فعله السلطان أبو الحسن فإنه قطعها أتم قطع ، وكذلك فعل السلطان أبو عنان فى مدته فاسلكوا أيدكم الله مسلكهما فى ذلك وامحوا آثار هذه السنة السيئة ، ولا تدنسوا دولتكم السعيدة بتبقيتها وتقريرها ، فإن المستضعفين من المسافرين يلقون من أصحابها أذى كثيرًا وسلبًا ونهبًا ، ويتولى ذلك أقوام لا يعرفون دينًا ولا مذهبًا ، وما يأخذون منهم يستعينون به على الفجور والفسوق حيث لا تنالهم أحكامكم وقد رأينا ذلك وشاهدناه عيانًا ، فصونوا ايدكم الله تعالى – مدتكم السعيدة عن هذه المفسدة العظيمة ، وقدموا ذلك بين يدى هذا السفر المبارك ليكون من جملة الوسائل التى تتوسلون بها إلى نيل بغيتكم .

واعلموا أن [....] عندى محفوظة أتم الحفظ وموقر [...] التوقير ، وذلك طبع طبعت عليه ، وجبلة فطرت عليها لا تكلف لى فى ذلك ، وسبب ذلك ما جعل الله لكم فى قلبى من المحبة التى أخذت منى كل مأخذ ، وذهبت منى كل مذهب حتى إنه ليقع منى بسبب ذلك أمور يستبعدها من لم يكن حاله معكم مثل حالى ، وحتى إنى أغار عليكم وآنف من مشاركة غيركم لكم فى كل خير دينى أو دنيوى يناله معكم ، ولو كان ذلك بيدى ما سمحت به نفسى لدونكم فما ظنكم بما تكرهونه .

واحترز من ذلك أتم الاحتراز ، بل غاية المطلوب ونهاية المرغوب أن تكونوا سعداء فى الدنيا والآخرة ، أما السعادة فى الدنيا وانفرادكم بالملك والسلطان حتى لا يشارككم فيها غيركم ألبتة فتتملكون رقاب الأعداء بالاستيلاء والقهر ، وتسترقون قلوب الأولياء بموالاة الإحسان والبر . وأما سعادة الآخرة فبحلولكم بحبوحة الجنان وبشارتكم بالخبر والرضوان ، والأسباب الموصلة لكم إلى هاتين السعادتين قد بذلت لكم فيها جهدى ، واستفرغت كل ما عندى والخير كله بيد الله يوتيه من يشاء .

فأول ما فعلت من هذا أنى استعنت بالله وتوكلت عليه ، وبالغت فى التضرع إليه فى حصولكم على هذه البغية ، وثانيها أنى قصدتكم بالنصيحة وكررت الطلب إليكم فى أشياء جعلها الله من أقوى أسباب حصول ما تتمنون إلا أن بعض هذه الأسباب قد يخفى أداؤها إلى الغرض المطلوب ، والبصير لا يخفى عليه ذلك ، وثالثها أنى اعتمدت رعاياكم بتحبيبكم إليها ، وعاملتهم بمعاملات تقتضى محبتهم لكم فيبذلون فى نصرتكم جهدهم بأيديهم وألسنتهم وقلوبهم فيما بينكم وبينهم وبين ربهم .

وحاصل هذا أن حالى معكم على أوجه ثلاثة : أحدهما كوني محبا لكم حبا شديدا ، والثانى إرادتى الخير كله لكم ، والثالث نصحى لكم فى سلوك سبيل تحصيل ذلك الخير المراد مع علمى بتفاصيل أحكامه ، وهذا كله بتوفيق من الله وهداية منه بواسطة ما جعله فى قلبى من المحبة المذكورة . وهذه كلها أمور غيبية لا يطلع عليها إلى المطلع على السرائر ، العالم بما تكنه الضمائر ، وكفى بالله شهيدًا ، فلا جرم إذ كان الحال على ما وصفناه ، أن لا حرج علي فى إطلاق العبارات لديكم ، وإدلالى عليكم ، وموالاة الكتب إليكم لصدور ذلك منى عن قلب سليم ، سالك من محبتكم على صراط مستقيم ، غاية ثمرة ذلك إليكم ما تشتهى أنفسكم ، وتقر به أعينكم من الفتح المبين والنعيم المقيم ، لا أبتغنى على ذلك ثمنا قليلا من حظ عاجل ، ولا أجرا جزيلا من ثواب آجل ، وإنما كتبنا هذا تأكيدا لما تقرر منه عندكم ، واعتذارا من اعتذارى إليكم ، وإدخالى السرور عليكم الذى هو غاية رغبتى ، فقابلوا – أيدكم الله – ما وصفته بحسن القبول ، وقدموا اعتقاده والعمل عليه على كل مفعول ومقول ، فعن قريب إن شاء الله تعالى تظهر لكم أسراره ، وتلوح على وجه هذه الدولة السعيدة أنواره ، ويقر أولياء الله بكم عينا ، وتكونون لأسلافكم الماضين جمالاً وزينًا .

واعلموا أن الله قد أحلكم محلا عاليا شامخا ، وأنزلكم منزلاً شريفًا باذخًا ، وملككم طائفة من ملكه ، وأشرككم فى حكمه ، ولم يرض – جل وتعالى – أن يكون أمر فوق أمركم ، فلا ترضوا أن يكون أحد أولى بالشكر له منكم ، واعلموا أن الله قد ألزم الورى طاعتكم ، فلا يكن أحد أطوع لله منكم ، وليس الشكر باللسان ، وإنما هو بالعمل والإحسان ، قال الله عز وجل : " اعملوا آل داودَ شُكرا " . واعلموا أن أحق الناس بالإحسان من أحسن الله إليه ، وأولاهم بالعدل من بُسطت يده بالقدرة ، فاستديموا ما أوتيتم من النعم بتأدية ما لله عليكم من حق ، وتحببوا إلى عباد الله بحسن السيرة ولين الجانب ، وخفض الجناح ، فإن حب عباد الله موصول بحب الله ، لأنهم شهداء الله تعالى على خلقه . فهذا ما أردنا أن نذكره لكم تأدية لحقكم ، وتشرفا بمخاطبتكم والسلام .

(نقلاً عن رشيد السلامى : رسائل سياسية غير منشورة لابن عباد الرندى ٥٠٥ – ٥٠٩) .

رسالة أبى الربيع سليمان ينكر فيها على ملك غانة تعويقه للتجارة "

" نحن نتجاوز بالإحسان ، وإن تخالفنا فى الأديان ، ونتفق على السيرة المرضية ، ونتألف على الرفق بالرعية ، ومعلوم أن العدل من لوازم الملك فى حكم السياسة الفاضلة ، والجور لا تعانيه إلا النفوس الشريرة الجاهلة ، وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده ، وتردد الجلابة إلى البلد مفيد لسكانها ، ومعين على التمكن من استيطانها ولو شئنا لاحتبسنا فى جهاتنا من أهل تلك الناحية لكنا لا نستصوب فعله ، ولا ينبغى لنا أن ننهى عن خلق ونأتى مثله ، والسلام " .

(نقلاً عن : المقرى : نفح الطيب ، ج٣ ، ص ١٠٥) .

المرافق الاقتصادية

المرافق	سبتة	فاس
الفنادق	٣٦٠ فندق الأنصارى : اختصار الأخبار ، ص ٣٨	٤٦٩ فندق الجزنائى : جنى زهرة ، ص ٤٤ ٤٦٧ فندق ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٤٨ ٢٠٠ فندق الوزان : وصف إفريقيا ، ص ٢٣٦ .
تربيعة	٣١ تربيعة الأنصارى : المصدر السابق ص ٤٠	٣٩٤ تربيعة الجزنائى : المصدر السابق ، نفس الصفحة . ٣٦٤ تربيعة ابن أبى زرع : المصدر السابق ، نفس الصفحة
الحوانيت	٢٤٠٠٠ حانوت الأنصارى : المصدر السابق ، ٣٩	٩٢٨٠ الجزنائى : المصدر السابق نفس الصفحة ٨٩٢٠٦ ابن أبى زرع : المصدر السابق نفس الصفحة
الطواحين	١٠٣ طاحونة الأنصارى : المصدر السابق ٣٦	٤٧٢ طاحونة ابن أبى زرع : المصدر السابق نفس الصفحة
ديار الربع		١١٦ دار ابن أبى زرع : المصدر السابق نفس الصفحة
الأفران	٣٦٠ فرن الأنصارى : المصدر السابق ، ٤٢	١١٧٠ فرن ابن أبى زرع : نفسه
معمل الفخار		١٨٨ معمل ابن أبى زرع : نفسه
معمل الزجاج		١١ معمل ابن أبى زرع : نفسه

أسماء الفنادق

اسم الفندق	المدينة	اسم المصدر
فندق الزيت	سلا	ابن الزيات : التشوف : ص ٢٠٥
فندق الزيت	فاس	Bel ; Inscription Arabes de , p 197
فندق السكر	مراكش	إبراهيم بوتشيش : إضاءات ، ص ١٠٠
فندق ابن فذة	فاس	ابن الأحمر : بيوتات فاس ، ص ٨
فندق ابن حيوت	مراكش	ابن الزيات : التشوف ، ص ٤٥٥
فندق أحمد بن إبراهيم الزيات	سبتة	القاضى عياض : مذاهب الحكام ، ص ١٩٤
فندق الكبير فندق غانم فندق الوهرانى	سبتة	الأنصارى السبتى : اختصار الأخبار ، ص ٤١ ـ ٤٢

جدول الكوارث الطبيعية

١- انحباس الأمطار والمجاعات

سنة وقوعها	المصدر
٦٣٤ هـ / ١٢٣٤	ابن عذارى : البيان المغرب ، ق الموحدين ، ص ٣٥١
٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م	عبد الواحد الملزوزى : نظم سلوك ، ص ١٣٩
٦٩٣ هـ / ١٢٩٤ م	ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٣٨٤
٧١١ هـ / ١٣١١ م	السلاوى : الاستقصا ، ج٢ ، ص ٥٥
٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م	ابن أبى زرع : المصدر السابق ، ص ٤٠١
٧٦٣ هـ / ١٣٦٢	ابن الخطيب : نفاضة الجراب ، ص ٩٠
٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م	ابن قنفذ : أنس الفقير ، ص ١٠٥
٨١٦ هـ / ١٤١٦ م	ابن القاضى : جذوة الاقتباس ، ج١ ، ص ٣٤٨

٢- الجراد

سنة وقوعها	المصدر
٦٧٩هـ / ١٢٨٠ م	ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٤٠٥
٦٨٣هـ / ١٢٨٤ م	السلاوى : الاستقصا ، ج١ ، ص ٤٨٣

٣- العواصف والسيول

سنة وقوعها	المصدر
٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م	السلاوى : الاستقصا ، ج٢ ، ص ٦٨
٧٦٣ هـ / ١٣٦٢ م	ابن قنفذ : شرف الطالب ، ص ٨٦
٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م	السلاوى : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٨١

٤- الحريق

سنة وقوعها	المصدر
٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م	ابن أبى زرع : الذخيرة ، ص ٧٣
٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م	ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٤١٣

أولاً : المصادر العربية

- **ابن الأحمر : إسماعيل بن يوسف بن محمد (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م)**
- روضة النسرين فى دولة بنى مرين ، الرباط ، ١٩٦٢ م .
- بيوتات فاس الكبرا ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٢
- النفحة النسرينة واللمحة المرينية ، تحقيق عدنان محمد آل طعمة ، مطبعة الشام ، دمشق ، ١٩٩٢ .
- تاريخ الدولة الزياتية بتلمسان ، تحقيق هانى سلامة ، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ م .
- **الإدريسى : أبو عبد الله محمد الشريف (ت حوالى ٥٤٨ هـ / ١١٥٤ م)**
- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، مجلدان ، مكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة، بدون تاريخ طباعة .
- **الإشبيلى : أبو عمر بكر بن إبراهيم بن المجاهد اللخمى (توفى ٦١٨ هـ أو ٦٢٨ هـ / ١٢٢١ أو ١٢٢٩ م) :**
- التيسير فى صناعة التسفير ، تحقيق عبد الله كنون ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد الخامس ، العدد الأول والثانى ، ١٩٥٧ .
- **الأنصارى السبتى : محمد بن القاسم (٨٢٥ هـ / ١٤٢١ م) ا**
- اختصار الأخبارعما كان بثغر سبتة من سنى الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٦٩ .
- **البادسى : عبد الحق بن إسماعيل (كان حيًا ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م)**
- المقصد الشريف والمنزع اللطيف فى التعريف بصلحاء الريف ، تحقيق سعيد أعراب ، المطبعة الملكية ، الرباط ،الطبعة الثانية ، ١٩٩٣ .
- **البرزلى : أبى القاسم بن أحمد البلوى التونسى (ت ٨٤١ هـ /**
- **١٤٣٨ م)**
- فتاوى البرزلى جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا للمغنين والحكام ، الجزء الثالث ، تحقيق محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ٢٠٠٢ م .
- **ابن بسام : أبى الحسن على بن بسام الشنترينى (٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م)**
- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثانى ، المجلد الأول ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٩٧ م .
- **ابن بصال الطليطلى : أبى عبد الله محمد بن إبراهيم (عاش فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى)**
- الفلاحة ، ترجمة خوسى ماريه مياس بييكر وساو محمد عزيمان ، معهد مولان الحسن ، تطوان ، ١٩٥٥ م .
- **ابن بطوطة : أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتى الطنجى : (٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م)**

- تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، أربع أجزاء ، نشره وترجمه إلى الفرنسية ديفريمرى وسانجونيتى ، باريس ، ١٩٦٩ م .
- **البكرى : أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م)**
- المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ، بدون تاريخ طباعة .
- **البلوى : خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبى خالد (ت بعد ٧٦٥ هـ / ١٣٦٤ م)**
- تاريخ المفرق فى تحلية علماء المشرق ، تحقيق الحسن السائح ، نشر اللجنة المشتركة لنشر التراث ، المحمدية ، بدون تاريخ طباعة .
- **ابن البيطار : ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقى (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م)**
- الجامع بمفردات الأدوية والأغذية ، الجزء الثانى ، مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ طباعة .
- **التجانى : أبو محمد عبد اله بن محمد بن أحمد (ت بعد سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م)**
- رحلة التجانى ، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ، المطبعة الرسمية ، تونس ، ١٩٥٨م .
- **التجيبى : القاسم بن يوسف التجيبى السبتى (ت ٧٣٠ هـ /١٣٢٩ م)**
- برنامج التجيبى ، تحقيق عبد الحفيظ منصور ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ١٩٨١ م .
- **ابن تغرى بردى : جمال الدين يوسف الأتابكى (ت ٨٧٤ هـ /١٤٧٠ م)**
- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، الجزء الرابع ، قدمه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ م .
- حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور ، الجزء الأول ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٠ م .
- **ابن جبير : أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م)**
- رحلة ابن جبير ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٦ م .
- **الجزنائى : أبو الحسن على (ت أواخر القرن الثامن)**
- جنى زهرة الآس فى بناء مدينة فاس ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٦٧ .
- **ابن الحاج الفاسى : أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدرى الفاسى (ت ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م)**
- المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبية على بعض البدع العوائد التى انتحلت وبيان شناعها وقبحها ، ٤ أجزاء ، مكتبة التراث ، القاهرة ، ١٩٨٨ .
- **ابن الحاج النميرى : إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن موسى (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م)**

- فيض العباب وإفاضة قداح الآداب فى الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وتحقيق أحمد محمد الطوخى ورضوان محمد البارودى ، تحت الطبع.
- **ابن حجر العسقلانى : شهاب الدين أبى الفضل (ت ٨٥٨ هـ / ١٤٤٨ م)**
- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، السفر الأول والرابع ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ .
- فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، الجزء الأول ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله باز ومحمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ .
- **الحطاب : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربى (ت ٩٥٤ هـ / ١٥٤٧ م)**
- مواهب الجليل لشرح مختصر أبى الضياء خليل ، الجزء الثانى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٨ هـ .
- **الحضرمى : أبو عبد الله محمد بن أبى بكر**
- السلسل العذب والمنهل الأحلى ، تحقيق محمد الفاسى ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، المجلد العاشر ، الجزء الأول ، ١٩٦٤ م .
- **الحميدى : أبى عبد الله بن محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله الأزدى (ت٤٨٨ هـ / ١٠٥٦ م)**
- جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٨ .
- **الحميرى : محمد عبد المنعم (ت فى أواخر القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى)**
- الروض المعطار فى خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٤ .
- **ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن على البغداد (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م)**
- صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩ م .
- **ابن الحكيم : أبو الحسن على بن يوسف (عاش فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى)**
- الدوحة المشتكبة فى ضوابط دار السكة ، تحقيق حسين مؤنس ، دار الشروق ، القاهرة، ١٩٨٦ م .
- **ابن خرداذبة : أبو القاسم عبيد الله بن أحمد (ت ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م)**
- المسالك والممالك ، مطبعة بريل ، لندن ، ١٨٨٩ .
- **ابن الخطيب : لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلمانى اللوشى (ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ هـ)**
- رقم الحلل فى نظم الدول ، المطبعة العمومية ، تونس ، ١٨٩٨ م .
- اللمحة البدرية فى الدولة النصرية ، صححه ووضع فهارسه محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ،١٣٤٧ هـ / ١٩٢٩ م .

- تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ما يجرى ذلك من شئون الكلام ،تحقيق أحمد مختار العبادى ومحمد إبراهيم الكتانى ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤ م .
- الإحاطة فى أخبار غرناطة ، ٤ أجزاء ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجى، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٧ م .
- مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس ، تحقيق أحمد مختار العبادى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ م .
- معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار ، مكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٢ م .
- كناسة الدكان بعد انتقال السكان ، تحقيق محمد كمال شبانه ، مكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ م .
- نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب ، تحقيق أحمد مختار العبادى ، مراجعة عبد العزيز الأهوانى ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ طباعة.
- **ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن الحسن (ت ٨٠٨ هـ /   ١٤٠٥ م)**
- العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، المجلد الأ ول والخامس السابع ، دار الكتاب المصرى ودار الكتاب اللبنانى ، القاهرة ، بيروت ، ١٩٩٨ م .
- التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا ، علق عليه محمد بن تاويت الطنجى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .
- المقدمة ، تحقيق محمد محمد تامر ، مكتبة الثقافية ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م .
- **ابن خليل : عبد الباسط بن شاهين الملطى(ت ٩٢٧ هـ / ١٥١٤م)**
- الروض الباسم فى حوادث العمر والتراجم ، نشر ضمن كتاب رحلتان إلى شمال أفريقيا ، ترجمة روبار برانشفيك ، معهد تاريخ العلوم ، باريس ، ١٩٣٦ م .
- **الدباغ : عبد الرحمن بن محمد بن الحسن (ت ٦٩٦ هـ / ١٣٩٦ م)**
- معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان ، الجزء الأول ، طبع بالمطبعة العربية التونسية ، تونس ، ١٩٠٢ م .
- **ابن دحية : أبى الخطاب عمر بن حسن (٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م)**
- **المطرب من أشعار أهل المغرب** ، تحقيق إبراهيم الإبيارى وحامد عبد المجيد أحمد أحمد بدوى ، راجعه طه حسين ، دار العلم للمجتمع ، بيروت ، ١٩٥٥ م .
- **ابن الدلائى : أحمد بن عمر بن أنس العذرى (٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م)**
- ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، منشورات الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٦٥ م .
- **الدمشقى : أبى الفضل جعفر بن على (ت فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى)**
- الإشارة فى محاسن التجارة ، تحقيق البشرى الشوربجى ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- **ابن أبى دينار : أبى عبد الله محمد بن أبى القاسم (١٠٩٢ هـ /   ١٦٨١ م)**

- المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس ، مطبعة التونسية ، تونس ، ١٢٨٦ م .
- **الذهبى : محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م)**
- دول الإسلام ، الجزء الثانى ، تحقيق حسن إسماعيل ومحمود الأرناؤوط ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ م .
- **ابن رشد : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد (ت ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م)**
- شرح بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، المجلد الثانى ، تحقيق عبد الله العبادى ، دار السلام ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .
- فتاوى ابن رشد ، الجزء الثانى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، بدون تاريخ طباعة.
- **ابن رشيد : أبى عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهرى السبتى (ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م)**
- ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، الشركة التونسية ، تونس ، ١٩٨١ م .
- **ابن رزين التجيبى : أبو الحسن على بن سعيد (كان حيًا فى سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢م)**
- فضالة الخوان فى طيبات الطعام والألوان أو فن الطبخ فى الأندلس والمغرب فى بداية عصر بنى مرين ، تحقيق محمد بن شقروت ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٨٤ م .
- **ابن أبى زرع : على بن محمد بن أحمد بن عمر بن أبى زرع الفاسى (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م)**
- الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٢ م .
- الذخيرة السنية فى تاريخ المرينية ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٢م .
- **- الزركشى : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (كان حيًا ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م)**
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ١٩٩٦ م .
- **الزهرى : أبو عبد الله بن أبى بكر (عاش فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى)**
- الجغرافية ، تحقيق محمد حاج صادق ، مكتبة الثقافية ، القاهرة ، بدون تاريخ طباعة .
- **ابن الزيات : أبى يعقوب يوسف بن يحيى التادلى (ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م)**
- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبى العباس السبتى ، تحقيق محمد توفيق ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ١٩٨٤ م .
- **السعدى : عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر (ت ١٠٦٥ هـ / ١٦٥٥ م)**
- تاريخ السودان ، نشره هوداس ، باريس ، ١٩٨١ م .

- **ابن سعيد الأندلسى : أبى الحسن على بن موسى (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٤ م)**
- الغصون اليانعة فى محاسن شعراء المائة السابعة ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧ م .
- الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربى ، منشورات المكتب التجارى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ م .
- المغرب فى حلى المغرب ، الجزء الثانى ، تحقيق شوقى ضيف ،دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٥ .
- **السقطى : أبو عبد الله محمد بن محمد السقطى المالكى الأندلسى (عاش فى أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع)**
- آداب الحسبة ، تحقيق ليفى بروفنسال ، مطبعة باريس ، ١٩٣١ .
- **السلاوى : أبو العباس أحمد بن خالد الناصرى (ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م)**
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، جزءان ، تحقيق محمد عثمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٧ م .
- **ابن الشماع : أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٨٣٧ هـ / ١٤٣٠ م)**
- الأدلة البينة النورانية فى مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق الطاهر بن محمد المصمودى ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٨٤ م .
- **الشيرزى : عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله (ت ٥٨٩ هـ /١١٩٣ م)**
- نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٩ م .
- **ابن صاحب الصلاة : عبد الملك محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت ٥٩٤ هـ / ١١٩٨م)**
- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين ، تحقيق عبد الهادى التازى ، السفر الثانى ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٤ م .
- **الأصطخرى : إبراهيم بن محمد الفاسى المعروف بالكرخى (ت النصف الأول من القرن الرابع الهجرى / السادس الميلادى)**
- المسالك والممالك ، نشره محمد جابر عبد العال ، القاهرة ،١٩٦١ م .
- **ابن عباد الرندى : أبو عبد الله محمد بن يحيى بن إبراهيم بن مالك (ت ٧٧٧ هـ / ١٣٧٦ م)**
- الرسائل الكبرى ، طبعة حجرية ، فاس ، ١٣٥٨ هـ.
- **العبدرى : أبو عبد اله محمد بن محمد بن على بن احمد بن مسعود العبدرى الحيحى (ت ٧٥٧ هـ / ١٣٥٦ م)**
- رحلة العبدرى المسماة الرحلة المغربية ، تحقيق محمد الفاسى ، وزارة الدولة المكلفة بالشئون الثقافية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، ١٩٦٨ م .
- **ابن عبدون : محمد بن أحمد بن عبدون التجيبى (توفى فى النصف الأول من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى)**
- رسالة فى القضاء والحسبة ، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب ، تحقيق ليفى بروفنسال ، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

- **العزفى السبتى : أبو العباس أحمد (ت ٦٣٣ هـ / ١٢٣٦ م)**
- إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد ، تحقيق محمد الشريف ، المجمع الثقافى ، أبو ظبى ، ١٩٩٩ م .
- **ابن عيشون : أبى عبد الله محمد بن عيشون الشراط (ت ١١٠٩ هـ / ١٦٩٧ م)**
- الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس ، تحقيق زهراء النظام ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، ١٩٩٧ م .
- **ابن عذارى المراكشى : أبو عبد الله محمد (كان حيًا ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م)**
- البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، القسم الخاص بعصر الموحدين ، تحقيق محمد إبراهيم الكتانى ومحمد بن تاويت الطنجى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٨٥ م .
- **عبد الملك الأنصارى المراكشى : أبو عبد الله محمد بن محمد (ت ٧٠٣ هـ / ١٣٠٤م)**
- الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة ، تحقيق محمد بن شريفة ، السفر الثامن ، قسم الثانى ، مطبوعات الأكاديمية المغربية ، الرباط ، ١٩٨٤ م .
- **ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م) :**
- فتوح مصر والمغرب ، تحقيق على محمد عمر ، مكتبة الثقافية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م.
- **عبد الواحد المراكشى : عبد الواحد بن على (ت ٦٦٩ هـ /١٢٧٠ م)**
- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، المجلس الأعلى لشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- وثائق المرابطين والموحدين ، تحقيق حسين مؤنس ، مكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ م .
- **عبد الواحد الملزوزى : عبد العزيز بن عبد الواحد الملزوزي (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨م)**
- نظم سلوك فى الأنبياء والخلفاء ، مطبوعات القصر الملكى ، الرباط ، ١٩٦٣ م .
- **العمرى : أحمد بن يحيى العمرى المعروف بابن فضل الله (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧هـ)**
- مسالك الأبصار فى مالك الأمصار ، الجزء الرابع ، تحقيق عبد القادر خريسات وعصام مصطفى هزايمة ويوسف أحمد بن ياسين ، مركز زايد التراث والتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠٠٢ م .
- **ابن عمر : أبو زكريا يحيى (ت ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م)**
- أحكام السوق ، تحقيق محمد على مكى ، مجلة المعهد المصرى لدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد الرابع ، ١٩٥٦ م .
- **العينى : محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد الحافظ (٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م)**
- السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة ، تحقيق إيمان عمر شكرى ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢ م .
- **القاضى عياض : أبو الفضل عياض بن موسى (ت ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م)**

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، الجزء الرابع ، تحقيق أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .
- **القاضى عياض وولده محمد :**
- مذاهب الحكام فى نوازل الأحكام ، تحقيق محمد بن شريفة ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ م .
- **ابن غازى : أبو عبد الله بن أحمد العثمانى (ت ٩١٩ هـ / ١٥١٢ م)**
- الروض الهتون فى أخبار مكناسة الزيتون ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٦٤ م .
- **ابن غالب : محمد بن أيوب غرناطى (من أهل القرن السادس الهجرى / الثانى عشر)**
- فرحة الأنفس ، تحقيق لطفى عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد الأول ، الجزء الثانى ، ١٩٥٥ م .
- **الغبرينى : أبو العباس أحمد بن أحمد (ت ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م)**
- عنوات الدارية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة بيجاية ، تحقيق رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٧٠ .
- **الفشتالى : عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم (ت ١٠٣١ هـ / ١٦٢١ م)**
- مناهل الصفا فى مآثر موالينا الشرفا ، تحقيق عبد الكريم كريم ، مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والثقافة، الرباط ، ١٩٧٢ م .
- **ابن القاضى : أحمد بن محمد بن أبى العافية المكناسى (ت ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م)**
- جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس ، جزءان ، دار المنصور لطباعة والوراقة ، الرباط ، ١٩٧٣ م .
- ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال فى أسماء الرجال ، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور ، الجزء الأول ، دار التراث ، القاهرة ، المكتبة العتيقة ، بيروت ، بدون تاريخ طباعة .
- لفظ الفرائد من لفاظة حق الفوائد ، تحقيق محمد حجى ، طبع ضمن كتاب ألف سنة وفيات ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ، ١٩٧٦ م .
- **القزوينى : زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م)**
- آثار البلاد وأخبار البلاد العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ م .
- **ابن القطان : أبو على الحسن بن على (عاش فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى)**
- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تحقيق محمود مكى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ م .
- **القفطى : على بن يوسف إبراهيم بن شيبات المكنى (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م)**
- إنباه الرواة على أبناه النجاة ، الجزء الأول ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربى ، مؤسسة الكتب الثقافية ، القاهرة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦ م .
- **القلقشندى : أبو العباس أحمد (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)**

- نهايـة الأرب فـى معرفـة أنسـاب العـرب ، تحقيـق إبـراهيم الإبيـارى ، دار الكتـب المصرية، دار الكتب اللبنانى ، القاهرة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢ م .
- قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ م .
- صبح الآعشى فى صناعة الإنشا ، الجزء الخامس ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

○ **القلصادى : ابى الحسن على (ت ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م) :**

- رحلة القلصادى ، تحقيق محمد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للنشر ، مطبعة لجنة البيان العربى ، تونس ، ١٩٨٧ م .

○ **ابن قنفذ : أبو العباس أحمد بن حسن بن على بن الخطيب (ت ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م)**

- أنس الفقير وعز الحقير ، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسى وأدولف فور ، المركز الجامعى لبحث العلمى ، الرباط ، ١٩٦٥ م .
- الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية ، تحقيق محمد الشاذلى النيفر وعبد المجيد التركى ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٦٨ م .
- شرف الطالب فى أسنى المطالب ، نشر ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات ، تحقيق محمد حجى ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ، ١٩٧٦ م .
- الوفيات ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨ م .

○ **أبو الفداء : عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م)**

- تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

○ **ابن فرحون : برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد بن محمد أبى القاسم بن محمد (ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م)**

- الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب بهامشه نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ طباعة .

○ **ابن فهد** :

- إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، الجزء الثالث ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، مركز البحث العلمى وأحياء التراث الإسلامى ،المملكة العربية السعودية ، بدون تاريخ طباعة .
- **- الكتانى : أبى عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس (١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م)**
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، ٣ أجزاء ، تحقيق عبد الله الكامل الكتانى ، حمزة بن محمد الطيب الكتانى ، محمد حمزة بن على الكتانى ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٤ م .

○ **الكتانى الإدريسى : محمد عبد الحلى الكتانى الحسينى الفاسى (ت ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م)**

- نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، تحقيق عبد الله الخالدى ، دار الأرقم بن أبى الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، بدون تاريخ طباعة .

○ **ابن كثير : عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٥ م)**

- البداية والنهاية ، الجزء ١٨ ، تحقيق عبد الله بن المحسن التركى ، حجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ م .
- **- الكرسيفى : عمر بن عبد العزيز بن عبد المنعم بن عبد الرحمن بن داود (ت١٢٠٤ هـ - ١٧٨٩ م)**
- رسالة فى توحيد السكك المغربية (ضمن المؤلفات الفقهية الكاملة للعلامة الكرسيفى) ، تحقيق عمرأفا ، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الرباط ، ٢٠٠٦ م .
  - **الماوردى : أبو الحسن على بن محمد حبيب (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م)**
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق أحمد مبارك البغدادى ، دار قتيبة ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩ م .
  - **المراكشى : العباس بن إبراهيم السملالى (ت ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م)**
- الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ، الجزء السابع ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٧ م .
  - **ابن مرزوق : محمد بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن مرزوق العجيسى التلمسانى أبو عبد الله (ت ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م)**
- المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبى الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، تقديم محمود بوعياد ، دار النشر وزارة الثقافية الجزائرية ، الجزائر ، ٢٠٠٨
- المناقب المرزوقية ، دراسة وتحقيق سلوى الزاهرى ، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية المملكة المغربية ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٨ م .
  - **المطرزى : أبى الفتح ناصر الدين (ت ٦١٠ هـ / ١٢٠٩ م)**
- المغرب فى ترتيب المغرب ، الجزء الأول ، تحقيق محمود فاخورى وعبد الحميد مختار ، مكتبة أسامة بن زيد ، حلب ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩ م .
  - **المقرى : أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى العيش (ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م)**
- أزهار الرياض فى أخبار عياض ، الجزء الأول والثانى ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى ، عبد الحفيظ شلبى ، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة ، القاهرة ، ١٩٣٩ م .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ٩ أجزاء ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٨ م .
  - **ابن مريم : أبى عبد الله محمد بن محمد بن أحمد (كان حيًا ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م)**
- البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، تحقيق محمد بن أبى شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، ١٩٠٨ م .
  - **المقريزى : تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)**
- السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الثانى ، القسم الأول ، صححه ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م .
- الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .

- رسائل المقريزى ، تحقيق رمضان البدرى وأحمد مصطفى قاسم ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٨ م .
- إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار الهلال ، القاهرة ، بدون تاريخ طباعة .

○ **ابن مخلوف : محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف (ت ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١م)**

- شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية ، الجزء الأول ، تحقيق عبد المجيد خيالى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٣ م .

○ **المغيلى التلمسانى : محمد بن عبد الكريم (ت ٩٠٩ هـ / ١٥٠٣ م)**

- مصباح الأرواح فى أصول الفلاح ، تحقيق رابح بونار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٦٨ م .

○ **ابن منظور : محمد بن مكرم بن على (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)**

- لسان العرب ، تحقيق عبد الله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٩ م .

○ **مؤلف مجهول :**

- كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس فى عصر الموحدين ، تحقيق أويثى ميرندا ، مجلة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد ٩ – ١٠ ، ١٩٦٠ – ١٩٦١ م .

○ **مؤلف مجهول :**

- الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل ذكار ، وعبد القادر زمامة ، دار الرشاد الحديث ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩ م .

○ **مؤلف مجهول :**

- الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ م .

○ **مؤلف مجهول :**

- مفاخر البربر ، تحقيق عبد القادر بوباية ، دار أبى رقراق للطباعة والنشر ، الرباط ، الطبعة الأولى .

○ **مؤلف مجهول :**

- بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته فى الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٨٤ م .
- **- ابن المؤقت : محمد بن محمد بن عبد الله المستقيوى المراكشى (ت ١٣٦٩ هـ / ١٩٤٩ م)**
- السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، الجزء الأول ، ٢٠٠٢ م .
- **- النباهى : أبو الحسن عبد الله بن الحسن النبهانى المالقى الأندلسى (٧٩٣ هـ / ١٣٩١ م)**
- تاريخ قضاة الأندلس وسماه المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، دار الآفاق العربية ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

○ **النويرى : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد (٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م)**

- نهاية الأرب فى فنون الأدب ، الجزء ٢٤ ، تحقيق حسين نصار ، الهيئة المصرية العامة لكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .

- **ابن هلال : إبراهيم بن هلال بن على (ت ٩٠٣ هـ / ١٤٩٨ م)**
- الدر النثير على أجوبة أبى الحسن الصغير ، مطبعة الحجرية ، فاس ، ١٩٠١ م

- **ابن وردان (توفى فى القرن التاسع الهجرى / القرن السادس عشر الميلادى)**
- تاريخ مملكة الأغالبة ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٨٨ م .

- **ابن الوردى : عمر بن مظفر (٧٤٩ هـ / ١٣٥٠ م)**
- عجائب البلدان من خلال مخطوط " خريدة العجائب وفريدة الترائب " ، تحقيق أنوار محمود زناتى ، مكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٧ م .

- **الونشريسى : أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد (ت ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م)**
- أسنى المتاجر فى بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر ، تحقيق حسين مؤنس ، مجلة المعهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد الخامس ، ١٩٥٧ م .
- وفيات الونشريسى ، نشر ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات ، مطبوعات دار القرب للتأليف والترجمة والنشر ، الرباط ، ١٩٧٦ م
- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، دار الغرب الإسلامى ، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشارف محمد حجى ، بيروت ، ١٩٨١م .

- **ياقوت الحموى : شهاب الدين أحمد أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموى البغدادى (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م)**
- معجم البلدان ، المجلد الأول والرابع والخامس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٧ م .

- **اليافعى : أبو محمد عبدالله بن أسعد (ت ٦٩٨ هـ /١٢٦٨ م)**
- مرآة الجنان وعبرة اليقطان فى معرفة مايعتبرون من حوادث الزمان ، الجزاء الرابع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ .

- **يحيى ابن خلدون : يحيى بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر (ت٧٧٨ هـ /١٣٧٩ م)**
- بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد ، تحقيق عبد الحميد حاجيات ، الشركة الوطنية ، الجزائر ، ١٩٨٠ م .

ثانيًا : المراجع العربية

- **إبراهيم حركات :**
- المغرب عبر التاريخ ، المجلد الثانى من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين] ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ م .
- النشاط الاقتصادى الإسلامى فى العصر الوسيط ، إفريقيا الشروق ، الدار البيضاء ، ١٩٩٦ م .
- المجتمع الإسلامى والسلطة فى العصر الوسيط ، إفريقيا الشروق ، الدار البيضاء ، ١٩٩٨ م .
- **إبراهيم السيد الناقة :**
- دراسات فى تاريخ الأندلس الاقتصادى (الأسواق التجارية والصناعية فى الأندلس فى عصر الخلافة الأموية إلى الخلافة الموحدية) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية، ٢٠١٠ م .
- **إبراهيم القادرى بوتشيش :**
- إضاءات حول التراث الغربى الإسلامى وتاريخه الاقتصادى الاجتماعى ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ م .
- تاريخ الغرب الإسلامى ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٩٤ م .
- **إبراهيم على طرخان :**
- إمبراطورية غانة الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٠ .
- مملكة مالى ، الهيئة المصرية العامة لكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .
- **الأب أنستاس الكرملى :**
- النقود العربية وعلم النميات ، نشره محمد أمين ، مج ، بيروت ، بدون تاريخ طباعة .
- **أحمد شكرى :**
- الإسلام والمجتمع السودان إمبراطورية مالى (١٢٣٠ – ١٤٣٠ م) المجتمع الثقافى، أبو ظبى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ طباعة .
- **أحمد صبحى منصور :**
- الحسبة دراسة أصولية تاريخية ، مركز المحروسة للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٥ م
- **أحمد شلبى :**
- موسوعة التاريخ الإسلامى ، الجزء السادس ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ٢٠٠٠ م .
- **أحمد الطوخى :**
- مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ م .

- أحمد مختار العبادى :
  - فى تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، بدون تاريخ الطباعة .
  - نظم الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية ، بحث ضمن كتاب تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠٦ م .
- أحمد مختار العبادى والسيد عبد العزيز سالم :
  - البحرية الإسلامية ، ج٢ ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٣ م .
- أرشيبالد – لويس :
  - القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط (٥٠٠ –١١٠٠ م) ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، بدون تاريخ طباعة .
- أ . ج . باركر :
  - النقل البحرى والتجارة فى البحر المتوسط القديم ، عالم المعرفة ، الكويت ، عدد ٣١٤ ، ٢٠٠٥ م .
- أغا بن عودة المزارى :
  - طلوع سعد السعود فى أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، دار البصائر للنشر ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٧ م .
- أمطير سعد غيث :
  - التأثير العربى الإسلامى فى السودان الغربى فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر ، دار الرواد ، بنغازى ، ١٩٩٦ م .
- أنطونيو تورمو كاسلفا :
  - بنو نصر فى غرناطة وبنو مرين فى المغرب ، ترجمة إسحاق عبيد ، من خلال كتاب ابن خلدون البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ، ندوة عقدتها مكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٧ م .
- أمين توفيق الطيبى :
  - دراسات وبحوث فى تاريخ المغرب والأندلس ، الجزء الثانى ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٩٧ م .
- ألفرد بيل :
  - الفرق الإسلامية فى الشمال الإفريقى من الفتح العربى حتى اليوم ، ترجمة عبد الرحمن بدوى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٨١ م .
- ألبرتو كانتو جارثيا :
  - ابن خلدون والعملة ، ترجمة لمياء الأيوبى ، من خلال كتاب ابن خلدون البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ، ندوة عقدتها مكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٧ م .

- **أوليفا ريمى كونستبل :**
- التجارة والتجار فى الأندلس ، تعريب فيصل عبد الله ، مكتبة العبيكات ، الرياض ، ٢٠٠٢ م .
- **بوفيل :**
- تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، ترجمة الهادى أبو لقمة ومحمد عزيز ، منشورات جامعة قاريونس ، بنى غازى ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨ م .
- **جمال أحمد طه :**
- مدينة فاس فى عصر المرابطين والموحدين (٤٤٨ هـ - ١٠٥٦ م / ٦٦٨ هـ - ١٢٩٦ م) دراسة سياسية وحضارية ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ٢٠٠١ م .
- دراسات فى التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للغرب الإسلامى ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨ م .
- **جهاد غالب مصطفى غالب :**
- الحرف وصناعات فى الأندلس منذ الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة (٩٢ – ٨٩٧ هـ / ٧١١ – ١٤٩٢ م) ، مركز الآفاق ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ .
- **جواتين :**
- دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية ، ترجمة عطية القوصى ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٨٠ م .
- **جورج مارسيه :**
- بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامى فى العصور الوسطى ، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٩١ م .
- **جون جوزيف :**
- الإسلام فى ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء ، ترجمة مختار السويفى ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .
- **جون كلود هوكت :**
- العلاقات البحرية والملاحية فى البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر ، ترجمة لمياء الأيوبى ، بحث من خلال كتاب ابن خلدون البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ، ندوة عقدتها مكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٧ م .
- **جيمس دكى :**
- غرناطة مثال من المدينة العربية فى الأندلس ، ج١ ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ، تحرير سلمى الخضراء الجيوسى ، ضمن مجموعة أبحاث الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ م .
- **حاييم الزعفرانى :**
- ألف من حياة اليهود بالمغرب ، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغنى أبو العزام ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ م .

- **حامد التركى :**
  - النقود ودور السكة فى المغرب ، بحث ضمن كتاب المدينة فى تاريخ المغرب العربى، ضمن كتاب المدينة فى تاريخ المغرب العربى أشغال الندوة المنظمة من ٢٤ إلى نوفمبر ١٩٨٨ ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٨ م .
- **الحبيب الجنحانى :**
  - الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى سجلماسة عاصمة بنى مدار ، بحث ضمن مجموعة البحوث ألقيت فى ندوة الحضارة الإسلامية فى ذكرى أ . د / أحمد فكرى (١٦ – ٢٠ أكتوبر ١٩٧٦) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ٢٠٠٠ م
  - المجتمع العربى الإسلامى (الحياة الاقتصادية) ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ٢٠٠٥ م .
- **الحسن السائح :**
  - الحضارة المغربية البداية والاستمرار ، منشورات عكاظ ، الرباط ، ٢٠٠٠ م .
- **حسن إبراهيم حسن :**
  - تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، الجزء الرابع ، العصر العباسى الثالث فى المنشرق ومصر والأندلس (٤٤٧ – ٦٥٦ هـ / ١٠٥٥ – ١٢٥٨ م) ، دار الجيل ، مكتبة النهضة المصرية ، بيروت ، القاهرة ، ١٩٩١ م .
- **حسن على حسن :**
  - الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس " عصر المرابطين والموحدين " ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠ م
- **حسين مراد :**
  - الأوقاف مصدر لدراسة مجتمع فاس فى العصر المرينى (٦٥٦ – ٨٦٩ هـ / ١٢٥٨ – ١٤٦٥ م) ، الزهراء كمبيوتر ، القاهرة ، ٢٠٠٢ م .
- **حسين مؤنس :**
  - ابن بطوطه ورحلاته ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ طباعة .
- **حليمة فرحات وعبد الأحد السبتى :**
  - المدينة فى العصر الوسيط ، المركز الثقافى العربى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤ م .
- **حمدى عبد المنعم محمد حسين :**
  - مدينة سلا فى العصر الإسلامى دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٣ م .
- **حياة ناصر حجى :**
  - السلطة والمجتمع فى سلطنة المماليك فترة حكم السلاطين (٦٦١ هـ / ١٢٦٢ م) إلى ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) دراسة تاريخية وثقافية فى وقائع الممارسات المختلفة السلطانية والأميرية ، جامعة الكويت لجنة التأليف والتعريب ، الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ .

- السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف فى عهده مع تحقيق ودراسة " وثيقة وقف سرياقوس " ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، بدون تاريخ طباعة .

○ **خيرونيمو بايز لويز :**

- ابن خلدون وعصره قيام وسقوط إمبراطوريات ، ترجمة إسحاق عبيد ، بحث ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر وقيام وسقوط إمبراطوريات ندوة عقدتها مكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٧ م .

○ **خوليو خالديوت ياروك :**

- **الوباء الأسود فى عالم القرن الرابع عشر** ، بحث ضمن كتاب ابن خلدون البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ، ندوة عقدتها مكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٧ م

○ **درويش النخيلى :**

- السفن الإسلامية على حروف المعجم ، مؤسسة الثقافية الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٧٩ م .

○ **رأفت محمد النبراوى :**

- النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجرى ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ م .

○ **رشيد السلامى :**

- رسائل سياسية غير منشورة لابن عباد الرندى ، ضمن كتاب متنوعات محمد حجى ، نشرت بمناسبة صدور موسوعة أعلام المغرب ، دار الغرب الإسلامى بيروت ، ١٩٩٨ م .

○ **رضوان البارودى :**

- دراسات وبحوث فى التاريخ وحضارة المغرب والأندلس ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، ٢٠٠٧ م .

○ **روجيه إدريس :**

- الدولة الصنهاجية ، الجزء الثانى ، ترجمة حماد الساحلى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

○ **روجى لوتورنو :**

- فاس فى عصر بنى مرين ، ترجمة نقولا زيادة ، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، بيروت ، نيويورك ، ١٩٦٧ م .
- فاس قبل الحماية ، جزءان ، ترجمة محمد حجى ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

○ **روبار برنشفيك :**

- تاريخ أفريقيا فى العهد الحفصى من القرن ال ١٣ إلى نهاية القرن ١٥ م ، جزءان ، ترجمة حماد الساحلى ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١ م .

- **ديكارد وكوردو بادى لالاف :**
- الصناعات المتوسطية فى القرن الرابع عشر ، ترجمة إسحاق عبيد ، من خلال كتاب ابن خلدون البحر فى القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ، ندوة عقدتها مكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٧ م .
- **سامية مصطفى مسعد :**
- الوراقة والوراقون فى الأندلس فى عصر الخلافة حتى نهاية عصر الموحدين ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠ م .
- **سحر السيد عبد العزيز سالم :**
- أضواء على مصحف عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ورحلته شرقًا وغربًا ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩١ م .
- ملابس الرجال فى الأندلس فى العصر الإسلامى ، بحث من ندوة الأندلس (الدرس والتاريخ) فى كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ورابطة الجامعات الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٤ م .
- مدينة الرباط فى التاريخ الإسلامى منذ إنشائها حتى نهاية عصر بنى مرين ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٦ م .
- **السيد عبد العزيز سالم :**
- تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٢م.
- تاريخ المرية الإسلامية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٤ م .
- فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٥ م .
- بحوث إسلامية فى التاريخ والآثار ، القسم الثانى ، دار العرب الإسلامى ، بيروت ، ١٩٩١ م .
- **سعد زغلول عبد الحميد :**
- تاريخ المغرب العربى ، الجزء الرابع ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٦٩ .
- **سعيد عبد الفتاح عاشور :**
- العصر المماليكى فى مصر والشام ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٦ م .
- **شارل أندرى جوليان :**
- تاريخ إفريقيا الشمالية ، الجزء الثانى ، تعريب محمد مزالى والبشير بن سلامة ، الدار التونسية ، تونس ، ١٩٧٨ م .
- **شوقى الجمل :**
- تمبكتو كمركز ثقافى وعلمى [فى القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى] من خلال كتاب المراكز الثقافية والعلمية فى العالم فى العالم العربى عبر العصور حصاد رقم (٩) ، ندوة عقدها اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ٢٠٠١ م .

- **شوقى عبد القوى عثمان حبيب :**
- تجارة المحيط الهندى فى عصر السيدة الإسلامية (٤١ – ٩٠٤ هـ / ٦٦ – ١٤٩٨م) ، عالم المعرفة سلسلة كتب يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، عدد ١٥١ ، ١٩٩٠ م .
- التجارة بين مصر وإفريقيا فى عصر السلاطين المماليك (٦٤٨ – ٩٢٢ هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧ م) ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
- **طاهر راغب :**
- تاريخ نقود دول المغرب من (٤٤١ إلى ٩٨٢ هـ) دراسة فى التاريخ والحضارة ، إصدارات جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٩٤ م .
- **صالح بن قربة :**
- المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامى إلى سقوط دولة بنى حماد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ١٩٨٦ م .
- انتشار المسكوكات المغربية وأثرها على تجارة الغرب المسيحى فى القرون الوسطى ، بحث ضمن كتاب الغرب الإسلامى والغرب المسيحى خلال القرون الوسطى رقم (٤٨) ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ١٩٩٥ م .
- **ضيف الله بن يحيى الزهرانى :**
- زيف العملة ، دبى ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ م .
- **عادل زيتون :**
- العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، دار دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠ م .
- **عاطف منصور محمود رمضان :**
- النقود الإسلامية وأهميتها فى دراسة التاريخ والآثار الحضارية الإسلامية ، مكتبة زهراء الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م .
- **عبد العزيز بن عبد الله :**
- مظاهر الحضارة المغربية ، دار السلمى ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٧م.
- معطيات الحضارة العربية ، جزءان ، دار المعرفة للنشر ، الرباط ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠٠ م .
- **عبد العزيز فيلالى :**
- تلمسان فى العهد الزيانى ، دراسة سياسية عمرانية اجتماعية وثقافية ، الجزء الأول ، موفم للنشر ، الجزائر ، ٢٠٠٧ م .
- **عبد الله كنون :**
- موسوعة مشاهير المغرب رجال المغرب ، دار الكتاب اللبنانى ، دار الكتاب المصرى ، بيروت ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٤ م .
- النبوغ فى الأدب العربى ، الجزء الثانى ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر ، بيروت ، بدون تاريخ طباعة .

- **عبد الهادى التازى :**
- جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس موسوعة لتاريخها المعمارى والعسكرى ، جزءان (الأول – الثانى) ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٧٣ م .
- التاريخ الدبلوماسى لمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، المجلد الأول والسابع ، مطابع فضالة ، الدار البيضاء ، ١٩٩٦ .
- **عبد الفتاح عبادة :**
- السفن والأسطول الإسلامى وأنواعها ومعداتها فى الإسلام ، مطبعة الهلال ، القاهرة، ١٩١٣ م .
- **عبد الوهاب بن منصور :**
- قبائل المغرب ، الجزء الأول ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٦٨ .
- مناقب أهل الصحراء فى تشييد صرح الأمة المغربية الغراء ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ١٩٧٥ م .
- **عبد الهادى البياض :**
- الكوارث الطبيعية وأثرها فى سلوك وذهنيات الإنسان فى المغرب والأندلس (٦ – ٨ هـ / ١٢ – ١٤ م) ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ٢٠٠٨ م .
- **عثمان الكعاك :**
- الحضارة العربية فى حوض البحر الأبيض المتوسط ، مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٦٥ م .
- **عبد الواحد أقمير :**
- مملكة مالى فى القرن الرابع عشر وفقًا لابن خلدون ومعاصريه ، ترجمة إبراهيم سعيد فهيم ، من خلال كتاب ابن خلدون البحر المتوسط فى القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات ، ندوة عقدتها مكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٧ م .
- **عز الدين موسى :**
- النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى من خلال القرن السادس الهجرى ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .
- دراسات فى التاريخ الإسلامى ، دار الشروقف ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .
- **على معطى :**
- تاريخ النقود العربية والإسلامية ، دار المنهل ، بيروت ، ٢٠٠٨ م .
- **على حامد الماجى :**
- المغرب فى عصر السلطان أبى عنان المرينى ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٦ م .
- **عزيزة محمد على بدر :**
- طنجة بوابة إفريقيا دراسة فى جغرافية المدن ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .
- **عمار عمور :**
- الجزائر بوابة التاريخ (ما قبل التاريخ إلى ١٩٦٢) ، الجزء الأول ، دار المعرفة ، الجزائر ، ٢٠٠٦ م .

- **عواطف محمد يوسف :**
- الرحلات المغربية والأندلسية (مصدر من مصادر تاريخ الحجاز فى القرنين السابع والثامن الهجريين – دراسة تحليلية مقارنة) ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٩٩٦ م
- **عطا على شحاته :**
- اليهود فى بلاد المغرب الأقصى فى عهد المرينيين والوطاسيين ، دار الكلمة ، دمشق، ١٩٩١ م .
- **فالتر هنتس :**
- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها فى النظام المترى ، ترجمة كامل العسلى ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٧٠ م.
- **فرج الله أحمد يوسف :**
- الآيات القرآنية على مسكوكات الإسلامية دراسة مقارنة ، مركز فيصل البحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، ٢٠٠١ م .
- **فرنان برودل :**
- دراسات فى النقود والحضارات من الذهب السودان إلى فضة أمريكا أو من مآسى البحر المتوسط ، بحث ضمن كتاب بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، ترجمة توفيق إسكندر ، مطابع دار النشر للجامعات المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١ م .
- **فيج – جى – دى :**
- تاريخ غرب إفريقيا ، ترجمة السيد يوسف ، وراجعه رياض صلب ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .
- **القاموس المحيط** ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٩ م
- **قايد مولد :**
- البربر عبر التاريخ من الكاهنة إلى العهد التركى ، الجزء الثانى ، ترجمة إبراهيم سعدى ، منشورات ميمونى ، الجزائر ، ٢٠٠٧ م
- **كريستين مازولى جوينتار :**
- مدينة عظيمة لملك عظيم مدن شرقية وغربية وطرق تجارية زمن ابن خلدون ، ترجمة إبراهيم سعيد فهيم ، من خلال كتاب ابن خلدون البحر المتوسط ، فى القرن الرابع عشر قيام وسقوط وإمبراطوريات ، ندوة عقدتها مكتبة الإسكندرية ، ٢٠٠٧ م .
- **كمال السيد أبو مصطفى :**
- الأحباس فى الأندلس فيما بين القرنين الرابع والتاسع للهجرة (١٠ – ١٥ م) ، دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٩ م .
- جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية فى المغرب الإسلامى من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسى ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٩٦ .
- تاريخ الأندلس الاقتصادى فى عصر دولتى المرابطين والموحدين ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، بدون تاريخ طباعة .

- **ليفى بروفنسال :**
- الإسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمى ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٠ م .
- تاريخ إسبانيا الإسلامية ، ترجمة السيد سالم ومحمد صلاح الدين ، دار النهضة مصر للطباعة ، القاهرة ، بدون تاريخ طباعة .
- **ليوبولد توريس بالباس :**
- المدن الإسبانية الإسلامية ، ترجمة إليودو رى لاينا ، مطبعة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، مراجعة نادية محمد جمال الدين ، وعبد الله بن إبراهيم ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ م .
- **مارك بلوك :**
- مشكلة الذهب فى العصر الوسيط ، ترجمة توفيق إسكندر ، ضمن كتاب بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، مطابع دار النشر للجامعات المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١ م .
- **محمد حمزة إسماعيل :**
- السلطان المنصور قلاوون [تاريخ – أحوال مصر فى عهده – منشآته المعمارية] ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٨ م
- **محمد ضياء الدين الريس :**
- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .
- **محمد الشريف :**
- سبته الإسلامية دراسات فى تاريخها الاقتصادى والاجتماعى (عصر الموحدين والمرينيين) ، تطوان ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٦ م .
- **محمد المنونى :**
- حضارة الموحدين ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ١٩٨٩ م .
- ورقات عن حضارة المرينيين ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ١٩٩٦ م .
- **محمد الغربى :**
- بداية الحكم المغربى فى السودان العربى ، دار الرشيد للنشر والطباعة ، بغداد ، ١٩٨٢ م .
- **محمد الفاسى :**
- دراسات مغربية ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٠ م .
- **محمد الحسنى :**
- دور المدينة فى توحيد المغرب العربى فاس والقيروان نموذجًا ، من خلال كتاب المدينة فى تاريخ المغرب العربى من أشغال ندوة المنظمة من ٢٤ إلى ٢٦ نوفمبر ١٩٨٨ م ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٩ م .

- **محمد القبلى :**
  - مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ١٩٨٧ م .
- **محمد جمال سرور :**
  - دولة بنى قلاوون فى مصر (الحالة السياسية والاقتصادية فى عهدها بوجه خاص) ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، بدون تاريخ طباعة .
- **محمد بن أحمد بن شقروت :**
  - المظاهر الثقافية المغربية (دراسة فى الآداب المغربى فى العصر المرينى) ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ،١٩٨٥ م .
- **محمد زنيبر :**
  - المغرب فى العصر الوسيط ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ١٩٧٠ م .
  - محور فاس سبتة وأهميته فى العصر الوسيط ، من خلال كتاب المدينة فى تاريخ المغرب العربى أشغال ندوة المنظمة من ٢٤ إلى ٢٦ نوفمبر ، ١٩٨٩ ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٩ م .
- **محمد عبد الله عنان :**
  - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين هو العصر الرابع من كتاب دولة الإسلام فى الأندلس ، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .
  - الدولة الإسلامية فى الأندلس (عصر المرابطين والموحدين فى الأندلس) ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٠ م .
- **محمد عمارة :**
  - قاموس المصطلحات الاقتصادية فى الحضارة الإسلامية ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٩٣ م .
- **محمد عبد العزيز مرزوق :**
  - الفن الإسلامى فى العصر الأيوبى ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
- **محمد عبد الستار :**
  - المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة ، سلسلة كتب الثقافية ، الكويت ، ١٩٨٣ م
- **محمد عيسى الحريرى :**
  - تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى (٦١٠ هـ - ١٢١٣ م / ٨٦٩ هـ ١٤٦٥) ، دار العلم للنشر والتوزيع ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧ م .
- **محمد عبد العال أحمد :**
  - منسا موسى سلطان التكرور ورحلة حجة الشهيرة ، ١٩٨٧ م .

- محمد فتحة :
- ملاحظات حول علاقة المدينة بالبادية بالمغرب خلال نهاية العصر الوسيط ، بحث من خلال كتاب المدينة فى تاريخ المغرب العربى ، أشغال الندوة المنظمة من ٢٤ إلى ٢٦ نوفمبر ١٩٨٨ ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٩ م .
- محمد مزين :
- فاس باديتها مساهمة فى تاريخ المغرب السعدى ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ١٩٨٦ م .
- محمد مقر :
- اللباس المغربى من بداية الدولة المرينية إلى العصر السعدى ، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الرباط ، ٢٠٠٦ م .
- محمد محمد أحمد إسماعيل :
- ثورات العرب والبربر واليهود فى عهد دولة بنى مرين ، مكتبة الثقافية ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م .
- محمد محمد مرسى الشيخ :
- تاريخ مصر البيزنطية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٩ م .
- محمد كمال شبانه :
- يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، مكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م.
- مصطفى أبو ضيف :
- أثر القبائل العربية فى الحياة المغربية خلال عصر الموحدين وبنى مرين [٥٢٤ – ٨٧٦ هـ / ١١٣٠ – ١٤٧٢ م) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ م .
- مصطفى نشاط :
- إطلالات على التاريخ المغربى خلال العصر المرينى ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، وجدة ، ٢٠٠٣ م .
- مزاحم علاوى الشاهرى :
- الأوضاع الاقتصادية فى المغرب على عهد المرينيين (٦٦٨ – ٧٥٩ هـ / ١٢٦٨ – ١٣٦٠ م) ، آفاق عربية ، بغداد ، ٢٠٠١ م .
- محمود إسماعيل :
- مغربيات ، فاس ، ١٩٧٧ م .
- سوسيولوجيا الفكر الإسلامى ، الجزء الثالث ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٠م.
- الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ، دار الثقافية ، الدار البيضاء ، ١٩٨٥ م .
- مختار حسانى :
- تاريخ الدولة الزيانية ، ثلاث أجزاء ، دار الحضارة ، الجزائر ، ٢٠٠٧ .

- **موسى لقبال :**
- الحسبة المذهبية فى بلاد المغرب العربى (نشأتها وتطورها) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، ١٩٧١ م .
- **موريس لومبار :**
- الذهب الإسلامى منذ القرن السابع إلى القرن الحادى عشر الميلادى ، ترجمة توفيق إسكندر ، بحث ضمن كتاب بحوث التاريخ الاقتصادى ، مطابع دار النشر للجامعات ، القاهرة ، ١٩٦١ م .
- الإسلام فى مجده الأول ، ترجمة إسماعيل العربى ، المغرب ، ١٩٩٠ م .
- **مرمول كربخال :**
- إفريقيا ، ثلاث أجزاء ، ترجمة محمد حجى ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر وأحمد التوفيق ، مطابع المعارف الجديدة ، الرباط ، ١٩٨٩ م .
- **ناعمى مصطفى :**
- الصحراء من خلال بلاد تكنة تاريخ العلاقات التجارية والسياسية ، منشورات عصام ، ١٩٨٨ م .
- **نجلاء محمد عبد النبى :**
- مصر والبندقية العلاقات السياسية والاقتصادية فى عصر المماليك ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ٢٠٠١ م .
- **نعيم زكى فهمى :**
- دور اليهود فى التجارة العصور الوسطى بين الشرق والمغرب ، مطابع سجل العرب، الإسكندرية ، ١٩٧١ م .
- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
- **نريمان عبد الكريم أحمد :**
- مجتمع إفريقية فى عصر الولاة ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
- **هايد :**
- تاريخ التجارة فى المشرق الأدنى فى العصور الوسطى ، الجزء الثانى ، ترجمة أحمد رضا و محمد رضا ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ م .
- **هشام أبو رميلة :**
- علاقات الموحدين بالمالك النصرانية والدولة الإسلامية فى الأندلس ، دار الفرقان ، نابلس ، ١٩٨٤ م .
- **هوبكنز :**
- النظم الإسلامية فى المغرب فى القرون الوسطى ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، ١٩٨٠ م .
- التاريخ الاقتصادى لأفريقيا ، ترجمة أحمد فؤاد بلبع ، تقديم محمد عبد الغنى سعودى ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٨ م .

- **ويستفيلد :**
- جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادى بأيامها وشهورها ، ترجمة عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، بدون تاريخ طباعة .
- **يحيى بوعزيز :**
- تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ، سحب للطباعة ، الجزائر ، ٢٠٠٧ م .

ثالثًا : الأبحاث العلمية

- **إبراهيم جدلة :**
- إفريقية والغزو البحرى فى العصر الوسيط (من ٤ هـ / ١٠ م إلى ١٠ هـ / ١٦م)، مجلة البحث العلمى ، الرباط ، عدد ٤٥ ، ١٩٩٨ م .
- **إبراهيم حركات :**
- معالم من التاريخ الاجتماعى للمغرب على عهد بنى مرين ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، العدد الثانى ، ١٩٧٧ م .
- الحياة الدينية فى العهد المرينى ، مجلة البحث العلمى ، الرباط ، عدد ٢٩ – ٣٠ ، ١٩٧٩ م .
- دور الصحراء الإفريقية فى التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط ، مجلة البحوث التاريخية ، ليبيا ، عدد ١١ ، ١٩٨١ م .
- طبيعة العلاقات المغربية مع أفريقيا فى العصر الوسيط ، مجلة دعوة الحق ، الرباط ، عدد ٢٩ ، ١٩٨٨ م .
- **أبو الوفا الغنيمى :**
- ابن عباد الرندى حياته ومؤلفاته ، مجلة المعهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد السادس ، العدد الأول - الثانى ، ١٩٥٨ م .
- **أحمد الطوخى :**
- القيساريات الإسلامية فى مصر والمغرب والأندلس ، مجلة الآداب ، جامعة الإسكندرية ، عدد ٢٨ ، ١٩٨١ م .
- **أحمد العلمى :**
- الحسبة بين الأصالة والمعاصرة ، مجلة البحث العلمى ، الرباط ، العدد الثانى ، ١٩٩٥ م .
- **إحسان صدقى :**
- الخبز فى الحضارة الإسلامية ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، العدد الأول ، ١٩٩٢ م .
- **أحمد محمد إسماعيل الجمال :**
- طرق التجارة الخارجية خلال القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى (عصر الموحدين) ، مجلة المؤرخ العربى ، القاهرة ، عدد ١٢ ، المجلد الأول ، ٢٠٠٤ م .

- **أحمد مختار العبادى :**
- الحياة الاقتصادية فى الدولة الإسلامية ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد الحادى عشر ، الجزء الأول ، ١٩٨٠ م .
- **السيد ناصر النقشبندى :**
- نقود الصلة والدعاية ، مجلة المسكوكات ، المؤسسة العامة لآثار والتراث ، بغداد ، العدد الثالث ، ١٩٧٢ م .
- **إيوارويلا خورشيد :**
- الحمال ، موجز دائرة المعارف الإسلامية ، الجزء ١٤ ، مركز الشارقة للإبداع ، ١٩٩٨ م .
- بيع ، دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد التاسع ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .
- **الحسن بولقطيب :**
- المصامدة والنشاط التجارى إلى حدود قيام الدولة الموحدية ، بحث من أعمال ندوة التجارة فى علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ المغرب من ٢١ إلى ٢٣ فبراير ١٩٨٩ ، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الحسن الثانى ، الدار البيضاء ، القسم الثانى .
- **حسن حافظ علوى :**
- النشاط التجارى بسجلماسة وعلاقتها بمجالها القروى ، بحث من أعمال ندوة التجارة فى علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ المغرب من ٢١ إلى ٢٣ فبراير ١٩٨٩ ، منشورات جامعة الحسن الثانى كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، دار البيضاء ، القسم الثانى .
- **حسن خضيرى أحمد :**
- أهم مراكز تجارة الصحراء المغربية ودورها فى قيام الكيانات السياسية فى القرنين الرابع والخامس الهجرى / العاشر والحادى عشر الميلادى ، المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة ، المجلد ٤٣ ، ٢٠٠٥ م .
- **الحسن السائح :**
- البربر والعروبة ، مجلة دعوة الحق ، الرباط ، العدد الرابع ، ١٩٦٠ م .
- **حسان صدقى :**
- الخبز الحضارة الإسلامية ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، العدد الأول ، ١٩٩٢ م .
- **دانيل أوستاس :**
- تاريخ النقود العربية ما يتعلق بموازينها ومقاييسها ، ترجمة عبد اللطيف أحمد خالص ، مجلة البحث العلمى ، العدد ١٤ – ١٥ ، ١٩٩٦ م .
- **رجاء العدوى عدونى :**
- الجهاد البحرى المشترك بين إفريقية والمغرب الأقصى بين القرن ١٣ م والقرن ١٦م، مجلة البحث العلمى ، عدد ٤٥ ، ١٩٩٨ م .

- **رفعت على أبو حاج :**
- الإنتاج والتجارة والضرائب فى ولاية البصرة خلال القرن السادس عشر طبقًا لما جاء فى قانون الولاية ، مجلة البحوث التاريخية ، ليبيا ، العدد الثانى ، ١٩٨٣ م .
- **روجى . كواندر :**
- قراصنة سلا ، ترجمة محمد العربى محمود ، مجلة البحث العلمى ، الرباط ، العدد ٣٦ ، ١٩٨٦ .
- **زكى مبارك :**
- الجهاد البحرى فى الغرب الإسلامى – المفهوم الإسلامى الغربى ، مجلة البحث العلمي ، الرباط ، عدد ٤٥ ، ١٩٩٨ م .
- **زليجة بن رمضان :**
- التخطيط المادى لمدينة سبته الإسلامية ، محاولة فى إعادة بناء التركيبية الحضرية ، مجلة كلية الآداب ، تطوان ، العدد الثالث ، ١٩٨٩ م .
- **سلفا تورى بونو :**
- العلاقات التجارية بين البلدان المغرب وإيطاليا فى العصر الوسيط ، ترجمة عمر محمد البارونى ، مجلة البحوث التاريخية ، ليبيا ، عدد ٢٤ ، ١٩٨٦ .
- **سمية حسن محمد إبراهيم :**
- ديناران من دولة بنى مرين ، مجلة عين شمس مركز الدراسات البردية والنقوش ، القاهرة ، العدد ١٥ ، ١٩٩٨ .
- **صابر دياب**
- دراسات فى عالم البحر المتوسط فى العصور الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، القاهرة ، مجلد ٢٤ ، ١٩٧٧ م .
- **عبد العزيز الأهوانى :**
- ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمى من لحن العامة ، مجلة معهد إحياء المخطوطات العربية ، المجلد الثالث ، الجزءالأول ، ١٩٥٧ م .
- **عبد العزيز العلوى :**
- صناعة النسيج فى المغرب فى العصر الوسيط ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، فاس ، عدد خاص ، ١٩٨٥ م .
- علاقة التجارة الصحراوية بالتجارة البحرية فى المغرب المرينى ، بحث ضمن أعمال ندوة التجارة فى علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ (٢١ – ٢٣ فبراير) ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثانى ، الدار البيضاء ، القسم الثانى ، ١٩٨٩ م .
- **عبد العزيز بن عبد الله :**
- البحرية المغربية والقرصنة ، مجلة تطوان المغربية ، عدد ٣ – ٤ ، ١٩٥٨ – ١٩٥٩ .
- كيف بدأ التصنيع فى المغرب ، مجلة دعوة الحق ، الرباط ، عدد ٢٦٧ ، ١٩٧٨ م .
- البادية المغربية وإشعاعها الحضارى ، مجلة المناهل ، الرباط ، عدد ١٣٤ ، ١٩٨٦م.

- **عبد الوهاب بن منصور :**
  - أصيلة عبر التاريخ ، مجلة المناهل ، الرباط ، عدد ١٦ ، ١٩٧٩ م .
- **عبد الهادى التازى :**
  - ابن خلدون سفيرًا ، مجلة المناهل ، الرباط ، عدد ١٦ ، ١٩٧٩ م .
  - العملة ودور السكة فى المغرب ، مجلة الأكاديمية المملكة المغربية ، عدد ٤ ، ١٩٨٧م.
- **عبد الوهاب الدبيش :**
  - توزيع المرافق الاقتصادية بفاس المرينية ، بحث ضمن أعمال ندوة التجارة علاقتها بالمجتمع عبر التاريخ المغرب (٢١ – ٢٣ فبراير ١٩٨٩ م) كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثانى ، الدار البيضاء ، القسم الثانى .
- **عصمت عبد اللطيف دندش :**
  - المرأة فى تادلا من خلال كتب الرحلات فى العصر الوسيط ، مجلة تادلا ، مطبعة الصباح الجديدة ، الدار البيضاء ، ١٩٩٣ م .
- **قاسم عبده قاسم :**
  - الأسواق بمصر فى عصر سلاطين المماليك ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ٣٦ – ٣٧ ، ١٩٧٤ م .
- **كمال أبو مصطفى :**
  - الأندلسيون وإسهاماتهم الحضارية ، مجلة كلية التربية ، جامعة الإسكندرية ، المجلد الخامس ، ١٩٩٢ م .
- **ماجدة كريمى :**
  - العلاقات التجارية بين المغرب والسودان ، مجلة دعوة الحق ، الرباط ، عدد ٢٦٩ ، ١٩٨٨ م .
- **ماريونو أربياس بالاو :**
  - بنو مرين فى الاتفاقيات المبرمة بين أراغون وغرناطة ، مجلة تطوان ، الرباط ، عدد ٨ ، ١٩٦٣ م .
- **محمد اللبار :**
  - تجليات النزعة الإنسانية فى أوقات مدينة فاس ، مجلة المناهل ، عدد ٨٤ ، ٢٠٠٨ م .
- **محمد الأمين البزاز :**
  - الطاعون الأسود بالمغرب فى القرن ال ١٤ ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، عدد ١٦ ، ١٩٩١ م .
- **محمد الشريف :**
  - الأسطول السبتى بين الجهاد والتجارة (القرن ١٢ م إلى ١٤ م) ، مجلة البحث العلمى، عهدد ٤٥ ، ١٩٩٨ م .
- **محمد المنونى :**
  - منشآت مرينية بضاحية فاس الجديدة ، مجلة المناه ، عدد ١٦ ، ١٩٧٩م .

- دور الأوقاف المغربية فى التكافل لاجتماعى فى العصر المرينى (٦٥٧ – ٨٦٩ هـ)، مجلة دعوة الحق ، الرباط ، عدد ٢٣٠ ، ١٩٨٣ .

  - **محمد الصمدى :**
- قضايا البحر فى الغرب الإسلامى من خلال " المعيار للونشريسى " ، مجلة البحث العلمى ، الرباط ، عدد ٤٦ ، ١٩٩٩ م .

  - **محمد باقر الحسينى :**
- نقود المغرب والأندلس ، دراسة تحليلية للكنى والألقاب ، مجلة المسكوكات ، عدد ١٢ – ١٣، بغداد ، ١٩٨١ م .

  - **محمد رزوق :**
- الجالية الأندلسية بالمغرب العربى ، مجلة المناهل ، الرباط ، عدد ٣٤ ، ١٩٨٦ م .

  - **محمد زنيبر :**
- بعض مؤانى التجارية المغربية فى العصر الوسيط ، بحث ضمن أعمال ندوة التجارة فى علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ المغرب (٢١ – ٢٣ فبراير ١٩٨٩) ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثانى ، الدار البيضاء ، القسم الثانى .

  - **محمد ناصح**
- مكانة التجار بين الفئات الاجتماعية المكونة للمجتمع الحضرى المغربى خلال القرن ٦ هـ / ١٢ م ، بحث ضمن أعمال ندوة التجارة فى علاقتهم بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب (٢١ – ٢٣ فبراير ١٩٨٩) ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثانى ، الدار البيضاء ، القسم الثانى .

  - **مبخوت بودواية وهوارية بكاى :**
- العلاقات الثقافية بين الدولتين الزيانية والمرينية خلال القرنين (٧ –٩ هـ) ، مجلة الفسطاط الإلكترونية ، ٢٠٠٨ م .

  - **مصطفى نشاط :**
- جوانب من المسكوت عنه " فى الكتابة التاريخية المرينية " نموذج الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ، حوليات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثانى ، الدار البيضاء ، عدد ٧ ، ١٩٩٧ م .
- ملاحظات حول المعاهدات التجارية المغربية فى العصر المرينى ، بحث ضمن أعمال ندوة التجارة فى علاقتها بالمجتمع والدولة عبر التاريخ المغرب من (٢١ إلى ٢٣ فبراير ١٩٨٩) ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثانى ، الدار البيضاء ، القسم الثانى .

  - **منى حسن أحمد :**
- هجرات الأندلسيين إلى شرق البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين الثانى والثالث الهجريين ، مجلة المؤرخ المصرى ، عدد ٥ ، ١٩٩٠ م .

  - **ليوبولد توريس بالباس :**
- الأبنية الإسلامية ، تعريب عليه إبراهيم العنانى ، مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية ، مدريد ، العدد الأول ، ١٩٥٣ .

- **أحلام حسن مصطفى النقيب ومزاحم علاوى الشاهرى** :
- العلاقات السياسية والاقتصادية بين غرناطة وأراجون (٦٩٥ - ٧٢٥ هـ / ١٢٩٦ – ١٣٢٦ م) دراسة في وثائق قصر التاج ببرشلونة ، بحث نشر على موقع الالكترونى
http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad16partie10.htm
- **محمد الشريف :**
- الجالية المغربية ببلاد السودان الغربى (ق ٨ هـ / ١٤ م) وملاحظات حول دورها فى التفاعل الحضارى بين ضفتى الصحراء ، بحث نشر على موقع الكترونى
http://www.attarikhalarabi.ma/Html/adad15partie16.htm

- **نهلة شهاب أحمد :**
- إمارة العزفيين في سبتة (٦٤٧-٧٢٨هـ / ١٢٣٩-١٣٢٧ م) ، بحث نشر على موقع الالكترنى

http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad13partie10.htm.

- **<u>خامسًا : الرسائل العلمية</u>**

- **إبراهيم إبراهيم حمودة بدر :**
- التاريخ السياسى والحضارى لمدينة تلمسان (٦٦٩ – ٩٦٢ هـ / ١٢٧٠ – ١٥٥٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ٢٠٠٢ م .
- **إبراهيم على يوسف الشامى :**
- الحج وأثره الحضارى فى دولتى مالى وصنغى (٦٣٦ – ١٠٠٠ م / ١٢٣٨ – ١٥٩١ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٦ م .
- **أحمد سيد حسين درويش :**
- دور المرأة السياسى والحضارى فى دولتى مالى وصنغى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٨ م .
- **أمل ربيع إسماعيل :**
- الأندلسيون فى المغرب الأقصى فى عصر بنى مرين (٦٦٨ – ٨٦٩ هـ / ١٢٦٩ – ١٤٦٥ م) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٨ .
- **إيهاب عزت عبد السلام :**
- الضرائب والمكوس فى المغرب الإسلامى (٤٥٤ – ٩٥٤ هـ / ١٠٦٢ – ١٥٤٩م)، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ٢٠٠٧ م .

- **بثينة السيد عبد الرحمن أحمد الريس :**
  - أثر قبيلة سليم السياسى والحضارى من مصر وبلاد المغرب حتى أواخر القرن السابع الهجرى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ،كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٢ م .
- **رانيا عبد الحكيم الحجرى :**
  - الزيتونة غلة نقدية فى الغرب الإسلامى (فيما بين القرن الأول إلى القرن التاسع الهجرى – السابع إلى الخامس عشر الميلادى) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ٢٠٠٤ م .
- **رضوان محمد البارودى :**
  - الحياة الحربية فى دولة بنى مرين ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٧٩ م .
- **سعاد زكريا محمود عبد الجواد :**
  - الرقيق ودوره فى بلاد المغرب من أواخر القرن الرابع الهجرى حتى أواخر القرن السابع الهجرى (٣٦٢ – ٦٦٨ هـ / ٩٧٢ – ١٢٦٩ م) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٨ م .
- **شاهندة سعيد محمود منصور :**
  - تاريخ طنجة منذ الفتح العربى حتى نهاية عصر الموحدين (٨٦ – ٦٦٨ هـ / ٧٠٥ – ١٢٦٩ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ٢٠٠٥ م .
- **صبحى عبد المجيد إدريس :**
  - تاريخ مدينة سجلماسة فى العصر الإسلامى منذ إنشائها حتى استيلاء المرينيين عليها (١٤٠ – ٦٦٨ هـ / ٧٥٧ – ١٢٦٩ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة طنطا ، ١٩٩٥ م .
- **صابر عبد المنعم محمد على البلتاجى :**
  - النظم والمعاملات المالية فى المغرب عصر دولة الموحدين (٥٢٤ – ٦٦٨ هـ / ١٣٣٠ – ١٢٦٩ م) رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٩ م .
- **صالح بن قربة :**
  - المسكوكات المغربية على عهد الموحدين والحفصيين والمرينيين خلال القرون السادس والسابع والثامن الهجرى (١٢ – ١٣ – ١٤ م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، الجزء الثانى ، ١٩٩٥ م .
- **عبد المرضى محمد عطوة زيدان :**
  - دولة بنى زيان ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٢ م .

- **عبلة محمد سلطان :**
  - الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مدن جنوب المغرب عصر المرابطين والموحدين [٤٥٠ – ١٠٥٨ م إلى ٦٦٨ – ١٢٦٩ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٢ م .
  - العناصر المغربية فى السودان الغربى دورها السياسى والحضارى منذ ظهور المرابطين حتى نهاية دولة صنغى ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ،١٩٩٩ م .
- **عزة رشاد مرعى :**
  - التاريخ السياسى لمدينة قسنطينة منذ عهد الأغالبة وحتى نهاية الدولة الحفصية (١٨٤ هـ / ٩١٦ هـ / ٨٠٠ – ١٥١٠ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ٢٠٠٩ م .
- **مجدى ياسين عبد السلام :**
  - مراكش منذ تأسيسها فى عصر المرابطين إلى نهاية دولة بنى مرين (٤٦٢ – ٨٦٩هـ/ ١٠٧٠ – ١٤٦٤ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ٢٠٠١ م .
- **محمد عادل عبد العزيز إبراهيم :**
  - الحياة الثقافية والاجتماعية فى عهد دولة بنى مرين (٦٦٨ – ٨٦٩ هـ / ١٢٦٩ – ١٤٦٥ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٢ م .
- **مفتاح يونس الريس :**
  - العلاقات بين المغرب ودولة الكاتم والبرنو (من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين ، الثالث إلى السادس عشر الميلاديين) ، رسالة ماجستير غيى منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٥ م .
- **منى سيد عبد العزيز عزو :**
  - الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى الدولة الحفصية (٦٢٦ – ٩٣٥ هـ / ١٢٢٨ – ١٥٣٥ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٦ م .
- **كريمة عبد الرؤوف :**
  - عامة فاس حتى عصر الموحدين (١٩٢ – ٦٦٨ هـ / ٨٠٧ – ١٢٦٩ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ٢٠٠٥ م .
- **نجلاء سامى محمد النبراوى :**
  - الأبعاد السياسية والحضارية لفريضتى الحج والجهاد بالمغرب والأندلس منذ عصر المرابطين حتى سقوط ملكة غرناطة (٤٤٠ – ٨٩٨ هـ / ١٠٤٨ – ١٤٩٢ م) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، قنا ، جامعة جنوب الوادى ، ٢٠٠٢ م .

- **نيرة رفيق جلال :**
- نقود سجلماسة فى العصر الإسلامى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٥ م .
- **هناء محمد عبد الحميد :**
- التاريخ السياسى والحضارى لمدينة مكناسة المغربية منذ فتح المرابطين لها حتى نهاية دولة بنى مرين (٤٥٣ – ٨٦٩ هـ / ١٠٦٠ – ١٤٦٥ م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ٢٠٠٧ م .

سادسًا : المراجع الأجنبية

- **Adam Bakonare :**
- Les relations Politiques et Culturell entre le Moroc et le Mali a travers les ages , Royoume du Maroc unversite Mohammed v publications de I'institut des Etudes Aricanes , Rabat , 1991 .
- **BeL . Alfred :**
- Inscriptions Arabes de Fes , journal , Asiatique , tome 10 , Paris , 1917 .
- **Davidson , Basil :**
- The Africans an entry to cultural History , London , 1969 .
- **Dufourcq (ch):**
- Commerce du Mughreb medieval avec L'Europe Chretienne et marine musulmane donnees connues et problemes en suspens , I ' Iberie chretienne et le Maghreb XIIe – Xve Siecles , Paris , 1973
- La Vie quotidienne dans L`europe medievale sous domination arabe , pais,1972 .
- L ' Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XI ve siecles , Paris , 1966
- **De Mchele Amari:**
- Diplomi Arabic del real archivio floretino , testo originale in firenze dalla tipografia di felice monnier mdeal xIII, 1863 .
- **Dozy (R) :**
- Dictionnaire detaille des noms des vetements chez les Arabes, Amsterdam,1845 .
- **Edmond pauty :**

- Rapport sur la defense des villes et la restauration des monuments historiques, Hesperis,1922 .
- Gautier (E. F) :
- Lé passe de L'Afrique du Nord ; Le siécles obscures , Paris , 1927.
- L 'Islam sation de l' Afrique du nord : Le siécles obscures du Magharib , Paris , 1927
- Lagardere (Vincent):
- Histoire et socieie en occident musulman au moyen age analyes du miyardal –w ansaris , Madrid , 1995 .
- Jea (Miche Lessard
- Sijilmassa la villa et ses relations comercialos aux e siecle d' aprés et Bekri , Hespéris vol x , 1969 .
- Kably (m) :
- Societ , pouvoir et religion au Marco a fin du moyen age , Paris , 1986.
- Lextzion (N) :
- Ancient Ghana and Mail , Studies in African history , London 1973 .
- Mas – Latrie L. de :
- Traites de paix et commerce concernant les relations des chretins avec les Arabes de L'Afrique septen trionale au Moyen – age , Paris , 1866 .
- R. Blachére: ;
- Fés chez les Géogrphes arabes du moyen . age , Hesperis , Tome XVIII , 1934.
- Shatzmiller (Maya) :
- L’Historiographie Merinide Ibn Khaldun e ses contemporains, London , 1982.
- Sothety s Auctions :
- Ancient and Islamic Coins , 1986.